



الخلاصة في التربية

إعداد

مركز قيم المعرفة

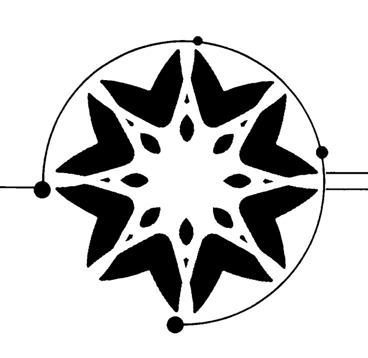


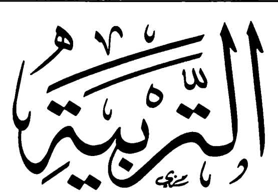


الفكرة والإشراف

مركز المنهاج للإشراف والتدريب التربوي



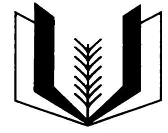



الخلاصة في
التربية

ح دار أصول المنهاج للنشر، ١٤٤٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر.
مركز قمم المعرفة للتطوير والاستشارات التربوية والتعليمية.
الخلاصة في التربية. / مركز قمم المعرفة للتطوير والاستشارات التربوية والتعليمية – ط١- الرياض، ١٤٤٢هـ
٣٨٤ ص، ١٧×٢٤سم
ردمك: ٣-٣-٩١٥٤٤-٦٠٣-٩٧٨
١- التربية أ. العنوان
ديوي ١ , ٣٧٠ ٣٤٠٥/ ١٤٤٢

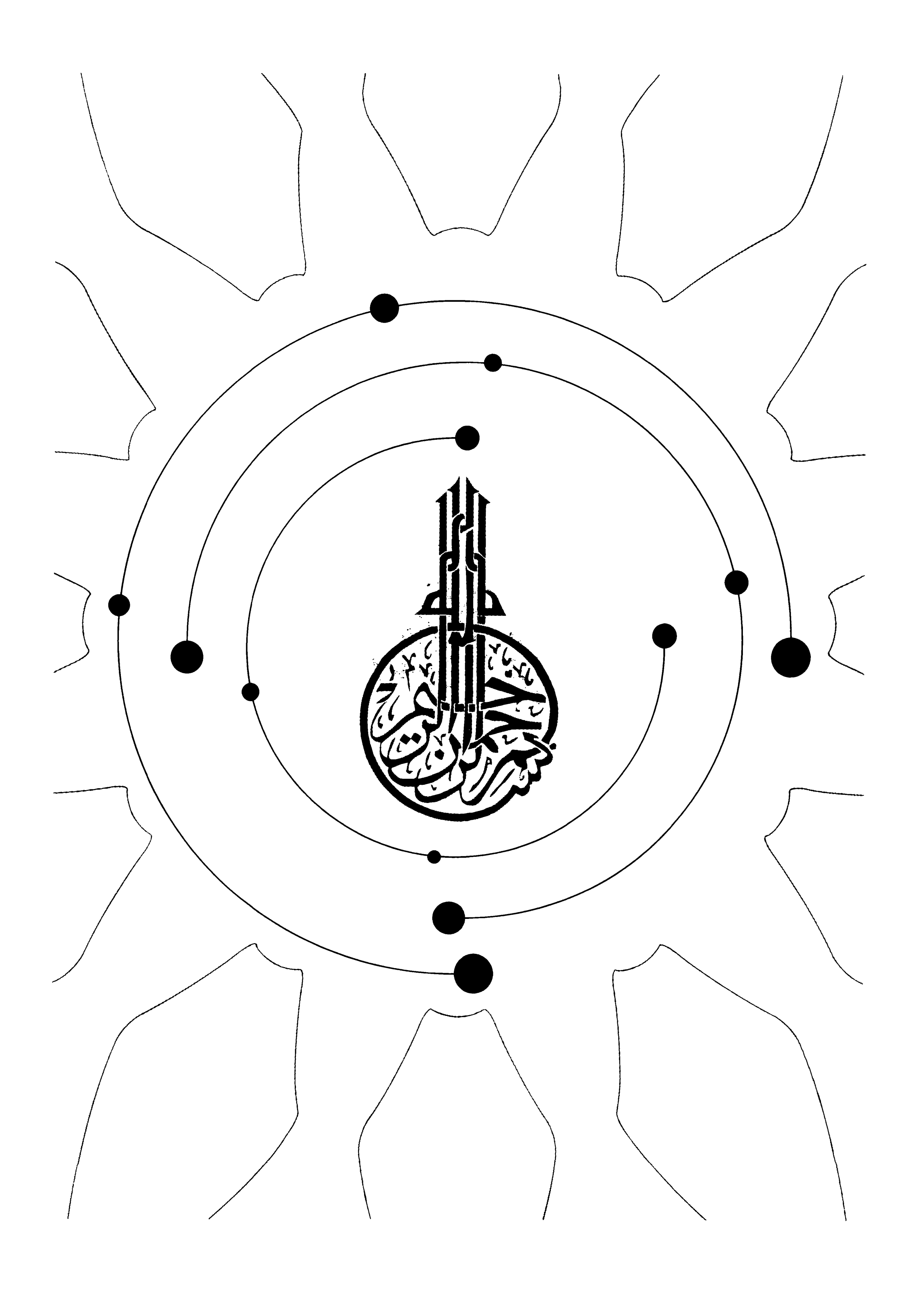
رقم الإيداع: ١٤٤٢/٣٤٠٥
ردمك: ٣-٣-٩١٥٤٤-٦٠٣-٩٧٨

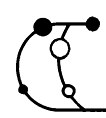


مركز المنهاج للإشراف والتدريب التربوي
Almenhaj Center for Educational Supervision and Training

المملكة العربية السعودية - الرياض - هاتف: ٠٠٩٦٦٥٠٥٩٠٠٩٥٣
الموقع الإلكتروني: www.kholasah.com
البريد الإلكتروني: info@kholasah.com


الملحوظات
والمقترحات


بسم الله الرحمن الرحيم



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي شرع لنا دينًا قويمًا، وهدانا إليه صراطًا مستقيمًا، وجعلنا من أهله تعلمًا وتعليمًا، سبحانه أنعم علينا بأعظم نعمة وهي الإيمان، وتوجنا بأشرف تاج وهو القرآن، وجعلنا خير أمة أخرجت لبني الإنسان، أحمده سبحانه علىٰ آلائه التي لا تنقضي أبدًا، وأثني عليه بجميع محامده التي لا تحصىٰ عددًا.

والصلاة والسلام علىٰ من اجتباه ربه واصطفاه، وبجميع المحامد حلاه، نبينا وقدوتنا محمد بن عبد الله، وعلىٰ آله وأصحابه الذين اهتدوا بهداه، وترسموا خطاه، فحملوا أمانة الدعوة علىٰ الأعناق، وساروا بها إلىٰ كل الآفاق، حتىٰ أشرقت بنور علمهم الظلمات، واخضرت بطيب غراسهم الفلوات، ولا تزال طائفة من أحفادهم علىٰ الحق صامدين، ولعبء الأمانة متحملين، فمنهم من قضىٰ نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً.

أما بعد:

فبين أيديكم -أيها الدعاة إلىٰ الله- مُؤَلَّف يُوسَم بـ: (الخلاصة في التربية)، مستهدِفةٌ كلماته كل مربٍ ومربيةٍ، وموجَهةٌ عباراته لكل داع وداعية، ومتمثلةٌ محتوياته في ظلال قول الله عز وجل: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[يوسف: ١٠٨]. وقول نبيه ﷺ: «مَنْ دَعَا إِلَىٰ هُدًىٰ كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ

شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَىٰ ضَلالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا»(١).

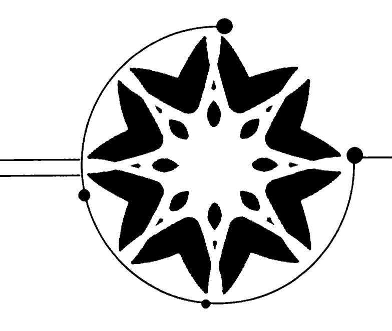
ولتلمس خطىٰ هذه البصيرة، وابتغاء ثواب سبيل هذه الدعوة، يأتي هذا الكتاب في أربعة فصول رئيسة، تحوي مباحث عديدة، تؤصل -في مجموعها- في أذهان جميع المسلمين ضرورة التكامل بين فقه التربية وفقه الدعوة بصفتها أصلاً أصيلاً، وحتمية الدعوة علىٰ كل من اتبع الرسول الكريم ﷺ تحقيقًا للمراد من تنزيل رب العالمين في قوله الجليل: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وأخيرًا وليس آخرًا، فالرجاء في الله سبحانه وتعالىٰ وحده أن ينفع بهذا الكتاب ويفيد في تعديل السلوك والممارسات للمربين والدعاة إلىٰ الله بما يتوافق وسنن الأنبياء والمرسلين، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله وسلم علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

● ● • ● ●

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٧٤).



الفصل الأول

مدخل في التربية

أهداف الفصل الأول:

يهدف الفصل إلىٰ تزويد القارئ بمفاهيم واتجاهات ومهارات عامّة عن التربية.

أما تفصيلاً: فمن المتوقع بعد قراءة هذا الفصل أن يكون المربي الداعي إلىٰ الله قادرًا علىٰ:

١) التعرف علىٰ ماهية التربية.

٢) التفريق بين التربية وغيرها من المفاهيم المرتبطة بها؛ مثل: التعليم، الدعوة، التزكية، السلوك.

٣) تحديد طبيعة التربية من حيث كونها علمًا أم فنًا.

٤) توضيح أهمية التربية علىٰ كلٍ من الفرد والمجتمع.

٥) الكشف عن وظائف التربية إجمالاً وتفصيلاً.

٦) بيان أهم غايات التربية وأهدافها في المجتمع المسلم.

٧) التعرف علىٰ مصادر التربية الإسلامية.

٨) تحديد مجالات التربية وجوانبها.

٩) التمييز بين أنواع التربية.

١٠) التعرف علىٰ أبرز مهمات التربية للمؤسسات التربوية في المجتمع.

١١) تحديد أهم أساليب التربية المناسبة للتعامل مع مختلف فئات المجتمع.

١٢) عَدُّ بعض أعلام العلماء المسلمين في المجال التربوي.

١٣) تصنيف كتب التراث الإسلامي حسب مجالات التربية.

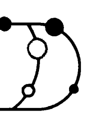
١٤) استنباط أهم مظاهر تربية الشخصية المسلمة في جوانبها المختلفة من المنظور الإسلامي.

كما يهدف الفصل إلىٰ قياس الذات في ضوء أنشطة يعبر عنها بالأسئلة الآتية:

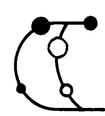


أنشطة إثرائية للعصف الذهني:

- هل وردت التربية أو إحدىٰ مشتقاتها في القرآن الكريم؟
- ما أهم مرادفات التربية من منظور الإسلام؟
- هل التربية نظرية أم تطبيق؛ علم أم فن، وما الغاية من كل منهما؟
- هل التربية عملية فردية؟ أم اجتماعية؟ أم ثقافية؟ أم نفسية؟
- هل ترتبط التربية بماضي المجتمع وحاضره ومستقبله؟ أم تُستورد من خارجه؟
- هل ترتبط التربية بحاجات المتربين ودوافعهم وقدراتهم؟ أم تُفرض من المربين؟
- إذا كان لكل مقام مقال، ولكل عالم طريقته وأسلوبه، فما أهم الأساليب التربوية التي تتبعها أو تراها تجدي نفعًا في التعامل مع الناس -حسب مراحلهم العمرية، وطبقاتهم الاجتماعية، وتوجهاتهم الفكرية- لحل مشكلاتهم الاجتماعية؟
- اذكر عددًا مما حفل به التراث الإسلامي من مؤلفات في التربية.
- قدّم الإسلام للبشرية نظرية أو فلسفة تربوية تتسم بالشمولية والتكامل في شتىٰ ميادين الحياة، ناقش هذه العبارة في ضوء كل من مصادر التربية الإسلامية وأهدافها وجوانبها.
- ما علاقة المفاهيم بين التربية والمصطلحات الآتية: التعليم، التعلم، التدريس، العلم، المعرفة، الدعوة، الخبرة، المجتمع، السلوك، الطبيعة الإنسانية، الحضارة، الثقافة، التغير الثقافي، الفراغ الثقافي، الإحلال الثقافي، الغزو الثقافي، التغريب الثقافي،



الانحراف الثقافي، التنوع والتعددية الثقافية، التنشئة الاجتماعية، التطبيع الاجتماعي، الضبط الاجتماعي، الضغط الاجتماعي، التفاعل الاجتماعي، الحراك الاجتماعي، التكيف الاجتماعي، الاغتراب الاجتماعي، التغير والثبات الاجتماعي، التربية الإسلامية، أصول التربية الإسلامية، الأصول الإسلامية للتربية، تاريخ التربية الإسلامية، فلسفة التربية الإسلامية، الفكر التربوي الإسلامي؟



تمهيد:

من المسلَّم به أن أي مجتمع إنما يتكون من أفراد (بشر)، يعيشون في مكان واحد (أرض)، ويشتركون في نمط معين للمعيشة (ثقافة)، ولديهم شعور مشترك بالانتماء والولاء (هوية) لهذا التجمع ونمط الثقافة المشترك. ومن الضروري لجملة هؤلاء الأفراد -الذين يتشكلون في مؤسسات أو هيئات أو جماعات أو في أي صورة من صور البنية الاجتماعية- أن يكونوا علىٰ قدر من الثقافة والوعي التي تؤهلهم لتحقيق أهداف المجتمع؛ الأمر الذي يدعو إلىٰ ضرورة وجود مسؤولية تربوية لبعض مؤسسات المجتمع، إن لم يكن جميعها يعمل علىٰ تهيئة أفراد المجتمع وتثقيفهم ليقوموا بمسؤولياتهم وواجباتهم بالمجتمع.

لذا كانت التربية -علىٰ مستوىٰ التطبيق- عملية عرفتها كل المجتمعات عبر التاريخ الإنساني؛ وذلك علىٰ اختلاف درجات تلك المجتمعات من النمو والتعقيد. ولم يكن الاهتمام المستمر بالتربية إلا لكونها ضرورة إنسانية ودينية واجتماعية وثقافية، ارتبط وجودها بوجود الإنسان ذاته علىٰ الأرض واستقراره فيها. وقد ارتبطت التربية بوتيرة المجتمعات وطبيعتها خلال العصور المختلفة؛ فنمت بنمو المجتمع، وتعقدت وتشابكت عناصرها ومؤسساتها وأهدافها ومحتواها..إلخ حسب طبيعة المجتمع.

وبذلك، لم تستطع التربية أن تعزل نفسها عن المجتمع الموجودة فيه، كما لم تستطع أن تنأىٰ بنفسها عن جملة التغيرات الحادثة به؛ فوجدت نفسها تسير في نفس الطريق الذي يسير فيه المجتمع، إن لم يكن برضاها فقهرًا وقسرًا، وذلك حتىٰ لا

تتخلف عن مجتمعها في الوقت الذي يناط بها قيادة التغيير في المجتمع، هذا بالإضافة إلىٰ أن الإنسان نفسه -وهو موضوع التربية من ناحية، والقائم علىٰ المجتمع من ناحية أخرىٰ- كان أحد جوانب التغيير في المجتمع، كما كانت هي وسيلة ذلك التغيير في الوقت نفسه.

أما علىٰ مستوىٰ النظرية، وإزاء السعي نحو تأطير ما سبق من أهداف ومسؤوليات وممارسات، فقد ظهرت التربية -بصفتها علمًا حديثًا- في ثوب جديد مثل غيرها من العلوم الحديثة المرتبطة بها؛ كعلم الاجتماع، وعلم الإنسان أو الأنثروبولوجيا[1]، وعلم النفس أو السلوك. وظهور التربية علىٰ هذا النحو يعد ضرورة لتوزيع المهام بين أفراد المجتمع في إطار من التخصص والالتزام.

وتفصيلاً لما أُجمل بهذه المقدمة، قسَّمنا هذا الفصل إلىٰ أربعة مباحث علىٰ النحو الآتي:

١. **المبحث الأول: مقدمات في التربية.**

٢. **المبحث الثاني: التربية الإسلامية.**

٣. **المبحث الثالث: أصول التربية الإسلامية.**

٤. **المبحث الرابع: التربية في التراث الإسلامي.**



(١) الانثروبولوجيا: هو العلم الذي يختص بدراسة السلوك الإنساني في الماضي والحاضر.

المبحث الأول
مقدمات في التربية

ويسعىٰ هذا المبحث إلىٰ التعريف بالتربية وطبيعتها، وبيان أهميتها علىٰ الفرد والمجتمع، والكشف عن وظائفها وأهدافها، وتحديد مجالاتها، وسرد بعض مؤسساتها، وتناول أهم وسائلها أو أساليبها. وفيما يلي توضيح ذلك:

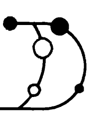
١- مفهوم التربية:

يتضمن مفهوم التربية في اللغة دلالات عدة، وإن كان يشير جميعها إلىٰ ما ينبغي أن تتضمنه التربية من ممارسات، وما يجب أن تستهدفه من غايات.

١. **فتأتي التربية بمعنىٰ الإصلاح والتوجيه**؛ إذ معنىٰ ربَّ الشيء أي: أصلحه ورعاه واعتنىٰ به وأحسن القيام إليه ودبَّر أمره؛ كما في قوله تعالىٰ: ﴿ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[الفاتحة: ٢]، وقوله جل جلاله: ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ﴾[النساء: ٢٣].

٢. **وتأتي بمعني النماء والزيادة**، وفي هذا قوله تعالىٰ: ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾[الحج: ٥]. وقوله عز وجل: ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾[البقرة: ٢٧٦].

٣. **وتأتي التربية أيضًا بمعنىٰ الرعاية والتعهد بالعناية**؛ كقوله تعالىٰ: ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾[الإسراء: ٢٤]، وقال تعالىٰ علىٰ



لسان فرعون مخاطبًا موسىٰ عليه السلام بعد أن نشأ وتربىٰ في بيت فرعون: ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾[الشعراء: ١٨]، وكما قال تعالىٰ علىٰ لسان يوسف عليه السلام: ﴿ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ﴾[يوسف: ٢٣].

٤. **وقد تعني الحكمة والعلم والتعليم**؛ كقوله تعالىٰ: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾[آل عمران: ٧٩]، وتعلّمون هنا بمعنىٰ تفهّمون.

وعلىٰ هذا، فليست التربية والتعليم بمعنىٰ واحد؛ حيث تشمل التربية جوانب الشخصية كلها مستعينة في ذلك بمؤسسات متعددة ومتنوعة، ومنها التعليم الذي قد يكون مقصورًا هو ومؤسساته علىٰ تحصيل معرفة أو اكتساب مهارة أو تنمية قدرة، وعلىٰ هذا فبين التربية والتعليم فرق يرجع في أساسه إلىٰ الاختلاف في الهدف والمؤسسة التعليمية أو التربوية، الأمر الذي يمكن معه القول: إن التربية أعمّ وأشمل من التعليم.

أما المفهوم الاصطلاحي للتربية: فثمة تعريفات عدة للتربية منها:

١. هي: تلك العملية التي يمكن من خلالها تنمية كافة جوانب الشخصية الإنسانية، وتوجيهها وترقيتها للاستفادة منها في بناء المجتمع والمحافظة علىٰ هويته الثقافية.

٢. هي: جملة الخبرات التي يمر بها الإنسان من بداية حياته حتىٰ نهايتها، وتعدل سلوكه إلىٰ الأفضل.

٣. هي: عملية تنمية الإنسان تنمية شاملة متكاملة مستمرة استمرار الحياة نفسها.

٤. هي: عملية تشكيل الشخصية السوية المتكاملة في جميع جوانبها: روحيًا وعقليًا ووجدانيًا وخلقيًا واجتماعيًا وجسميًا؛ بصورة تمكنها من التكيّف مع البيئة الاجتماعية التي تعيش فيها.

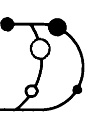
٢ - طبيعة التربية:

تثير كلمة (التربية) استفسارات عن طبيعتها وأهدافها وخصائصها؛ ومن ذلك سؤال: هل التربية علم يتمتع بقواعد وأسس معينة مثله في ذلك مثل أي علم آخر من العلوم؟ أم أنها فن من الفنون يجب تعلم المهارات الخاصة به حتى نتمكن من اكتسابها؟

والجواب أن الفارق بين العلم والفن فارق جوهري من حيث الدرجة والكيف والهدف؛ فإذا كان من أهم خصائص العلم: وجود قوانين تفسر العلاقات الدائمة بين الظواهر تجاه موضوع معين، فإن الفن تنحصر أهميته في تطبيق قواعد العلم وقوانينه. ومعنى هذا أن غاية العلم غاية نظرية تسعى إلى اكتشاف القوانين في مجال محدد، أما تطبيق هذه القوانين في مجال النفع البشري فليس من اختصاص العلم وإنما هو من اختصاص الفن الذي يسعى إلى التطبيق العملي للنظريات العلمية. فالعلوم التطبيقية هي بالتعبير المنهجي فنون عملية.

وتأسيسًا على هذا، ولما كانت التربية مرتكزة على قوانين وقواعد نظرية تحكمها من خلال التجارب التي يجريها الباحثون في المجال التربوي، فإنها من ثم يمكن أن تتمتع بخاصية العلم.

ومن جهة ثانية: تضم التربية مجموعة وسائل فنية ومهارات معينة تميزها وتخصص طبيعتها، كما أنها تسعى ضمن أهدافها إلى محاولة الاستفادة من



النظريات والقواعد التي انتهت إليها الدراسات في الحقل التربوي؛ وذلك بمحاولة تطبيقها في الواقع حينما يمارس المربون وسائلها المختلفة من تهذيب أو تنمية أو تعليم أو تدريس، وهي من ثم تكتسب خاصية أخرىٰ تجعل منها شيئًا متميزًا عن بقية العلوم الأخرىٰ، وهي بهذا المعنىٰ تكون فنًا.

ومن ثم يتضح أن التربية مكتسبة لخاصيتي العلم والفن معًا، وأنها تجمع بينهما في إضافة لا يمكن الفكاك منها.

ولمزيد من التأصيل لإضفاء صبغة العلمية علىٰ التربية، فإن هذا يستوجب الوقوف علىٰ أهم خصائص العلم الأساس، ثم تطبيقها علىٰ التربية للحكم عليها بصبغة العلمية.

فبداية: ما مفهوم العلم؟

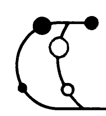
عُرِّف العلم بأنه: عبارة عن معرفة مكتسبة قائمة علىٰ الملاحظة الدقيقة والتفكير السليم، وتكوَّنتْ وترتَّبتْ بطريقة منطقية سليمة.

كما عُرِّف بأنه: بحث منظم لظاهرة طَبَيعِيّة للوصول إلىٰ مجموعة من القوانين والتصميمات الوصفية التي تفسرها.

وعَرَّف ابن خلدون العلم بأنه: ميزة اختص الله تعالىٰ بها الإنسان عن سائر المخلوقات، وهذه الميزة تقوم علىٰ الفكر الذي يهتدي به الإنسان لتحصيل معاشه والتعاون عليه مع بني جنسه، وقبول ما جاءت به الأنبياء عن الله تعالىٰ والعمل به، واتباع صلاح أخراه[1].

---

(١) مقدمة ابن خلدون، ص ٤٠١.



وبهذا يتبين أن العلم منه ما هو كسبي فيرادف المعرفة في ذلك؛ كما قال عنه تعالىٰ: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾[الأنبياء: ٨٠]، ومنه ما هو غير كسبي؛ وهو العلم الإلهي الوهبي اللّدُنّي؛ كما قال عنه تعالىٰ: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾[الكهف: ٦٥].

كما يتضح من التعريفات السابقة أن للعلم خصائص أساسًا؛ منها:

١. المجالية: حيث يتخذ كل علم مادي -أي خاضع للملاحظة والتجريب والقياس- مجالاً أو موضوعًا محددًا.

٢. المنهجية: حيث إن كل علم -في سبيل سعيه للكشف عن الحقائق العلمية، والعلاقات التي تتصل بالظواهر قيد البحث- يعتمد علىٰ أساليب وطرق معينة يسلكها الباحثون لإيجاد تفسيرات وحلول علمية لبعض المشكلات التي تنتمي لهذه الظواهر.

٣. الهدفية: أي أن يصل العالم أو الباحث إلىٰ حل لموقف مشكل، أو إزالة اللبس والغموض الذي يكتنف موضوعًا بعينه، أو الكشف عن العلاقات التي تحكم وتربط الظواهر بعضها ببعض.

وبعد هذا العرض لخصائص العلم، فإلىٰ أي حد يمكن تطبيقها علىٰ التربية كي يمكن وصفها بصفة العلمية؟ بمعنىٰ: هل للتربية مجال محدد؟ وما هذا المجال؟ وهل لها من منهج علمي تسير تبعًا له في معالجة قضاياها؟ وهل تسهم بحوثها في تحقيق أهداف معينة تخدم الإنسان؟

فيما يتعلق بالسؤال الأول -المختص بمجال التربية- فإن للتربية مجالها، وهذا المجال هو الفرد الإنساني، خاصة فيما يتعلق بتنمية الشخصية الإنسانية بصورة

متكاملة ومتوازية تعرض للفرد بصفته فردًا، وبصفته عضوًا في جماعة، وذلك في جوانبه المختلفة الجسمية منها والعقلية والخلقية، وكذا في كافة مستوياتها العمرية؛ سواء في الطفولة أو المراهقة أو الشباب أو الكهولة أو الشيخوخة.

وفيما يتعلق بالمنهجية: فإن البحث العلمي في التربية يخضع لطرق محددة وأساليب منضبطة، ولقد ميز البعض عدة طرق أو مناهج للبحث في قضايا التربية، وحصرها البعض في: المنهج التاريخي، والمنهج الوصفي، والمنهج التجريبي، وشبه التجريبي، بل أفرد المتخصصون علمًا قائمًا بذاته أسموه: (مناهج البحث في التربية وعلم النفس)، له معارفه الخاصة، وله المتخصصون فيه.

وأخيرًا فيما يتعلق بالأهداف: فإن معظم البحوث التربوية تحاول أن تقدم وصفًا جيدًا للواقع الذي تعرض له، ويتعدىٰ الكثير منها حدود الوصف إلىٰ التفسير والبحث عن الأسباب والعلل والعوامل المؤثرة في قضاياه، كما يتناول الكثير منها موضوعات تنبُّئية مستقبلية تحاول أن تتجاوز الحاضر باستشراف المستقبل، وهكذا ومن خلال الوقوف علىٰ المعارف التربوية المنظمة والهادفة والمنضبطة، وتأسيسًا علىٰ هذا، يمكن القول: **إن التربية عملية علمية.**

٣ – مجالات التربية:

يعد الإنسان هو موضوع التربية ومجالها الرئيس، كما أن تنشئته وتزكيته وتعديل سلوكه وفق مواصفات معينة مرتبطة بهوية المجتمع وتراثه وتطلعاته الثقافية تمثل محور التربية الأساس، وبناءً علىٰ علاقة التربية بغيرها من العلوم التي تعتمد عليها تتمثل مجالات التربية في:

١ - علم النفس: الذي يتناول السلوك الإنساني، ويكشف عن السمات النفسية للإنسان وتفاعله مع بيئته، وخصائصه إذا كان فردًا، وسماته إذا كان عضوًا في جماعة. ولهذا العلم فروع مختلفة كثيرة؛ منها: علم النفس التربوي، علم نفس النمو، علم نفس الفروق الفردية، علم النفس العلاجي، علم النفس الاجتماعي، علم نفس الشخصية.

٢ - أصول التربية: ويهتم هذا الفرع بالأصول والأسس التي تقوم عليها التربية النشطة المستمدة من كافة العلوم التي تفيد في فهم جوانبها المختلفة؛ مثل علوم: النفس، والفلسفة، والاجتماع، والسياسة، والاقتصاد، والتاريخ، والحياة، ولذلك تتعدد أصول التربية إلى:

أ- **الأصول الفلسفية للتربية**: وتتناول موضوعات مثل: فلسفة التربية وعلاقتها بأهداف المجتمع، والسياسات التربوية التي تسترشد بها العملية التعليمية.

ب- **الأصول الاجتماعية للتربية**: وتغطي موضوعات مثل: وظيفة التربية تجاه مجتمعها، ومدى تفاعلها مع غيرها من منظمات اجتماعية.

ج- **الأصول الثقافية للتربية**: وتعرض لموضوعات مثل: التأثير المتبادل بين التربية والأوضاع الثقافية بالمجتمع.

د- **الأصول النفسية للتربية**: وتتناول موضوعات مثل: طبيعة المتعلم وقدراته، وطبيعة نموه النفسي والانفعالي، وعلاقة ذلك بأهداف التربية.

هـ- **الأصول الاقتصادية للتربية**: وتحتوي على موضوعات مثل: الإنفاق على التعليم والعائد الاقتصادي للتربية، ودراسة تمويل التعليم، ودراسة الكفاءة الداخلية والخارجية للتعليم، والتخطيط للتعليم على ضوء حاجات سوق العمل.

و- **الأصول التاريخية للتربية:** وتغطي موضوعات مثل: دراسة نشأة المؤسسات التربوية وتطورها، والعلاقة بينها عبر العصور، ودراسة تطور الفكر التربوي عبر العصور بما يساعد في فهم الحاضر والتنبؤ بما يمكن أن يكون عليه المستقبل.

ز- **الأصول السياسية للتربية:** وتتناول موضوعات مثل: دراسة العلاقة بين التربية والنظم السياسية، ودور التربية في التنشئة السياسية.

٣- تاريخ التربية: ويدرس هذا العلم نشأة التربية ويتتبع تطورها في العصور والمجتمعات المختلفة، مُركِّزًا في ذلك على البحث عن خصائص كل عصر، وإضافاته في المجال التربوي، والمؤثرات التي وسمت هذا العصر أو ذاك بوسمٍ خاص.

٤- التربية المقارنة: ويهتم هذا العلم بدراسة نظم التعليم في الدول المختلفة، والعوامل المؤثرة في هذه النظم، وعلاقتها بغيرها من النظم في المجتمعات الأخرى، وإلى أي مدى يمكن الاستفادة من هذه النظم في مجتمعات أخرى، مع وضع الاختلاف بين ظروف المجتمعات في الاعتبار.

٥- المناهج وطرق التدريس: ويدرس هذا المجال الخبرات والنشاطات التعليمية، والأسس التنظيمية لهذه الخبرات، والأهداف التعليمية ومصادر اشتقاقها، ومواصفات المناهج الدراسية من حيث المحتوى والوسائل التعليمية وطرق التدريس وأساليب التقويم وغير ذلك من موضوعات تؤثر في العملية التعليمية.

٦- الإدارة التعليمية: ويتناول هذا الفرع الأصول العامة للإدارة التعليمية، والسلطة والعلاقات الإنسانية في الإدارة التعليمية، والقيادة التربوية وأنماطها،

والاتصال ووسائله في الإدارة التعليمية، وغير ذلك من موضوعات تستهدف إتاحة إدارة سليمة تحقق الأهداف المرجوة بأقل تكلفة ممكنة وفي زمن مناسب.

٧- **التربية الإسلامية**: ويدرس هذا العلم الأصول التربوية الإسلامية، وتاريخ التربية الإسلامية، وفلسفة التربية الإسلامية، والفكر التربوي الإسلامي، وغير ذلك من مفاهيم التربية وقضايا التعليم في ضوء مصادر التشريع الإسلامي، وما يترتب على ذلك من تطبيقات تربوية.

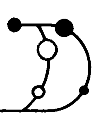
ولقد حدد القرآن الكريم مجالات التربية الإسلامية أو ميادينها في أربعة مجالات؛ ذكرها الله سبحانه وتعالى في قوله: ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[البقرة: ١٢٩]. وتتمثل هذه المجالات في:

أ- **مجال العقيدة الإسلامية**: ﴿ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ ﴾؛ سواء أكانت تتعلق هذه الآيات بميدان الغيب، أم الاجتماع البشري، أم الكون.

ب- **مجال الإعداد الفكري والمعرفي**: ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ ﴾.

ج- **مجال الإعداد الوظيفي والسلوكي**: ﴿ وَالْحِكْمَةَ ﴾، وذلك بما تتضمنه الحكمة من معانٍ كثيرة مثل: الإتقان والإصابة، الحلول الملائمة، التمييز بين الخطأ والصواب، الفهم والمعرفة، صواب الرأي وحسن النظر في الأمور، حسن التقدير والإدارة والتصرف.

د- **مجال التزكية وتعديل السلوك**: ﴿ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ أي الإصلاح والتطهير والتنمية؛ سواء أكانت هذه التزكية للنفس، أم للعقل، أم للجسم. وسوف تتضح هذه المجالات لاحقًا بالتفصيل.



٤ – أهمية التربية:

لم يعد الاستثمار في العصر الحالي قائمًا على رأس المال المادي بقدر ما يقوم على رأس المال البشري وقدرة الإنسان على الإبداع؛ وذلك لأن الإنسان هو أهم عوامل التنافس والتنمية الاجتماعية والثقافية والاقتصادية في المجتمعات.

فالتربية تسعى من خلال مؤسساتها المختلفة إلى إكساب أفراد المجتمع المعارف والقيم والمهارات اللازمة للنجاح في حياتهم، مراعية في ذلك اختلاف مراحل النمو، وخصائص كل مرحلة، وقدرات الفرد وإمكاناته وميوله واستعداداته من ناحية، ومتطلبات سوق العمل والقيمة الاجتماعية والاقتصادية للعمل المنتج من ناحية أخرى.

كما أن العملية التربوية تسعى -من خلال أهدافها وبرامجها وأساليبها- إلى قيادة حركة التغيير وتوجيهها والإسهام في تحقيق التنمية والتحديث، انطلاقًا من كونها عملية اجتماعية تعمل في المجتمع وللمجتمع لتحقيق آماله وأمانيه.

وعلى وجه العموم، يمكن إجمال أهمية التربية -على مستوى الفرد والجماعة والمجتمع- في النقاط الآتية:

١ تعمل التربية على تحقيق الضبط الاجتماعي؛ إذ إنه عن طريقها يمكن التحكم في نوازع الصراع، والظلم بين أفراد المجتمع وفئاته، كما يمكن علاج الانحرافات وإعادة الاستقرار والتوازن إلى مكونات البناء الاجتماعي. وبذلك تعمل التربية على تأمين المجتمع من كل ما قد يهدد تكامل الجماعة وتماسكها، أو مما قد يضعف من توافق الأفراد مع ما يسود الجماعة من قيم وأنماط مقررة، كما أنها تسهم في صيانة النظام الاجتماعي في المجتمع ليتحقق الخير والصالح للمجتمع والفرد.

٢. مساعدة الفرد البشري على الحياة في ظروف غير مواتية (التكيف)؛ وذلك عن طريق السعي إلى تغيير الظروف ذاتها، وبما يجعلها متمشية مع ظروف الفرد وحاجاته، أو بتحوير حاجات الفرد وظروفه لتتمشى مع الظروف المحيطة إن استحال تغيير هذه الظروف، أو من خلال التقريب والوفاق والانسجام بين الطرفين -الظروف المحيطة وظروف الفرد وحاجاته- على السواء.

٣. مساعدة الفرد على أن ينمو نموًا طبعيًا في حدود ما تؤهله قدراته من الناحية الجسمية والعقلية والعاطفية والروحية والاجتماعية، وبما يسمح له بالتفاعل والفاعلية في مواقف الحياة المختلفة ومع الجماعة التي يعيش فيها.

٤. مساعدة الأولاد في أن يتمثلوا معايير ثقافتهم ومعايير توافقهم، كما تحدد وسائل إشباعهم لحاجاتهم المختلفة، وكيفية التعبير عنها اجتماعيا. إنها باختصار تشكل المعالم الرئيسة لشخصياتهم.

٥. تنمية شخصية الفرد وتعريفه بمظاهر التغير الثقافي والاجتماعي الحادث في المجتمع، والمشكلات الثقافية والاقتصادية التي تواجهه، من خلال تقبله لثقافة معينة ومشاركته فيها.

٦. تشرب الفرد للقيم الاجتماعية الحسنة؛ مثل: التعاون، والحرية، والاستقلال، والاعتزاز بالنفس، والانتماء للجماعة، واحترام الكبير.

٧. إكساب الفرد للمبادئ والاتجاهات السائدة في المجتمع الذي يعيش فيه حتى يسهل اندماجه وتهيئته لمواجهة المشكلات والتحديات الآنية والمستقبلية.

٨. تدعيم روح الانتماء إلىٰ الأسرة والمجتمع والوطن، واكتساب القدرة علىٰ المبادرة والتعاون والعمل فريقًا واحدًا، وتحمل المسؤولية، واتخاذ القرارات السليمة، وتنظيم الوقت واستثماره.

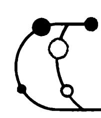
٩. تؤتي التربية ثمارًا مهمة في مساعدة المجتمعات علىٰ التعايش الفعال في عالم يتسم بسرعة التغير، وبما يضمن لهذه المجتمعات مكانًا بارزًا علىٰ خريطة الوجود العالمي.

١٠. العمل علىٰ محو الأمية بجوانبها المختلفة: الأبجدية، والوظيفية، والتقنية، بما يمكن الأفراد من التفاعل الرشيد مع جملة التغيرات المجتمعية في جوانب الحياة المختلفة.

١١ تعزيز ثقافة المجتمع وتدعيمها، بما يمكنها من الصمود في مواجهة الثقافات الوافدة.

٥ – وظائف التربية:

إن علاقة الثقافة بالتربية من الأمور التي لا يستطيع أن ينكرها أحد؛ فالتربية لازمة للمحافظة علىٰ كينونة المجتمع وهويته، وذلك من خلال المحافظة علىٰ ثقافة ذلك المجتمع ونقلها من جيل إلىٰ جيل. والقول أيضًا بأن التربية عملية اجتماعية يحمل ضمنا أنها تختلف من مجتمع لآخر؛ وذلك حسب طبيعة المجتمع الذي توجد فيه والقوىٰ الثقافية المؤثرة علىٰ ذلك المجتمع، إضافة إلىٰ القيم الدينية والفلسفية التي يعيش علىٰ أساسها أفراد ذلك المجتمع، ويعني ذلك أن التربية في مجتمع ما تتحدد أهدافها وغاياتها ووسائلها حسب أهداف المجتمع التي تتحدد في إطار فلسفته وهويته.



ولهذه العلاقة الأكيدة بين التربية والثقافة والمجتمع، يمكن القول إن وظائف التربية - بصورة إجمالية - تتمثل في:

١ . المحافظة على كل ما هو موجود في الموروث الديني والاجتماعي والثقافي والسياسي والاقتصادي، وحمايته وصيانته من التبديل أو التحريف أو التغيير عند نقله للأجيال المختلفة.

٢ . التجديد والتحديث والإبداع والابتكار في الحياة المجتمعية وأوضاع البشر المتجددة بما يساعد على التقدم والتكيف السليم مع حاجات العصر المتطورة.

أما تفصيلاً، فللتربية وظائف أخرى عديدة تتحدد بنوع مؤسسات المجتمع العديدة والمتنوعة. وسوف نتناول هذه الوظائف بالتفصيل عند عرض وسائط التربية ومؤسساتها.

٦ - أنواع التربية:

ثمة تصنيف للتربية يقرر أنها تنقسم إلى نمطين هما: **التربية المقصودة، والتربية غير المقصودة.** ويقصد بالتربية المقصودة تلك العملية التي تحصل داخل مؤسسات أنشأها المجتمع خصيصًا من أجل الغرض التربوي في ذاته، ولم تنشأ لغرضٍ غيره. أما التربية غير المقصودة فهي تلك التي تحصل في مؤسسات أو أماكن أخرى، ولم تنشأ ولم تؤسس خصيصًا من أجل الغرض التربوي في ذاته.

وحسب هذا التصنيف وفقًا لتطور الفكر التربوي وتاريخ التربية، فإن التربية في بداية الأمر -أي في العصور القديمة- كانت غير مقصودة، ومعنى ذلك أن عمليات التربية كانت تحصل تلقائيًا دون إنشاء مؤسسات خاصة لذلك الغرض، ولذا فإنه يقال: إن هذه التربية تعد تربية غير مقصودة؛ أي: إن المجتمع يربي أجياله بدون قصد أو غرض واضح وبيّن.

غير أن الأمر قد تبدَّل وتغيَّر علىٰ امتداد التاريخ، وبحكم التطور والتقدم وتعقد الثقافات وتشابكها، حاول المجتمع بعد ذلك أن يؤسس مؤسسات تربوية متخصصة في المجتمع، وأصبح لهذه المؤسسات طابع خاص، وأضحىٰ أهم ما يميز هذا الطابع هو التخصص في عمليات التربية في ذاتها؛ تلك المؤسسات التي أقامها المجتمع من أجل الغرض التربوي في ذاته يقال عنها: مؤسسات وظيفتها الأساس القيام بعمليات التربية المقصودة.

غير أن هناك ملحوظات علىٰ هذا التصنيف السابق للتربية من حيث كونها: مقصودة أو غير مقصودة، ومن أهم هذه الملحوظات أن التربية عملية اجتماعية نفسية تحصل من خلال مجال معين، وهذا المجال الذي تحصل فيه العملية التربوية يرتكز علىٰ عدة دعائم أساس هي عبارة عن: **مؤثر ومتأثر ووسيلة.**

ولكي تحصل العملية التربوية فلا بد من توافر هذه الدعائم الثلاث سابقة الذكر، وكذلك لكي تنتقل الخبرة التربوية ويتحقق الغرض منها لا بد من وجود تلك الدعائم الثلاث معًا في آن واحد؛ لأنها بمثابة الركائز التي تتم من خلالها الخبرة التربوية.

غير أنه من ناحية أخرىٰ لكي تحصل الخبرة التربوية ويكتمل نقلها لا بد من توافر عنصر آخر؛ وهو ما يسمىٰ **بالقصدية أو الغرضية**. وبدون توافر هذا العنصر الأخير فلن يكتمل نَقْل الخبرة التربوية.

ولكي نُلقي مزيدًا من الضوء علىٰ هذا الموضوع فإننا نقول: حينما نحاول نقل خبرة تربوية -أية خبرة- لشخص ما فلا بد أن نوجد عند هذا الشخص درجة معينة من التأثير حتىٰ تنتقل هذه الخبرة إليه، ومن ثم نطلق علىٰ هذا الشخص لفظ **(متأثر)**، وفي الوقت نفسه نطلق علىٰ الباعث لهذه الخبرة أو المصدر الذي ستصدر منه هذه

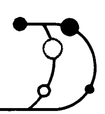
الخبرة لفظ (المؤثر) بمعنىٰ المصدر أو الباعث الذي يرسل خبرة معينة إلىٰ متأثر معيّن بقصد التأثير فيه وخلق الانطباع لديه تجاه موضوع ما.

وإذا أمعنا النظر في هذا الموضوع نلحظ أن الخبرة حينما تنتقل من المؤثر إلىٰ المتأثر تتطلب توافر عنصر القصد، إما من جانب المؤثر أو من جانب المتأثر، أو من كليهما معًا في آن واحد. ونزيد الأمر وضوحًا فنقول: إنه في الخبرة التربوية إذا انتقلت هذه الخبرة من مؤثر إلىٰ متأثر فلا بد أن يكون أحدهما علىٰ الأقل قد قصد نقل هذه الخبرة بوسيلة أو بأخرىٰ، وفي أي وسط كان.

والدليل علىٰ ما سبق أنه إذا افترضنا أن مؤثرًا ما قد خرجت منه خبرة ما عن غير قصد، واستقبلها المتأثر بأسلوب ما، وتمثلها ووعاها؛ فإن المتأثر في هذه الحالة يكون قد توافر لديه عنصر القصد أو الغرض أو الهدف.

٧ – وسائط التربية ومؤسساتها: (المهمات والعوائق):

التربية عملية لا تنفرد بها مؤسسة واحدة من مؤسسات المجتمع، ولا تستطيع القيام بها دون مساعدة ومساندة من المؤسسات الأخرىٰ، بل إن علىٰ كل مؤسسة جانبًا من المسؤولية التربوية. ورغم تعدد تلك المؤسسات وتنوعها -خاصة في المجتمع المسلم كالمدارس والحلقات والمراكز والنوادي الشبابية- فإن العرض هنا سوف يقتصر علىٰ أكثر هذه المؤسسات ذيوعًا وانتشارًا؛ وذلك علىٰ النحو الآتي:



أولاً: الأسرة:

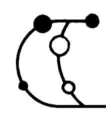
تعتبر الأسرة من أهم المؤسسات التربوية في المجتمع، وتتأتى هذه الأهمية الكبيرة للأسرة تربويًا من كونها أولى المؤسسات التربوية التي تتعامل مع الفرد البشري بعد ولادته، لا سيما أن هذه المرحلة تتسم بالعجز شبه التام والاعتماد الكلي على الآخرين.

ولقد عبر القرآن الكريم عن ذلك بقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴾ [الروم: ٥٤]. فجعل بداية حياة الإنسان من ضعف.

وزمن هذا الضعف -مرحلة الطفولة- نسبة للعمر الإنساني يعد من أطول مراحل الطفولة بين سائر المخلوقات، لذا فإن الأسرة باعتبارها المؤسسة المسؤولة عن الفرد الإنساني في هذه المرحلة تعد أهم المؤسسات التربوية في تلك المرحلة.

والأسرة هي أقدم المؤسسات التربوية في المجتمع على الإطلاق؛ إذ إن تكوين الأسرة أمر غريزي فطري، أوجده الله في الإنسان منذ بدء الخليقة، بل جعله مصدر الراحة والسكن له؛ فقال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[الروم: ٢١].

ولقد أدرك الإنسان أنه مهما طال به العمر فلا بد من الفناء، مما جعله يسعى جاهدًا إلى تحقيق بقائه المعنوي أكثر من المادي عن طريق تكوين الأسرة، باعتبارها وسيلة لإنجاب الأولاد والأحفاد الذين يعتبرهم الفرد امتدادًا له ورموزًا تحمل اسمه، كما ارتبط تكوين الأسرة بإيمان الفرد بضرورة وجوده في جماعات يربطها رباط



الرحم؛ وذلك ليستطيع أن يواجه كوارث الطبيعة وتحدياتها، ويضمن استمرار بقاء هذه الجماعات. وبجانب هذه الوظيفة، تعمل الأسرة كذلك علىٰ:

(أ) تحقيق الأمن والطمأنينة لأفراد الأسرة:

يشعر أفراد المجتمع من جراء وجودهم في أسر معينة ومترابطة بروابط قوية بنوع من الاستقرار والأمن؛ إذ يكفل لهم ذلك وجود من يذود عنهم ويحافظ عليهم، ويقف معهم عند العثرات والأزمات، إذ إن الوجود في أسرة يضمن صلة الأرحام، ويجعلهم ذوي شوكة قوية يُخشىٰ جانبها، وبها يحدث التعاضد والتناصر، وتعظم رهبة العدو لهم.

ويدل علىٰ ذلك ما حكاه القرآن الكريم عن إخوة يوسف عليه السلام حين قالوا لأبيهم: ﴿لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾ [يوسف: ١٤]. والمعنىٰ أنه لا يتوهم العدوان علىٰ أحد مع وجود العصبة وصلة الرحم؛ وذلك لما تحققه العصبة من منعة وقوة، وفائدة تعم الجميع، وتضمن للكل البقاء والاستقرار.

(ب) إكساب أفراد الأسرة القيم الإسلامية والخلقية والثقافية التي يتمثلها المجتمع:

تمثل الأسرة المرآة التي تنعكس عليها هوية المجتمع الموجودة فيه، وذلك بما تحتويه هذه الهوية الثقافية من قيم وعادات وتقاليد ومعارف يستقيها أفراد الأسرة - خاصة الصغار منهم- فيتعلمون فكرة الصواب والخطأ، كما يتعرفون علىٰ الأنماط السلوكية التي يجب أن يتمثلوها في حياتهم، كما يتعلمون ما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات، وكيف يتعاملون مع غيرهم.

وعن أهمية هذه الوظيفة وخطورتها قال الرسول ﷺ: «**ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يُهوِّدانه أو يُنصِّرانه أو يُمجِّسانه؛ كما تُنتَجُ البهيمةُ بهيمةً جمعاء[1]، هل تحسون فيها من جدعاء؟[2]**»[3].

وتتأتى المحافظة على ثقافة المجتمع وهويته من خلال الخبرات التي يعيشها الأفراد خلال عملية التنشئة الاجتماعية، والتي تؤدي إلى تمثُّل قِيَم المجتمع الرئيسة ومعتقداته، والتي يجب أن تكون المعيار الأساس لتقويم السلوك الإنساني.

(ج) الإنماء النفسي لأفراد الأسرة:

الأسرة مسؤولة إلى حد كبير عن النمو النفسي لأفرادها؛ فهي مسؤولة عن كثير من السمات الشخصية المكتسبة لأفرادها؛ كالعدوان، والانبساط، والانطواء، وغيرها من سمات. فالأسرة المستقرة التي تشبع حاجات أفرادها بصورة متوازنة يخرج منها أفراد أسوياء، أما تلك الأسرة المضطربة فإنها تكون مرتعًا خصبًا للانحرافات السلوكية والأخلاقية والاضطرابات النفسية.

(د) إشباع الحاجات الأساس لأفراد الأسرة:

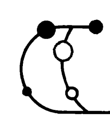
أولى الإسلام هذه الوظيفة عناية فائقة؛ إذ جعل من ذلك التكافل الكائن في الأسرة وسيلة لتحقيق هذه الكفالة، وقد رفع من منزلة هذه الكفالة حتى جعلها في مرتبة الجهاد؛ إذ يقول بعض الصحابة وقد رأوا شابًا قويًا يسرع إلى عمله: لو كان هذا

---

(١) أي: مكتملة الأعضاء.

(٢) أي: مقطوعة أحد الأطراف.

(٣) أخرجه البخاري (١٣٥٨).



في سبيل الله! فيقول الرسول ﷺ: «إِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَىٰ عَلَىٰ وَلَدِهِ صِغَارًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَىٰ عَلَىٰ أَبَوَيْنِ شَيْخَيْنِ كَبِيرَيْنِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَإِنْ كَانَ يَسْعَىٰ عَلَىٰ نَفْسِهِ يُعِفُّهَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ رِيَاءً وَمُفَاخَرَةً فَهُوَ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ»(١).

ولقد حض الإسلام علىٰ ذلك التكافل بين الفرد وأسرته فقال تعالىٰ: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾[الأحزاب: ٦]، كما خص الآباء بتلك الكفالة فقال تعالىٰ: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾[البقرة: ٢٣٣].

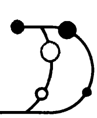
وقيمة هذا التكافل في محيط الأسرة أنه قوامها الذي يؤدي بها إلىٰ التماسك، ومن ثَمَّ يؤدي إلىٰ التماسك الاجتماعي؛ حيث إن الأسرة هي اللبنة الأولىٰ في بناء المجتمع، وهي تقوم علىٰ عواطف الرحمة والمودة، ومقتضيات الضرورة والمصلحة المشتركة.

(هـ) التوفيق بين الخبرات التي يتعرض لها أفراد الأسرة:

قد يواجه الفرد من مؤسسات المجتمع الأخرىٰ أفكارًا متباينة، لا سيما من جراء الاتجاهات الفكرية المتباينة في المجتمع، أو من خلال الثقافات الوافدة عبر السماوات المفتوحة والقرية الكونية في ظل ثورة الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات، الأمر الذي يؤدي في كثير من الأحيان إلىٰ الزيغ والتردد من جراء هذه الخبرات، ويصبح علىٰ الأسرة -باعتبارها إطارًا مرجعيًا- أن تحسم هذا الزيغ

---

(١) أخرجه الطبراني ١٩/ ١٢٩ (٢٨٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٤٢٨).



والتردد؛ وذلك من خلال إتاحة المناخ الشوري للفرد لمناقشة ما يراوده من أفكار مع من يكبره سنًا من أفراد أسرته، وفي إطارٍ من تواصل الأجيال لا صراعها.

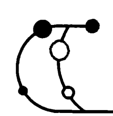
(و) تقديم القدوة الحسنة: ويمكن أن يتحقق ذلك من خلال:

١. تعويد الأولاد علىٰ حضور المناسبات الاجتماعية وتشجيعهم علي ذلك؛ لأن هذا يساعد الطفل في التعرف علىٰ المجتمع؛ حيث يلتقي الطفل بالكبار فيتعلم منهم بعض معايير المجتمع وقيمه، كما يلتقي بالصغار فيلعب ويفرح معهم، كما يتعلم الطفل من أبيه ألفاظ المشاركة الوجدانية، وفي كل هذا ينمو الطفل قادرًا علىٰ الاندماج في المجتمع ومن ثم التفاعل معه.

٢. تربية الولد علىٰ إحسان معاملة والديه؛ فإذا تعود الولد علىٰ حسن التعامل مع والديه قاده ذلك إلىٰ حسن التعامل مع المجتمع، والعكس صحيح؛ فإذا أساء الطفل معاملة والديه فمن باب أولىٰ أن يسيء إلىٰ المجتمع الذي يعيش فيه.

٣. اصطحاب الطفل خارج البيت ليلتقي بأقرانه فيحصل التعارف والاختلاط والاندماج، فيتعود الطفل علىٰ أن يعيش مع المجتمع وليس بعيدًا عنه.

٤. تعليم الأولاد الآداب الاجتماعية، ومنها: حفظ اللسان عن الهمز، والعين عن اللمز، والقلب عن الحسد والغل والكراهية، وغيرها من الصفات المذمومة التي إذا انتشرت في المجتمع جعلته أجزاءً متباعدة، بدلاً من كونه جسدًا واحدًا، أو بنيانًا مرصوصًا. ويلحق بهذه الآداب أيضًا تربية الطفل علىٰ توقير الكبير، وقضاء حاجات الآخرين، وتعويده علىٰ رد الجميل، وكذلك علىٰ إلقاء السّلام ورده، ومراعاة مشاعر



الناس، وبخاصة الجيران.

٥. إرشاد الأطفال إلىٰ البعد عن الأخلاق الرديئة، مثل: التشاجر، والسب، والطعن، والضرب، والتعصب للرأي، وما شابه ذلك، ومن ثم علىٰ المربي إرشادهم إلىٰ التحلي بالأخلاق الإسلامية من: الصبر، والحلم، والمودة، والتصافي، والتسامح.

٦. التزام أفراد الأسرة -الكبار- بالممارسة العملية لتطبيق الشعائر الإسلامية، مع دعوة الأولاد للقيام بمثل ذلك.

٧. تشجيع أفراد الأسرة -خاصة الصغار- علىٰ عمل الخير، وحثهم علىٰ العطاء بدون مقابل.

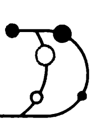
٨. توضيح ما هو فاسد ومجافٍ للخير والنُّبْل من الأعمال بالحكمة والموعظة الحسنة والليونة في المناقشة والحوار.

٩. عرض صور من حياة الرسول ﷺ، ومواقفه هو وأصحابه ﷺ، ومن أتىٰ بعدهم من رجال المسلمين العظماء؛ للاقتداء بهم وبمواقفهم في العدل مع المخالف واحترام حقوقه.

١٠ تعليم قيم العدل والإحسان تجاه كل ما حوله من مخلوقات.

١١ ورغم ما تقوم به الأسرة من وظائف ومهمات، إلا أنه قد توجد بعض العوامل التي تؤثر سلبًا عليها، مما يعوقها عن أداء رسالتها علىٰ الوجه الأمثل، ولعل أهم هذه العوامل باختصار تتمثل في:

أ- غياب الأب عن المنزل مددًا طويلة نسبيًا لأي سبب؛ الأمر الذي قد يعرض



الأطفال لبعض المشكلات والأمراض النفسية والاجتماعية.

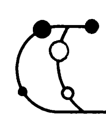
ب- الحرمان العاطفي للطفل بسبب خروج الأم للعمل، وترك الطفل لمربيةٍ، أو مع جيران المنزل.

ج- انتشار الأمية الشرعية والثقافية بين الآباء والأمهات، مما ينعكس نقصًا علىٰ الطفل وتربيته وتهيئته للعيش في عالم اليوم والغد.

د- الصراع بين عموم الأولاد من إخوة وأخوات داخل الأسرة، نتيجة الازدواجية في معاملة الوالدين للأولاد، أو شعور بعض الأولاد بالنقص.

هـ- التعاسة الزوجية والتفكك الأسري، مما قد يؤدي إلىٰ نمو الأولاد نموًّا نفسيًا غير سليم.

و- الحماية الزائدة أو الإهمال، والدلال أو التسلط والعنف، وتفضيل الذكر علىٰ الأنثىٰ أو العكس، مما قد يُعوِّد الفرد علىٰ الإذعان والخضوع والتخاذل.



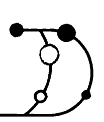
ثانيًا: المسجد:

يعد المسجد أول مؤسسة تعليمية عامة في الإسلام، يدخل للصلاة فيه والدراسة كلُّ من تهفو نفسه إلىٰ ذكر الله، ويتطلع عقله إلىٰ نور العلم وطمأنينة الحقيقة، لذا كان أصحاب رسول الله ﷺ أول المتعلمين في المساجد؛ يتحلّقون حول أفقههم علمًا وأوعاهم لكتاب الله حفظًا وتدبرًا، يأخذون عنه ما يزيدهم إيمانًا وما يبصرهم بأمور دنياهم، لتكون دنيا المسلمين وأخراهم علىٰ أفضل ما يرضي الخالق ويسعد المخلوق.

وكان للمسجد في صدر الإسلام وظائف جليلة، أهمل المسلمون اليوم الكثير منها؛ فقد كان منطلقًا للجيوش، وبيتًا لاستقبال الوفود، ومركزًا تربويًا يُربَّىٰ فيه الناس علىٰ الفضيلة وحب العلم، وعلىٰ الوعي الاجتماعي ومعرفة حقوقهم وواجباتهم في الدولة الإسلامية، وكان مركزًا للتعليم، ومصدر إشعاع خلقي يتشبع فيه المسلمون بفضائل الأخلاق وكريم الشمائل.

ومن الأهمية القول بأنه يوم أن كانت المساجد تؤدي واجبها الحقيقي مصدرًا للإشعاع والهداية كانت عزةُ الإسلام والمسلمين؛ فقد تخرج فيها الخلفاء، والأمراء، والقواد، والزعماء، والمحدثون، والفقهاء، والمفسرون، ورجال القضاء، وأساتذة اللغة والأدب، والمفكرون، والمثقفون، والدعاة، والعلماء في شتىٰ أنواع المعرفة ممن شهد لهم التاريخ بأنهم أصحاب التأثير العظيم في مسار عجلة الزمن وفي ثقافة الأمم وحضارة الشعوب، فهم:

(١) علماء: بما تحمله هذه الكلمة من عموم ـ لعلوم الدين والدنيا.

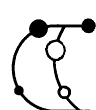


(٢) واجتماعيون: استطاعوا أن يتعايشوا مع جميع البشر باختلاف أجناسهم، ولغاتهم، وأقاليمهم، وبيئاتهم المتباينة؛ فوسعوهم بصدورهم، واستوعبوهم بأخلاقهم، وكسبوا عطفهم وأخوتهم، وحققوا معنىٰ هذه الآية واقعًا ملموسًا؛ قال تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: ١٣].

(٣) وسياسيون: حكموا العالم قرابة ثلاثة عشر قرنًا من المحيط إلىٰ المحيط، فكانوا خير ساسة عرفهم التاريخ.

(٤) وقادة مجاهدون: فتحوا الدنيا ولم يعرف العالم مثلهم فاتحًا، فاقترن بفتحهم نشر الفضائل والقضاء علىٰ الرذائل.

وفي ضوء ما سبق، فإن الواجبات التربوية التي ينبغي أن يحققها المسجد هي: تقديم الحقائق الشرعية في يُسْرٍ، مع توضيح انعكاساتها علىٰ الواقع المعاصر، واختيار المفاهيم التي تتناسب وسن الأفراد، وعرضها في أسلوب جذاب ومشوق، وتوفر القدوة الحسنة في الداعية أو الإمام داخل المسجد وخارجه، وحسن استثمار المساجد وأدواتها لتثبيت التربية وغرس العقيدة الصحيحة، وقيام المساجد بتوعية أفراد المجتمع بالأحداث التي تحيط بهم، وتوضيح مظاهر الحضارة الإسلامية، وإظهار الأثر الفعال الذي قام به المسلمون في حُقب التقدم والازدهار في كافة المجالات والتخصصات، والدعوة إلىٰ التوسط والاعتدال في سلوكيات الأفراد والنهىٰ عن التشدد والمغالاة، وتدعيم إحساس الفرد بالانتماء الديني إلىٰ أسرته ومجتمعه وأمته، وتركيز المساجد علىٰ المناشط المتنوعة التي تشبع حاجات أفراد المجتمع، ومعالجة مشكلات الشباب بما يتماشىٰ ومبادئ الدين، وتصحيح



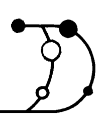
المفاهيم المغلوطة عن الإسلام، أو رد الشبهات والأباطيل التي يثيرها خصومه، وتركيز الدروس والخطب على علاج أمراض المجتمع، وتقديم الحلول لمشكلاته.

ورغم ما يقوم به المسجد من وظائف ومهمات، إلا أنه قد توجد بعض العوامل التي تؤثر سلبًا عليه؛ مما يعوقه عن أداء رسالته على الوجه الأمثل، ولعل أهم هذه العوامل باختصار تتمثل في:

أ- عدم ارتياد الأطفال والمراهقين المساجد بسبب غياب الأب عن المنزل أو افتقاد القدوة الحسنة فيه لعدم ذهابه هو للمسجد أو عدم صلاته أصلا.

ب- اتخاذ بعض الأئمة الإمامة والخطابة وظيفة، وليست رسالة.

ج- ضعف بعض الأئمة أو عجزهم عن توصيل المعلومة.



ثالثا: المدرسة:

إذا كانت المدرسة هي المؤسسة التي أنشأها المجتمع بغرض القيام بعملية تعليم أفراده وتربيتهم، فإن هذا لا يعني اضطلاعها بعبء التربية وحدها، وأنه لا توجد مؤسسات أخرىٰ تشارك المدرسة وظيفتها، لذا فالمدرسة إحدىٰ الوسائط التربوية النظامية التي أنشأها المجتمع لتحقيق أهدافه وبلوغ غاياته. ويمكن تلخيص بعض المهمات التربوية للمدرسة فيما يلي:

١. **تنمية شخصية المتعلم تنمية شاملة متكاملة متوازنة من خلال تربيته:**

إيمانيًا: من أجل إضافة فرد صالح للمجتمع، يرعىٰ حقوق الله وحقوق الآخرين، في السر والعلن.

جسميًا: بغية الوصول بالجسم إلىٰ قدر مناسب من الصحة العامة.

عقليًا: بغرض تنمية القدرات والعمليات العقلية المختلفة.

نفسيًا: بغرض التسامي بالنفس والوصول بها إلىٰ أعلىٰ مراتبها.

أخلاقيًا: بغية الوصول إلىٰ "مكارم الأخلاق"، أو "الخلق الحسن" أو "الخلق العظيم"، أو "خلق القرآن".

وجدانيًا: بغية الوصول إلىٰ حالة "الاتزان الوجداني أو الانفعالي".

ومن ثم تصبح المدرسة بيئة تربوية متميزة، لا تكتفي بنقل المعلومات، وحشو العقل بالعلوم والمعارف فحسب، بقدر ما تهتم بتربية الإيمان، والجسم، والعقل، والأخلاق، والوجدان؛ ليكون الفرد صحيح الإيمان، سليم الجسم، مكتمل العقل، مضبوط العاطفة، متزن الشخصية.

٢. المحافظة على ثقافة المجتمع وهويته:

لا شك أن لكل أمة تراثها الثقافي الذي يمثل ذاكرتها التاريخية، أو سجلها الحي أودعته تجاربها وخبراتها خلال حياة ممتدة بامتداد تاريخها. ولم تقم للمؤسسات التربوية النظامية قائمة إلا بعد أن تضخم التراث الثقافي وتشعبت ميادينه، وأصبح من الصعب الإحاطة أو الإلمام به. ومن ثم فقد كانت الثقافة إحدى القضايا التي ما زال يهتم بها النظام التعليمي بشتى مؤسساته وآلياته. وتأخذ الوظيفة الثقافية للمدرسة أشكالاً وصورًا متعددة: حفظًا، ونقلاً، وتيسيرًا، وتطويرًا، وتنمية. ومن ثم، تصبح وظيفة المدرسة تقديم ثقافة حية جديدة ومتجددة تجمع بين الأصالة والمعاصرة، وتربط بين الثابت والمتغير.

٣. التماسك الاجتماعي:

تتشكل معظم المجتمعات من جماعات يرتبط بعضها ببعض بدرجات متفاوتة، كما يتكون من طبقات اجتماعية، وطوائف، وأصحاب مذاهب، وديانات قد تختلف في: العادات، والاتجاهات، والأفكار والآراء، والقيم، والآمال والتطلعات، وقد تتعارض وتتشابك وتتصارع. وإزاء هذا تؤدي المدرسة واجبها المنشود في إيجاد حالة من التوازن بين عناصر البيئة الاجتماعية ومكوناتها وقطاعاتها؛ وذلك بإتاحة الفرص لكل فرد أن يتحرر من قيود الجماعة والطبقة الاجتماعية، على أن يكون أكثر تفاعلاً وتواصلاً مع مجتمعه وأمته. وحتى يمكن للمدرسة تحقيق التماسك الاجتماعي، فينبغي عليها: تقوية شعور التلاميذ بالتجانس، وتهيئة فرص النشاط أمام التلاميذ التي تجعلهم أكثر إحساسًا بأنهم يعملون لتحقيق هدف مشترك، وتقوية شعور التلاميذ بالانتماء والولاء، وتعميق روح التعاون والتفاهم، والتؤدة والأناة، والرحمة، ونشدان الحق والصواب.

ورغم ما تقوم به المدرسة من وظائف ومهمات، إلا أنه قد توجد بعض العوامل التي تؤثر سلبًا عليها، مما يعوقها عن أداء رسالتها علىٰ الوجه الأمثل، ولعل أهم هذه العوامل باختصار تتمثل في:

١ ضعف الإدارة المدرسية أو فوضويتها، مما ينعكس سلبًا علىٰ مستوىٰ مخرجات التعليم وتحقيق النظام التعليمي لأهدافه.

٢. مركزية الإدارة والبيروقراطية والرتابة في رسم السياسات ووضع استراتيجيات التنفيذ، وغياب التنسيق وتحديد الأولويات.

٣. قصور المناهج الدراسية عن مواكبة التقدم العلمي في المجالات المختلفة.

٤. ضعف الاهتمام بالأنشطة الصفِّية وغير الصفِّية.

٥. انتشار ظاهرة ممارسة العنف والعدوان بين الطلاب أو ضدهم.

٦ ضعف سلطة المدرس داخل الفصل، أو تغاضي المدرسين عن أخطاء الطلاب، والتهاون وعدم الحزم داخل الفصل.

٧. تقليد بعض الطلاب ومحاكاتهم للسلوك المنحرف -المكروه منه والمحرم- بعيدًا عن ضوابط الأسرة أو المدرسة.

رابعًا: وسائل الإعلام:

تؤثر وسائل الإعلام بكافة صورها -المقروءة والمسموعة والمرئية والجديدة- في العملية التربوية في المجتمع تأثيرًا بالغًا وباهرًا، وخاصة مع تطورها، واستخدام تكنولوجيا الفضائيات المتطورة بما تملكها من قدرة على التغطية، وتجاوز الحدود الزمنية والمكانية، وعدم اقتصارها على شريحة عمرية، أو مستوى تعليمي، أو قطاع جغرافي، بالإضافة إلى ما يميز منهجها الموازي من مميزات تفتقر إليها وسائط التربية الأخرى؛ حيث أصبحت تتسلل لكل مكان، وتفرض نفسها - دون استئذان - على كل أسرة مؤثرةً في جوانب حياتها المعاصرة. ومن ثَمَّ، تسهم وسائل الاتصال الجماهيري في نشر المعارف والأفكار بين أفراد المجتمع، كما يمكنها أن تعمل على تدعيم القيم المرغوب فيها، وكذا توضيح كثير من الأمور المتعلقة بالقضايا المجتمعية الملحة والطارئة، وتبصير قطاعات المجتمع باتجاهات المجتمع وموقفه الرسمي من مثل هذه القضايا.

ولعل ما يبرز أهمية الواجبات التربوية التي يمكن أن تقوم بها مثل هذه الوسائل: ما تقوم به العديد من الدول في استخدام وسائل الإعلام في العملية التعليمية؛ وذلك عن طريق تقديم موضوعات تعليمية فعالة من خلال برامج إعلامية موازية تمامًا لما يقدم في المؤسسات التعليمية، أو إنشاء مركز للتلفاز التعليمي مستقل تمامًا عن مؤسسة التلفاز العامة، أو من خلال تقديم برامج مهنية موجهةً هدفَها نحو زيادة مهارات العاملين في المجالات المختلفة.

وعمومًا، فإن الإعلام في المجتمع المسلم ينبغي - حتى يحقق أثره المنشود - أن يتمثل ما يلي:

١. أن تنبثق رسالة الإعلام من شمولية الإسلام وتصوره الكامل عن الحياة.

٢. التزام الصدق، ودعوة الناس إلىٰ الدين الإسلامي الذي أنزله الله؛ قال تعالىٰ فيمن يخالف ذلك: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٩].

٣. تضافر جهود الإعلام وتكامل مهماته مع بقية الوسائط التربوية الأخرىٰ.

٤. مخاطبة الناس علىٰ قدر عقولهم بالحكمة والموعظة الحسنة.

٥. انتقاء البرامج المناسبة والنافعة؛ وخاصة لكلٍّ من الطفل والمرأة.

٦. إيجاد حلول ناجعة لمشكلات المجتمع والأنماط السلوكية غير المرغوبة، بعد بيان مساوئها وآثارها علىٰ كل من الفرد والمجتمع.

٧. صناعة الأفلام الإسلامية والتاريخية التي تقدم الشخصية المسلمة كما صوَّرها القرآن والسنة، وجسَّدها السلف الصالح، بهدف توضيح سلوك حياة المسلم، وبهدف إكساب مهارات التصدي لمشكلات الحياة.

٨. ترشيد المادة الترفيهية لتحقيق أهداف التربية الإسلامية.

٩. تنمية الشعور بالمسؤولية التي يقرها الإسلام: أمام الله، وأمام الضمير، ثم أمام المجتمع؛ وذلك من خلال الكلمة الصادقة التي تنتقد كل باطل فتدمغه، وتكفل كل حق وتنشره.

١٠. الاهتمام الزائد بالبرامج الإسلامية ذات الجهود المنسقة فيما بينها لإبراز رسالة الإسلام علىٰ الساحة الثقافية، من خلال توضيح الإعجاز والعطاء القرآني الممتد، ومراعاته لحقوق الإنسان فيما يخص كلاً من الرجل والمرأة والطفل، وكل

ما من شأنه تزكية الفرد وربطه بدينه ووطنه وأمته.

١١. مواصلة الجهود لتنقية التراث العربي والإسلامي من كل الشوائب أو التشوهات أو الافتراءات التي لحقت بالأحداث أو الشخصيات على مر التاريخ، وزيادة العناية بجمع التراث وتحقيقه ونشره في طبعات ميسرة وبأسعار مناسبة للشباب.

١٢ المواجهة العلمية المنهجية المستمرة لكل ما ينشر أو يذاع في الخارج من افتراءات وادعاءات حول التراث الإسلامي.

ورغم ما تقوم به وسائل الإعلام من وظائف ومهمات، إلا أنه قد توجد بعض العوامل التي تؤثر سلبًا عليها، مما يعوقها عن أداء رسالتها على الوجه الأمثل، ولعل أهم هذه العوامل تتمثل في:

١. بث وسائل الإعلام لرسائل مناقضة لتلك التي يتلقاها الفرد في الأسرة أو المدرسة.

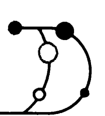
٢. انتشار برامج العنف وألعابه.

٣. نشر الشائعات والخرافات والأخبار الكاذبة، وتشويه الحقائق.

٤. تناول بعض فئات المجتمع بالسخرية، أو التقليل من هيبتهم على الأقل.

٥. ضعف التحكم فيما تبثه القنوات الفضائية من مواد مخالفة لتعاليم الدين الإسلامي.

٦. التأثير الغربي في توجيه الإعلام في المجتمع المسلم لخدمة أهدافه ومصالحه.



٨ - أساليب التربية:

لقد رسم الإسلام للتربية منهجًا متكاملاً يتناول الإنسان من جميع نواحيه، وقد تعدَّدَتْ أساليب هذا المنهج ووسائله لتحقيق أهداف التربية الإسلامية لتشمل على سبيل المثال لا الحصر:

١) القدوة أو الأسوة الحسنة:

تُعدُّ القدوة التي يقتدي بها الإنسان من أهم المؤثرات في تربيته؛ لأنها تبني المرء إن كانت صالحة خيرة، وقد تهدمه إن كانت سيئة شريرة. لذا يؤكدها القرآن الكريم تأكيدًا قويًا لما لها من أهمية في مسلك الإنسان ثم تقرير مصيره؛ يقول تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١]. والقرآن إذ يركز على ضرورة الاقتداء بالرسول ﷺ باعتباره أسوة حسنة، فإنه لا بد أن يتخذ كل داعية إلى الله من هذه القدوة طريقًا لتحقيق أهدافه؛ فعليه أن يتمثل المنهج الذي يعلمه ويربي به حيث يربي على هديه، ولا يظهر منه تناقض بين قوله وعمله، وإلا فإن التربية تنقلب إلى حفظ وتلقين دون أي أثر عملي لها.

ويؤكد علماء النفس أن للقدوة أثرًا كبيرًا في التربية؛ لأن النموذج المحتذَى يجذب الانتباه إلى جوانب الموقف التعليمي، وبناء عليه فينبغي على القائمين بالتربية أن يتعرفوا على القيم التي ينبغي أن تغرس فيمن يقومون بتربيتهم ويجعلون من أنفسهم قدوة ونماذج تُحتذى، ولا شك أن القدوة الحسنة هي أفضل وسائل التربية وأقربها إلى النجاح في بناء شخصية المسلم؛ فبالقدوة يتعلم الطفل الصلاة ويواظب عليها عندما يرى والديه يواظبان على أدائها في أوقاتها، وبالقدوة يتعود الطفل

أداء الحقوق كاملة، وبالقدوة يشبّ الطفل علىٰ الصفات الحميدة التي وجدها في أهله وفي مدرسته وإخوته الكبار، وهكذا.

٢) الموعظة والنصح:

إن المستقرئ للقرآن الكريم يجد أنه كله تربية وموعظة، فخير موعظة هي موعظة القرآن، والملحوظ في الموعظة القرآنية أنها صدرت من حكماء كبار أو والدين أو أنبياء ورسل، وقد تصدر عن الله للعباد كما في موعظة الله لنوح، وقد تأتي الموعظة من الأصغر للأكبر سنًا كما في موعظة إبراهيم لأبيه، وهذا يدل علىٰ أنها طريقة عظيمة من طرق التربية الإسلامية ما دامت نابعة من عقيدة صالحة ومؤمنة بالله.

وحتىٰ تكون الموعظة والنصح مؤثرين بالغي التأثير في نفس المخاطب، ينبغي أن يُؤخذ في الاعتبار الفطرة في الإنسان الذي هو علىٰ استعداد لأن يصغي، ويرغب في سماع النصيحة من محبيه وناصحيه، فما لم يكن النصح والوعظ صادرًا من القلب وإلىٰ القلب، فتأثيره يكون ضعيفًا أو معدومًا تقريبًا.

ويعد هذا الأسلوب من أكثر الأساليب التربوية تداولاً بين الآباء والمربين، وتستوعبه أشكال كثيرة ومختلفة؛ كخطب الجمعة ونصائح الآباء وتوجيهات المربين، وعلىٰ المعلمين والآباء وخطباء المساجد وغيرهم عند استخدام الموعظة والتوجيه المباشر أن يتوافر لديهم الصدق في القول والعمل والإخلاص في النصيحة حتىٰ يكون لها أثر فعال في التربية الأخلاقية.

٣) التربية بالقصة:

للقصة أثر عظيم في نفوس المتلقين وخاصة إذا وضعت في أسلوب عاطفي مؤثر، وعندما تكون ذات قيمة، ويكون لصاحبها تأثير وشهرة. والقصة القرآنية من طرق

التربية الإسلامية المؤثرة والفعالة، ذلك أن شخصيات هذه القصص واقعية لكل عصر، وعليه فإن المربي الجيد هو الذي يمكنه أن يستثمر هذه المواقف وتلك الشخصيات في تحقيق أهداف التربية الإسلامية.

ولقد سلك رسول الله ﷺ وهو يربي الأمة المسلك القرآني نفسه، فكان القصص النبوي رافدًا من روافد التربية الإسلامية، فيه القصة القصيرة، وفيه الطويلة الواضحة المؤثرة، ومن أمثلة القصص النبوي قصة الرجل الذي ملأ خفه ثم أمسكه بفيه ليسقي الكلب، فشكر الله له فغفر له[1]. ففي هذه القصة القصيرة يشير ﷺ إلىٰ أن المعاملة الطيبة والرفق والشفقة أمور ليست مطلوبة من الإنسان إلىٰ الإنسان فحسب، بل مطلوبة أيضًا من الإنسان للحيوان ولكل ذي حياة، ومن ثم فإن للقصص القرآني والنبوي أثرًا كبيرًا في غرس القيم الأخلاقية المُرغَّب فيها في نفوس النشء والشباب.

٤) الأمثال والأشباه:

تؤدي الأمثال والتشبيهات مهمة بالغة التأثير في العواطف وفي السلوك الإنساني فيما لو استعملت بحكمة وفي الظروف المناسبة، ولعل هذه الطريقة يمكن أن تنسحب علىٰ استخدام التربية للوسائل التعليمية بكافة أشكالها؛ حيث تستخدم الخبرة العرضية أو البديلة عن الخبرة الأصلية أو المباشرة مع التدرج في مستويات الخبرة، ولذلك أبرزها القرآن واهتم بضرب الأمثال؛ قال تعالىٰ: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[الحشر: ٢١]، ويوجهنا القرآن الكريم إلىٰ استخدام الأمثال باعتبارها طريقة فعالة لتحقيق الأهداف التربوية، فهي أوقع في النفس وأبلغ في الوعظ وأقوىٰ في الزجر وأقوم في الامتناع. وقد أكثر الله تعالىٰ من الأمثال في القرآن

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٣٦٣).

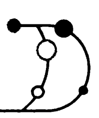
للعبرة والتذكرة، وقد ضربها النبي ﷺ في حديثه، واستعان بها الداعون في كل عصر لنصرة الحق وإقامة الحجة، ويستعين بها المربون ويتخذونها من وسائل الإيضاح والتشويق ووسائل التربية في الترغيب أو الترهيب أو التغيير في المدح أو الذم.

٥) الترغيب والترهيب أو الثواب والعقاب:

قرر القرآن مبدأ الثواب والعقاب؛ فيثاب المصيب علىٰ إصابته، ويعاقب المنحرف علىٰ انحرافه. والتربية الإسلامية تُقِرُّ العقوبة علىٰ الانحراف والإثابة علىٰ الصواب، إلا أن العقوبة هنا مشروعة لتعديل السلوك وما عجزت الطرق الأخرىٰ عن تكوينه وتعديله؛ فربما تستطيع العقوبة والثواب أن تقوم بهذا التكوين والتعديل، ومن الحكمة القرآنية أنه يستعمل قبل إيقاع الثواب أو العقاب أسلوب الترغيب والترهيب.

وهذا الأسلوب يُعَدُّ من الأساليب التربوية التي لا يستغني عنها المربي في كل زمان ومكان، ولا يمكن أن تحقق التربية أهدافها ما لم يعرف الإنسان أن هناك نتائج مؤكدة وراء عمله وسلوكه؛ فإن أجاد المتعلم فإنه يثاب إثابة حسية ومعنوية قريبة من حياته حتىٰ تنتج أثرها فعلاً، أما إذا وقع خطأ فإنه يسامح ويعفىٰ عنه أولاً، ثم إذا تكرر الخطأ فإن العقوبة هي الحل؛ ولعل هذا مستنبط من قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّ﴾[النساء: ٣٤]. فالرجل يمارس هذا الحق بفضل قوامته علىٰ المرأة كما يمارسه المعلم علىٰ المتعلم بفضل قوامة المعلم علىٰ المتعلم.

وعلىٰ هذا الأساس يتضح أن الترغيب نوعان: معنوي ومادي، ولكلٍّ درجاته؛ فابتسامة الرضا والقبول، والتقبيل والضم والثناء وكافة الأعمال التي تُبهج الطفل هي ترغيب في العمل. وقد يكون تقديم المثوبة المعنوية علىٰ المادية أولىٰ؛ حتىٰ نرتقي



بالطفل عن حب المادة، وأحيانًا يُفَضَّل أن تكون المثوبة من جنس العمل؛ فإن كان العمل ماديًا نكافئه ماديًا والعكس بالعكس.

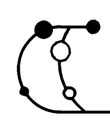
وهناك ضوابط خاصة تكفل للمربي نجاحه في استخدام الثواب أو العقاب، منها:

١. أن يكون الترغيب خطوة أولىٰ يتدرج الطفل بعدها إلىٰ الترغيب فيما عند الله من ثواب دنيوي وأخروي، فمثلاً يرغب الطفل في حسن الخُلق بالمكافأة ثم يقال له: أحسن خلقك لأجل أن يحبك أبوك وأمك، ثم يقال: ليحبك الله ويرضىٰ عنك. وكذلك الترهيب؛ فإن له درجات تبدأ بتقطيب الجبين ونظرة الغضب والعتاب، وتمتد إلىٰ: المقاطعة والهجر، والحبس، والحرمان من الجماعة أو الحرمان المادي، والضرب، وهو آخر درجاتها.

٢. أن لا تتحول المكافأة إلىٰ شرط للعمل: ويتحقق ذلك بأن لا يثاب الطفل علىٰ عمل واجب؛ كأكله أو ترتيبه غرفته، بل تقتصر المكافأة علىٰ السلوك الجديد الصحيح، وتكون دون وعد مسبق؛ لأن الوعد المسبق إذا كثر أصبح شرطًا للقيام بالعمل.

٣. أن تكون بعد العمل مباشرة في مرحلة الطفولة المبكرة، وفي ذلك إنجاز للوعد حتىٰ لا يتعلم الكذب أو إخلاف الوعد، وفي المرحلة المتأخرة يحسن أن نؤخر المكافأة بعد وعده ليتعلم العمل للآخرة، ولأنه ينسىٰ تعب العمل فيفرح بالمكافأة. وكذلك يجب إيقاع العقوبة بعد الخطأ مباشرة مع بيان سببها وإفهام الطفل خطأ سلوكه؛ لأنه ربما ينسىٰ ما فعل إذا تأخرت العقوبة.

٤. الاعتدال: فإذا كانت العقوبة هي الضرب فينبغي أن يسبقها التحذير والوعيد، وأن يتجنب الضرب علىٰ الرأس أو الصدر أو الوجه أو البطن، وأن تكون العصا غير غليظة، ومعتدلة الرطوبة، وأن يكون الضرب من واحدة إلىٰ ثلاث إذا كان دون



البلوغ، ويفرقها فلا تكون في محل واحد، وإذا ذكر الطفل ربه واستغاث به فيجب إيقاف الضرب؛ لأنه بذلك يغرس في نفس الطفل تعظيم الله. كما يجب أن يتولىٰ المربي الضرب بنفسه حتىٰ لا يحقد بعضهم علىٰ بعض. كما يجب علىٰ المربي أن يبتعد عن السب والشتم والتوبيخ أثناء معاقبته للطفل؛ لأن ذلك يفسده ويشعره بالذلة والمهانة، وقد يولد الكراهية، كما أن علىٰ المربي أن يبين للطفل أن العقاب لمصلحته لا حقدًا عليه.

٥. مراعاة الفروق الفردية: فلا بد أن يتناسب الثواب والعقاب مع عمر الطفل، ومع مقدار الخطأ، ومع شخصية الطفل، ومع جنس الطفل.

٦) التربية بشغل أوقات الفراغ:

من طرق التربية: إفراغ الطاقة التي تتجمع في النفس عن طريق الجسم؛ إذ إن الإنسان -بوصفه كائنًا عضويًا- جهاز معقد من الطاقة يستمد طاقته من الغذاء الذي يتناوله، ليصرفها بعد ذلك في أغراض عدة مثل الدورة الدموية، والتنفس، والهضم، والنشاط العضلي، والإدراك والتذكر والتفكير، وهذه الطاقة إذن يمكن أن يستفاد منها في عمل الخير، أو توجه لغيره، أو بمعنىٰ آخر تصلح للبناء وللهدم.

وقد حرص القرآن علىٰ توجيه هذه الطاقة النفسية فيما ينفع الإنسان لا فيما يضره؛ فيمكن للمسلم أن يستثمر فراغه باستمرار في التعلم والتزود بالمعارف العامة والمتخصصة، فيتردد علىٰ المكتبات العامة، أو علىٰ الندوات وقاعات المحاضرات، وذلك انطلاقًا من الأمر الإلهي ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ [العلق: ١]، ويمكنه إلىٰ جانب ذلك استثمار هذا الوقت في ذكر الله بقلبه ولسانه والتدبر في خلق الله وقراءة القرآن أو

سماع تلاوته، ويمكنه أن يمارس الرياضة البدنية بالاشتراك في النوادي أو في الرحلات، ويمكنه أن يشترك في الخدمات العامة التي تهدف إلىٰ ترقية المجتمع المسلم ومحو أمية أبنائه وإصلاح ذات البين بين المسلمين. وبهذا لا يجد المسلم من وقته ما يسوقه إلىٰ الشر أو يجرفه إليه كما في الحكمة المأثورة: (نفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل)[1]

٧) الأحداث الجارية:

الحياة الإنسانية كلها مواقف وأحداث، والإنسان في تفاعل مستمر مع هذه المواقف طالما هو علىٰ قيد الحياة، والمربي البارع لا يترك أحداث الحياة تمر أمامه دون أن يستفيد مما فيها من عبر ومواعظ ودروس؛ فيقدمها لأبنائه في حينها.

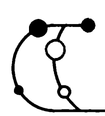
وتمتاز الأحداث الجارية في الحياة عن غيرها من وسائل التربية بأنها تحدث في النفس أثرًا كبيرًا وتنفعل معها النفس الإنسانية انفعالاً خاصًا، ولقد قام المنهج الإسلامي في التربية -كما في غزوة حنين- باستثمار الأحداث في التوجيه والتعليم، وتصويب الأخطاء، وفي تربية النفوس، وهكذا حتىٰ يتحقق هدف التربية الأعلىٰ: العبودية لله.

٨) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

إن الإنسان ذو إرادة حرة، وما دام الفرد الإنساني عضوًا في مجتمع فلا بد أن تكون هناك حدود لحريته تحددها مصلحة المجتمع، وعلىٰ هذا الأساس يفرض القرآن ضرورة التذكير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتواصي بالحق والصبر، وهو عمل يأتي من جانبين:

---

(١) الجواب الكافي لابن القيّم، ص ١٦٥.



فكل إنسان يتواصىٰ مع أخيه الإنسان في سبيل دفع عجلة الحياة إلىٰ سبيلها المنشود؛ إذ إن كلنا معلم وكلنا يتعلم في كل الأوقات، ولا يستغني بعضنا عن بعض؛ صغيرنا يتعلم من كبيرنا، وكبيرنا يتعلم من صغيرنا.

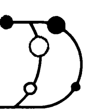
وهذا هو سبب خيرية الأمة كما قال تعالىٰ: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾[آل عمران: ١١٠].

٩) التربية بالعادة:

الإسلام منهج واقعي؛ فهو يعلم أنه إذا قام الإنسان بعمل شيء بطريقة منظمة أصبح عادة، والتعود يسهّل الأمور كثيرًا، فالصانع يتعود عملاً معينا يقوم به فيصبح عادة والزارع كذلك...إلخ.

والتربية بالعادة في الإسلام تحقق الترابط الاجتماعي من خلال تحويلها من عمل فردي إلىٰ عمل جماعي؛ كما يحدث في الصلاة والصيام، علىٰ سبيل المثال: انظر إلىٰ المساجد في صلاة الجمعة، وكذلك في رمضان. فعندما تتحول العادة إلىٰ عمل جماعي فإنه يضمن لها الدوام والاستمرار والحيوية، والمربي الواعي هو الذي يزرع في أبنائه التعود علىٰ أعمال الخير، والفلاح في أمور الدين والدنيا.

والتربية الإسلامية تستخدم العادة وسيلة من وسائلها، فيتحول الخير كله إلىٰ عادة تقوم بها النفس من غير جهد، وبغير كد وبغير مقاومة. وينشئ الإسلام مجتمعًا تعيش فيه الفضائل والقيم الإسلامية، وبذلك تصبح العادة عملاً فرديًا وارتباطًا جماعيًا في آن واحد، كما ينشئ منها نظامًا اجتماعيًا قوي الأسس متين البنيان.



١٠) الممارسة العملية:

للواقع العملي أثر بالغ في ترسيخ المفهوم النظري في نفس من يعاينه؛ قال تعالىٰ حكاية عن طلب إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

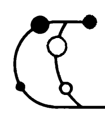
وكان النبي ﷺ يعطي النموذج المثالي للممارسة العملية أمام أصحابه، ويأمرهم بنقل ما رأوه إلىٰ الآخرين، وتعليمهم كما تعلموا، ومن هذا قوله ﷺ: «**وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلاَةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ**»(١). وهكذا ستظل أي تربية نظرية حبرًا علىٰ ورق ما لم تنقل إلىٰ الواقع التطبيقي؛ لأن مرور الفرد بالخبرات المباشرة يوفر له أسباب الفعالية والمشاركة؛ بما يتضمنه ذلك من: تفاعل مع الخبرة، ونشاط وانتباه، وتعلم بالعمل، وتعلم ذاتي يشجعه علىٰ التعلم المستمر.

وفضلاً عما سبق، فإن ثمة أساليب أخرىٰ للتربية مثل: الحوار، الإقناع، التدرج،...إلخ. ولأهمية هذه الأساليب للداعية المربي، فسيعرضها الفصل الرابع من هذا الكتاب تفصيلاً.



---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٣١).



المبحث الثاني
التربية الإسلامية

تشمل التربية الإسلامية -بصفتها علمًا تربويًا- فروعًا عديدة تعد بمثابة علوم فرعية لها؛ مثل: أصول التربية الإسلامية، وتاريخ التربية الإسلامية، وفلسفة التربية الإسلامية، والفكر التربوي الإسلامي...إلخ.

وإذا كانت الأسس التربوية المستمدة من الأصلين الكريمين:

(القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة) تمثل المجال الأصولي في التربية الإسلامية، فإن الفكر التربوي الإسلامي يمثل المجال الاجتهادي، ولا يمكن أن نستغني في دراسة التربية الإسلامية عن كلا المجالين؛ لأن الأصول الإسلامية للتربية المتمثلة في القرآن والسنة تمثل المرجعية الأساس التي نحتكم إليها إسلاميًا في معالجة الموضوعات التربوية، والفكر التربوي الإسلامي يمثل الأصول الاجتهادية للتربية الإسلامية.

ولعله من المفيد في البداية أن نشير إلى أن التربية الإسلامية نظام تربوي متكامل يقدم التصور الإسلامي لعلوم النفس والتربية؛ لأنه إذا كان الدين الإسلامي نظامًا متكاملاً للحياة، فمن البَدَهي أن التربية المستمدة من هذا الدين ينبغي أن تمثل نظامًا متكاملاً وشاملاً لكل جوانب التربية والتعليم.

واضح أن التربية الإسلامية هي علم تربوي يعالج كل مفاهيم التربية وقضايا التعليم من المنظور الإسلامي، وهي بهذا الفهم تشمل العديد من العلوم أو المواد التربوية، منها:

١-أصول التربية الإسلامية: وهو علم يهتم بدراسة الأصول الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والإدارية والنفسية للتربية من المنظور الإسلامي.

٢-تاريخ التربية الإسلامية: ويبحث هذا العلم في التطبيق العملي للتربية الإسلامية خلال العصور التاريخية المختلفة.

٣-فلسفة التربية الإسلامية: وهو علم يبحث في نظرة القرآن والسنة للقضايا والمفاهيم التربوية المختلفة التي يتناولها فيلسوف التربية، مثل: النظرة إلىٰ طبيعة الإنسان والمعرفة والقيم...وغيرها من الموضوعات التي تشكل إطارًا لفلسفة تربوية من منظور الإسلام.

٤-الفكر التربوي الإسلامي: ويدرس هذا العلم الأعمال الفكرية المختلفة لواحد أو أكثر من مفكري الإسلام لاستطلاع آرائهم في القضايا التربوية.

وبعد تلك المقدمة المختصرة، يتبين لنا أن التربية الإسلامية تعني: **(الآراء والمبادئ والمفاهيم والممارسات التربوية المستمدة من الأصول الإسلامية بالمناهج التربوية مستهدفة تربية إنسان عابد عامل طائع مؤتمر بأوامر الله مُنْتَهٍ عن نواهيه).**

والتربية الإسلامية بذلك علم تربوي قائم علىٰ الأسس الشرعية وفقه الواقع الإسلامي، ولا بد له من متخصصين يجمعون بين علوم الشريعة وعلم التربية، فلا

يكفي التخصص في علم واحد منهما كما نرىٰ في الساحة التعليمية والإعلامية التي تشهد كثيرًا من الذين قدموا بعض المطبوعات المتداولة تحت اسم (التربية الإسلامية)، وربما كان فيها ما لا يرضي الله ولا يستقيم مع المنهج العلمي، كما أنها تفرض الالتزام بأصول الشريعة وبالمنهج التربوي وبالمعالجة الإسلامية لقضايا التربية عن طريق العقل المنضبط بأصول الشرع والتحليل العلمي، بعيدًا عن الألفاظ الخطابية والعبارات الرنانة التي تناسب العامة لا طلاب العلم.

وعطفًا علىٰ هذا التعريف يتناول هذا المبحث العناصر الأربعة الآتية:

- **مصادر التربية الإسلامية.**
- **أهداف التربية الإسلامية.**
- **جوانب التربية الإسلامية.**
- **خصائص التربية الإسلامية.**

١- مصادر التربية الإسلامية:

تستمد التربية الإسلامية -بصفتها علمًا تربويًا يجمع بين الشريعة والتربية- شموليتها من مصادر التشريع الإسلامي، والتي تستنبط منها جميع أنظمة الحياة. وسنعرض إجمالاً لهذه المصادر على النحو الآتي:

١) القرآن الكريم:

القرآن الكريم هو أساس الدين، ومصدر التشريع، وحجة الله البالغة في كل عصر ومصر، وهو كلام الله الذي نزل به الروح الأمين على قلب رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ، بألفاظ عربية وأساليب واضحة تحدَّتْ العرب رغم فصاحتهم: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥].

ولقد توارثت الأمة حفظ القرآن ودراسته، والعمل به وتدوينه، ونقله بالكتابة على مر الدهور؛ جيلاً بعد جيل من غير تحريف أو تبديل، وذلك مصداق قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[الحجر: ٩].

.والقرآن الكريم كتاب هداية يشتمل على أصول الشريعة وقواعدها من الحلال والحرام، وفيه من العلوم والمعارف ما أثبت العلم الحديث كثيرًا من حقائقها المغيبة، وفيه من حقوق الإنسان ما ينشده أي مجتمع؛ ففيه التفصيل والتبيان لكل شيء: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾[الأنعام: ٣٨].

ومما تجدر الإشارة إليه هنا: أن التربية الإسلامية ينبغي أن تكتسب شموليتها من شمولية مصدرها نفسه؛ فهي نظام شامل يضم جوانب الحياة كلها: (عَقَدية، وعبا

دية، ووجدانية، واجتماعية، واقتصادية، وسياسية، وثقافية). كذلك فإن تدعيم الثقافة الإسلامية يتطلب من كافة المؤسسات التربوية العودة إلىٰ ذلك المصدر الأساس -حتىٰ لو لاقت الكثير من العناد والاضطهاد- إذا أرادت الأمة الإسلامية سبيل العزة والرقي التي فقدوها بعد هجرهم للقرآن وتعاملهم معه تعاملاً شكليًا فحسب؛ فالقرآن الكريم هو معين التربية الأول، بل إنه معين الحياة كلها.

٢) السنة النبوية:

يقصد بالسنة النبوية: ما أثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة أو سيرة. والسنة بذلك - إذا نقلت إلىٰ الأمة الإسلامية بسند صحيح - هي الأصل الثاني من أصول الأدلة الشرعية، ومنزلتها تلي منزلة القرآن الكريم في الحجية، ومن ثم يجب إتباعها كالقرآن، وفي هذا يقول سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧].

وبهذا، فإن السنة لا تعارض القرآن بوجه ما؛ لأن الله تعالىٰ افترض طاعة رسوله، وجعلها من طاعته عز وجل؛ قال تعالىٰ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]. وعلىٰ هذا لا يحل لمسلم علم ما في الكتاب وما في السنة أن يخالف أيًا منهما، أي أنه لا فرق بين حكم أوحىٰ الله به في القرآن الكريم وحكم صدر من رسوله الأمين ﷺ؛ فقد قال تعالىٰ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣ - ٤].

٣) الاجتهاد:

القرآن الكريم والسنة النبوية هما المصدران التشريعيان اللذان يستنبط منهما الفقهاء الأحكام الشرعية لأفعال المكلفين، فإذا لم يجد الفقيه فيهما بغيته يجتهد، وما أكثر

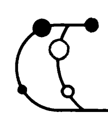
الآيات القرآنية التي تدعو لإعمال العقل، ومن ثم الاجتهاد، الذي يعتبر جوهر الإسلام واستمرار رسالته وصلاحيتها عبر الزمان والمكان.

ويتضح لنا من هذا أن التربية الإسلامية تشمل أيضًا اجتهادات المسلمين في الحقل التربوي مهما كانت تخصصاتهم أو مذاهبهم أو مناهجهم أو بيئاتهم أو...إلخ. وإسهامات المسلمين في حقل التربية غزيرة لكنها -بالمعايير الإسلامية- تجمع بين الصحيح والسقيم، بخاصة كتابات البعض في عصور الضعف والتخلف؛ ففيها تكرار فضلاً عن آراء تحمل أوهامًا تسربت من ثقافات غير إسلامية وقَبِلَها المسلمون.

وهذا الفكر التربوي الذي قدمه المسلمون لا نقبله مطلقًا، ولكن نأخذ منه ما يتفق مع القرآن الكريم والسنة الشريفة، وما يحقق المنفعة في تربية المسلمين، فالانتقاء والتحليل لآراء المسلمين أمران ضروريان ، وهذا اتجاه أكده القرآن الكريم الذي بيّن أهمية الدليل والبرهان وإعمال العقل عندما نتناول الاجتهادات البشرية القابلة للصواب والخطأ؛ إذ لا عصمة لغير أنبياء الله وخاتمهم معلم هذه الأمة عليه الصلاة والسلام.

وللأسف قد نرىٰ من المسلمين من يذكر آراء تربوية لا تمت إلىٰ الكتاب والسنة بصلةٍ، وإنما تنسب إلىٰ بشر يخطئون ويصيبون، ويقطع بأنها الصواب في مجال التربية الإسلامية لأن اسم صاحبها يُسبق بأحد الألقاب الدينية أو يُنسب إلىٰ أحد المذاهب، وهذا لون من التعصب يرفضه الإسلام؛ لأن الكتاب والسنة هما المعيار لكل صواب، وهما المقدمان علىٰ كل اجتهاد.

ولا شك أن الاجتهاد ضروري في حقل التربية الإسلامية، خاصة وأن المستجدات التربوية تتجدد أحيانًا بتجدد الزمان والمكان، ومن ثم فالمصادر



الفرعية توسع دائرة التربية الإسلامية بشرط الالتزام بالضابطين السابقين، وأعني بذلك أن يكون الاجتهاد تحت مظلة الكتاب والسنة، وأن يحقق نفعًا للمسلمين، وبهذا تكتسب التربية الإسلامية مرونة أمام المتغيرات، فتغير وتجدد من أساليبها وطرائقها مع المحافظة علىٰ مبادئها والالتزام بأهدافها الأساس النابعة من القرآن الكريم والسنة الشريفة، وبالمحافظة والتجديد تبقىٰ التربية الإسلامية السبيل الأوحد لنهضة إسلامية تعلي من شأن الدين وتدعو إليه وتنفع المسلمين في الأولىٰ والآخرة.

٢ – أهداف التربية الإسلامية:

الأهداف التربوية هي منطلق النشاط التربوي في الإسلام ولا يمكن تفسير هذا النشاط بغير الرجوع إلىٰ الأصول الإسلامية التي نبع منها التصور الإسلامي للتربية وأثرها في المجتمع.

يقدم لنا القرآن الكريم الغاية والهدف الكلي للخلق والنشاط الذي يملأ حياة الإنسان كما يبدو من قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]، فالإنسان لم يخلق إلا للعبادة، ونشاطاته التي يقرها الإسلام لا تخرج عن نطاق العبادة، وليست العبادة التي خلق الله الإنسان لها محصورة في العبادات المفروضة فقط، وإلا كانت التربية الإسلامية تربية أخروية لا تهتم بغير الآخرة والعبادات المتصلة بها، ولما كانت التربية الإسلامية تربية للدنيا والآخرة فإن العبادة في الآية الكريمة كما يقول ابن تيمية هي: (اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة؛ فالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد للكفار والمنافقين، والإحسان إلىٰ

الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم، والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة)[1]

ويعني ذلك تربويًا أن الهدف الكلي للتربية في الإسلام هو: **تربية العابد العالم، المؤتمِر بأوامر الله، المنتهي عن نواهيه، المرتبط بمبادئ الإسلام في كل سلوكياته.**

ومن الطبعي أن يكون الإنسان العابد عاملاً عالمًا؛ لأن الإنسان خليفة في الأرض، والخلافة تقتضي العمل وتحمل الأعباء، والعبادة ترقىٰ بالعلم في الإسلام، ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[فاطر: ٢٨]، ولا يحظىٰ الإنسان بالثواب علىٰ عمله ولا قبول لعبادته إلا بصدق النية والإخلاص في العمل وإتقانه؛ كما ينبئ بذلك الحديث الشريف: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوىٰ**»[2]

ويتحقق الإتقان في الأعمال أو العبادات التي يحبها الله بالعلم والمهارة والتخصص، ولذا كان المسلم مطالبًا بأن يتعلم وأن يبحث عن أرقىٰ الأساليب لأداء عمله في حدود قدرته واستطاعته: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾[التغابن: ١٦]، ومن ثم كان تحسين الأعمال وأداؤها بإخلاص أمرًا أساسًا في الإسلام يرتبط بالعلم، وكان تعلم المهارات والصنائع وسبل التقدم وغيرها من العلوم التي تلزم المسلمين في إقامة مجتمع الإسلام القوي في أرض الله -جل شأنه- واجبًا عينيًا علىٰ المجتمع بجملته، وواجبًا كفائيًا علىٰ الأفراد الذين منحهم الله مواهب وقدرات يتميزون بها عن الآخرين.

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٠/ ١٤٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (١).

وفي إطار هذا الهدف الكلي للتربية الإسلامية - تعريف الإنسان بخالقه وبناء العلاقة بينهما على أساس من ربانية الخالق وعبودية المخلوق - تقدم لنا النصوص الإسلامية أهدافًا فرعية أو جزئية نشير إلى أهمها بإجمال:

١) الأهداف الخلقية:

يبتغي الإسلام بهذه الأهداف كمال الخُلُق، وتزكية النفس، وترويضها على الطاعة وفعل الخير، وكفها عن محارم الله. وطريق النفس إلى ذلك: العبادة، وذكر الله، ومغالبة الهواجس والوساوس التي تنأى بالإنسان عن منهج الله: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠ - ٤١].

ويشيد القرآن الكريم بما كان عليه الرسول ﷺ من خلق عظيم لا يعرف الفظاظة ولا غلظة القلب ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، ويقرر الرسول المربي ﷺ أهمية هذه الأهداف الخلقية في قوله ﷺ: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»(١). وقوله ﷺ: «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده**»(٢).

---

(١) أخرجه البيهقي في سننه الكبرى (٢١٣٠١)، وأخرجه أحمد (٨٩٥٢) بلفظ: «إنما بُعثت لأتمم صالح الأخلاق»، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٤).

وتأسيسًا علىٰ هذا، فإن الأهداف الخلقية تؤكد علىٰ:

- تطوير سلوك الإنسان وتغيير اتجاهاته بما ينسجم مع القيم والأخلاق الإسلامية.
- تربية المسلم علىٰ حسن التأسي والاقتداء بالنبي ﷺ.
- تربية المسلم علىٰ الإخلاص والإحسان ومراقبة الله جل في علاه.

٢) الأهداف الاجتماعية:

وتتبدَّىٰ هذه الأهداف في حرص الإسلام علىٰ إقامة مجتمع متماسك قائم علىٰ العدل والرحمة والتعاون والتعاطف بين الأقارب والأباعد، لذا حث علىٰ رعاية الآخرين في مواقع مختلفة: أقارب، أو جيران، أو إخوة في الله من عامة المسلمين؛ يظهر ذلك في قوله تعالىٰ: ﴿ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[الروم: ٣٨]، وقول الرسول ﷺ: **«ما زال جبريل يوصيني بالجار حتىٰ ظننت أنه سيُوَرِّثُه»**[١]، وقوله ﷺ: **«من كان معه فضل ظهر فليعد به علىٰ من لا ظهر له، ومن كان معه فضل مال فليعد به علىٰ من لا مال له»**[٢].

وعلىٰ هذا، فإن من الأهداف الاجتماعية:

- ممارسة المبادئ والقيم الاجتماعية التي يدعو إليها الإسلام.
- تكوين الشعور بالمسؤولية والتكافل الاجتماعي.
- معالجة الأمراض الاجتماعية التي تفكك أوصال المجتمع.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٠١٥).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٤٦١٤).

٣) الأهداف العقلية والمعرفية:

وتظهر هذه الأهداف في توجيه القرآن الكريم المسلمين إلىٰ إعمال عقولهم وتأمل ما في الكون من آيات الله، والانتشار في الأرض كشفًا عن مجاهلها وثرواتها، وبحثًا عن الرزق الذي أودعه الله فيها، كما يبدو في قوله تعالىٰ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد: ٢٤]، وقوله عز وجل: ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات: ٢١]، وقوله تعالىٰ: ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس: ١٠١]، وقوله تعالىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾ [الملك: ١٥].

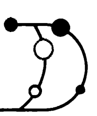
فالآيات الكريمة تدعو إلىٰ البحث العلمي وتوظيف العقل لاكتشاف ما في الكون والنفس من أسرار وكنوز تنبئ عن عظمة الخالق، وتفيد الإنسان عندما يبصر نفسه ويعرف الكون المحيط به.

وبناءً علىٰ هذا، يدعو الإسلام إلىٰ تحقيق الأهداف العقلية والمعرفية الآتية:

- تدريب العقل علىٰ المنهجية العلمية في التفكير.
- تكوين العقلية الناقدة.
- توجيه المسلمين لحمل الرسالة الإسلامية إلىٰ العالم.
- تنمية مهارات الحوار والاتصال والبحث وتطوير الذات.

٤) الأهداف العملية المرتبطة باحتياجات الإنسان ومعاشه:

وفي هذا الإطار يوجه الإسلام المسلمين إلىٰ ارتياد سبل المعاش وتحقيق الاكتفاء الذاتي عن الآخرين دون استغناء عن الناس بالكلية، أو انكفاء علىٰ الذات



كما يفعل الرهبان، وإنما بوسطية متزنة؛ فلا تكالبَ علىٰ الدنيا، ولا إهمالَ لها، ويبدو ذلك في قوله تعالىٰ: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[القصص: ٧٧]، ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الجمعة: ١٠].

وواضح من الآيتين أن التربية الإسلامية تربي الإنسان وتعده ليعمر الأرض بمنهج الله في ثقة وقوة استعدادًا لحياة أبقىٰ ونعيم دائم في الآخرة للطائعين، وليس معنىٰ ذلك أنها تربية أخروية فقط، إنما هي تربية للدنيا والآخرة؛ تربية للإنسان العابد أينما عاش ملتزمًا بمنهج الله الخالق العظيم الذي يربي مخلوقيه علىٰ النهج القويم وهو أعلم بهم من أنفسهم: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾[الملك: ١٤].

ويعني هذا: أن التربية الإسلامية ليست تربية للتمتع بالدنيا فقط -كما يفعل بعض المسلمين- وليست انعزالاً عن الحياة وهروبًا منها، ولكنها تربية رهبان الليل فرسان النهار كما كان أصحاب النبي ﷺ.

ومن أمثلة هذه الأهداف:

- إعداد الشخصية المنتجة لا المستهلكة.
- تدريب الإنسان علىٰ مواجهة متطلبات الحياة المادية.
- تنمية القدرة علىٰ التخطيط واتخاذ القرار.
- تنمية الإحساس والشعور بالجمال.

٣ – جوانب التربية الإسلامية:

ليس ثمة ريب في أن التربية الإسلامية شاملة ومتكاملة ومتوازنة؛ تشمل كل جوانب شخصية المسلم، وهذا يدعونا إلي التساؤل عن مجالات التربية الإسلامية، فإذا كان للتربية الإسلامية أهدافٌ واضحة ومحددة علىٰ النحو الذي ذكرناه، فإنه لا بد أن يكون لها مجالاتها، وهذه المجالات تشكل جوانب شخصية المسلم؛ بحيث لا يطغي جانب علىٰ آخر.

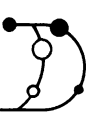
وجوانب الشخصية المسلمة التي تهتم بها التربية الإسلامية جوانب متعددة؛ منها: الجانب العقدي، والجانب الجسدي، والجانب العقلي، والجانب الاجتماعي، والجانب النفسي، والجانب الجمالي، وسوف نشير فيما يلي إلىٰ بعض هذه الجوانب:

١) التربية العَقَدِيَّةُ:

إن التربية الْعَقَدِيَّةَ ما هي إلا مجال واحدٌ من مجالات التربية الإسلامية، إلا أنها أهم هذه المجالات؛ لأنها المحركة للفرد والقوة الدافعة إلىٰ العمل، والموجهة إلي غايات وأعمال سامية.

والتربية العقدية هي أساس الدين وأساس بناء الأمة الإسلامية؛ فبقدر ما تكون العقيدة قوية في الأمة تكون هذه الأمة قوية متماسكة ملتزمة بالسلوك الذي تقتضيه هذه العقيدة.

وتهدف التربية العقدية إلىٰ تكوين إنسان عالم رباني يتعلم لوجه الله لا لنيل الشهادات والحصول علىٰ الوظائف، ولا لكسب المال أو الجاه، بل يتعلم ليعمل



بعلمه وليعلم الآخرين ما استطاع إلىٰ ذلك سبيلا؛ قال تعالىٰ: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾[آل عمران: ٧٩].

ومن أهم جوانب التربية العقدية: العمل علىٰ وضع منظار إيماني علىٰ أعين المتعلمين بحيث يستطيعون رؤية عظمة الله وحكمته في كل شيء يحللونه أو يدرسونه في المجالات العلمية المختلفة، حتىٰ يصبحوا كالعالم المتخصص الذي يقول: أينما توجهت ببصري في دنيا العلوم رأيت أدلة الله علىٰ التصميم والإبداع وعلىٰ القانون والنظام تدل علىٰ وجود الخالق الأعلىٰ.

ومن الجدير بالذكر أن نقول: إن تعلم العقيدة غير التربية العقدية؛ فتعلم العقيدة لا يربي الاعتقاد ولا يؤدي بمفرده إلي رسوخ العقيدة، ونقول أيضًا: إن التربية العقدية لا تختص بمرحلة تعليمية معينة وتنتهي بها، بل إنها تشمل كل مراحل التربية والتعليم.

وَثَمَّة وسائل عدة لتحقيق التربية العقدية يمكن إجمالها في الخطوات الآتية:

١. أن نحسن ونطور الطريقة التقليدية التي تقوم علىٰ التلقين الذي لا يبني في الإنسان حركة ولا تفاعلات ولا طاقات، وأن نتبع الطرق الفعالة التي تربي الإيمان الحيوي القوي الذي يدفع صاحبه إلىٰ السلوك الإسلامي الحق.

٢. أن نركز علىٰ الجوانب المؤثرة في العقيدة؛ ومنها:

- الإيمان بالله بوصفه خالق الكون والإنسان، وأنه سخر كل ما في الكون للإنسان لينعم به، وليعبده وحده دون غيره.

- الإيمان بالحياة في الدار الآخرة، وأنها الحياة الحقيقية، وأنها دار الجزاء من ثواب وعقاب، وأنها آتية لا محالة -وذلك بالأدلة المقنعة- وأن ذلك أمر تقتضيه الفطرة والعدالة.

- أن قوانين الشرع صادرة عن إرادة إلهية لتستقيم حياة الإنسان، وأن المنهج الذي أنزله الله هو سبيل الفلاح والنجاح والسعادة في الدارين.

تلك أهم الوسائل التي يمكن أن نرسخ بها الأساس العَقَدِي في أذهان أبنائنا وبناتنا وعقولهم ونفوسهم ووجدانهم في مراحل التعليم المختلفة، وهي صالحة لإنشاء جيل قوي يستطيع تحمل الأمانة والمسؤولية تجاه نفسه وأسرته وأمته ووطنه. وليس هناك أفضل من إنسان ينشأ علىٰ معتقد صحيح، وليست هناك تربية أصلح من تربية يكون أساسها عقيدة سليمة صحيحة، والعقيدة الإسلامية هي أصح العقائد علىٰ الإطلاق.

ولا يفوتنا في هذا المقام أن نقول: إن العمل بموجب العقيدة في حياتنا اليومية المتكررة أمر بالغ الأهمية؛ لأن الممارسة اليومية ترسخ العقيدة، ومن هنا فإنه يجب علىٰ المربين والمتعلمين أن يعملوا في حياتهم اليومية وفق عقيدتهم التي يدينون بها، وبهذا يكونون قدوة صالحة لغيرهم أيضًا.

٢) التربية العقلية:

الإنسان هو موضوع التربية، وتنصب التربية علىٰ العقل باعتباره (قوة مدركة في الإنسان خلقها الله فيه ليكون مسؤولاً عن أعماله). والعقل - طبقًا لما جاء في القرآن - من أجلّ نعم الله علىٰ الإنسان، ومن ثم فهو طريق الإنسان إلىٰ الله، والقرآن ينوه

بالعقل ويعول عليه، وباستقراء آيات القرآن نجد أن للعقل وظيفة واضحة تتحدد فيما يلي علىٰ أساس التحليل والتعليل والربط:

- التفكير في أحوال العالم، وسنة الله في الأرض، وأحوال الأمم والشعوب علىٰ مدار التاريخ؛ قال سبحانه: ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٦٢].

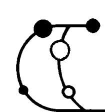
- التفكير في الحكمة من المعاملات -وما ينبني عليها من إحساس وشعور- مع الناس إدراكًا للعلل والأحكام.

- التفكير العلمي: والقرآن يدعو الإنسان إلىٰ التفكير العلمي والتأثر والتدبر؛ قال سبحانه: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران: ١٩٠]، وكثيرًا ما تنتهي بعض آيات القرآن بقوله: (لعلكم تتفكرون)، (لعلكم تعقلون). ومنها تتلخص أهداف التربية الإسلامية في الجانب الفكري فيما يلي:

- تنمية الإنسان فكريًا بحيث يكون إنسان عابدًا صالحًا.
- استخدام الحواس في تنمية هذا الجانب.
- تنمية العقل الإنساني وقدراته المختلفة عن طريق الفكر العلمي التجريبي.
- الاهتمام بتربية البصيرة؛ وذلك عن طريق التقوىٰ.

٣) **التربية الأخلاقية:**

لا شك أن التربية الخلقية ركيزة أساس في التربية الإسلامية؛ لأنها مستمدة من النظرية الأخلاقية الإسلامية القائمة علىٰ الالتزام بالمسؤولية في الدنيا والآخرة؛



فالقيم والأخلاق الإسلامية هي التي تكوّن ضمير الإنسان ووجدانه وسلوكه، فيتسق مع فطرته وعقله اللذين يهديانه إلىٰ الحلال والحرام. والأصول الأخلاقية القرآنية لا تدانيها الأصول الأرضية التي ترسمها الفلسفات الغربية أو الشرقية.

وقد اتفق علماء التربية الإسلامية علىٰ أنه ليس الغرض من التربية والتعليم حشو أذهان المتعلمين بالمعلومات وتعليمهم من المواد الدراسية ما لم يعلموا، بل الغرض أن نهذب أخلاقهم ونربي أرواحهم ونبث فيهم الفضيلة ونعودهم الآداب السامية.

وهدف التربية الإسلامية الأكبر في جميع مؤسساتنا التعليمية ينبغي أن يركز علىٰ غرس القيم الإسلامية والفضائل الخلقية في النفوس؛ لأنها الدعامة الأولىٰ في بناء المجتمع الإسلامي السليم.

٤ - خصائص التربية الإسلامية:

للتربية الإسلامية التي تنبثق من القرآن والسنة خصائص تميزها عن غيرها من أنواع التربية الوضعية قديمها وحديثها، ويمكن الإشارة إلىٰ أهم هذه الخصائص فيما يلي:

١) الربانية:

التربية الإسلامية ربانية المصدر وربانية الوجهة: ربانية المصدر لأنها ليست من وضع بشر يحكمه القصور والعجز والتأثر بمؤثرات الزمان والمكان والثقافة. أما ربانية الوجهة فلأن هدفها الأول هو ربط الناس بالله تبارك وتعالىٰ حتىٰ يعرفوه حق معرفته ويعبدوه حق عبادته، ومن ثم تُزوِّد هذه التربية الإنسان بالحقائق والمعايير الثابتة التي توجه عمله وتقيم حياته بجوانبها المختلفة، ومن ثم تعينه علىٰ عمارة الأرض وترقيتها وفق منهج الله؛ فالإسلام حكم الله: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا﴾[المائدة: ٥٠] .

٢) الأخلاقية:

للأخلاق في الإسلام مكان رحيب وأثر عميق، وكما ندد الإسلام بالعلم الذي لا يثمر خلقًا ولا سلوكًا حسنًا، فقد فصَّل أيضًا آدابًا لكل شيء في الحياة - من آداب المائدة إلىٰ بناء الدولة - ومن ثم لا انفصال في التربية الإسلامية بين الأخلاق والعلم والسلوك أو العمل؛ لأن الأخلاق لا تتجزأ، فهي واحدة حتىٰ بين المسلمين وغيرهم.

٣) الإنسانية:

تقوم التربية الإسلامية علىٰ اعتبار أن الإنسان مخلوق مكرم من ربه؛ فكرَّم الله الإنسان بأن جعله خليفة في الأرض، وأنه تعالىٰ سخَّر له ما في السماوات وما في الأرض جميعًا منه، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة. لذا ترعىٰ هذه التربية فطرة الإنسان وكرامته وحقوقه وطبيعته وحاجاته، فتعدل في تكريم الإنسان، بغض النظر عن جنسه أو لونه أو لغته أو موطنه أو طبقته، بل حتىٰ عن دينه نفسه؛ فلكل نفس في الإسلام حرمة تناسبها، ومكانة تليق بها؛ فالتربية الإسلامية تعطي كل ذي حق حقه.

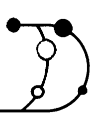
٤) العالمية:

ما دام الإسلام لكل إنسان، فهو عالمي الرسالة التي لا تعرف الحدود ولا الفواصل التي ترسمها علىٰ الأرض القوميات أو العرقيات، وكثيرًا ما يخبر القرآن الكريم أن الرسول ﷺ أُرْسِلَ إلىٰ الناس كافة، وأن القرآن الكريم قد تنزَّل عليه ليقرأه علىٰ الناس كلهم؛ وذلك حتىٰ لا يُحْرَمَ أحد من البشر من خير أراده الله لعباده؛ فالإسلام دعوة عالمية إنسانية، وقد وُضِع في طبيعة الإسلام وأصوله ومبادئه ما يجعله بحق صالحًا للإنسانية في كل عصر ومصر وجيل، ومن أوضح الأدلة علىٰ

ذلك أن تلاميذ الرسول ﷺ كانوا من مختلف الدول والأعراق؛ فأبو بكر وعمر من قريش، وأبو ذر من تهامة، وأبو هريرة من دوس اليمنية، وبلال من الحبشة، وصهيب من الروم، وسلمان من فارس، وغيرهم كثيرون من كافة القوميات والأجناس جمعتهم أصول ومبادئ ومدرسة واحدة، ألا وهي مدرسة الإسلام. وفي ظل هذه الاختلافات والتفاعلات أسهمت التربية الإسلامية في تحقيق السلوكيات القويمة والمعاني السامية لعالمية الإسلام وإنسانيته؛ مثل: استخدام العقل، حب العلم، العدل، المساواة، السماحة، فضيلة العمل، الوفاء بالعهد، الرحمة، الكرامة، قول الحق، الصدق، التواضع، العفاف، الحلم، الحياء، الصبر، العفو، رعاية اليتيم، وغير ذلك من أنواع السلوك التي حث عليها الإسلام وربى المسلمين عليها، والبعد عن: الشرور والموبقات، والظلم، والكذب، والحسد، والربا، والسباب، والسخرية، والطعن في الناس، والتجسس، والغيبة، والنميمة، وغير ذلك من أنواع السلوك التي نهى عنها الإسلام وربى المسلمين على البعد عنها، ونفَّر منها، فحمل المسلمون الأوائل هذه السلوكيات التي تربوا عليها ونشروها بالقول والتطبيق الفعلي كما فهموا من قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣] .

٥) الرحمة:

تدور التربية الإسلامية حول رحمة الخلق؛ فهي تربية تعكس رحمة هذا الدين وسماحته؛ رحمة للناس وتخليصًا لهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، وتخليص رقابهم من النار، تربية سمتها اللين والشفقة والرأفة؛ يقول الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]،



وأرسل الله نبيه محمدًا ﷺ رحمة للعالمين؛ قال تعالىٰ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وكانت رحمته ﷺ بالكبار والصغار والنساء والأطفال والدواب والجماد منهجًا يَحتذي به المربون في تربيتهم، حتىٰ المخالفون له ﷺ نالتهم رحمته حتىٰ أدخلتهم في دين الله أفواجًا.

٦) التنوع:

التربية الإسلامية تربية متفائلة فاعلة واقعية، تخاطب العقل وتعتمد عليه في فهم الدين وعمارة الدنيا، فلا تعارض فيها بين العقل والنقل، ولا بين العلم والدين. ومن ثَمَّ، فهي تربية تدعو إلىٰ الاجتهاد والتجديد، وتقاوم الجمود والتقليد، مستمدة من الشريعة التي شرعت لمصالح العباد في المعاش والمعاد، وقامت علىٰ حفظ الأديان والأنفس والعقول والأعراض والأنساب والأموال.

٧) التكامل والشمول:

تتميز التربية الإسلامية بالتكامل فيما بينها؛ فهي تهدف إلىٰ تكامل جوانب الشخصية الإنسانية: الإيمان، والجسم، والعقل، والنفس، والوجدان؛ فالإنسان وحدة متكاملة، وكذلك الكون والوجود. كذلك تتكامل التربية الإسلامية نفسها مع غيرها مثلما عبر الرسول ﷺ عن موقف نبوته مع النبوات الأخرىٰ فقال: «**إن مَثَلي ومَثَل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل بنىٰ بيتًا فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟! قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين**»[1].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٥٣٥).

٨- الأصالة والمعاصرة:

تعتز التربية الإسلامية بذاتيتها وتميزها عن غيرها بمصادرها الربانية، وغاياتها الإنسانية، ووجهتها العالمية، وصبغتها الأخلاقية؛ الأمر الذي جعلها ترفض أن تذوب في غيرها وتفقد خصائصها لتسير في طريق غير طريقها المستقيم. ومع هذا الاعتزاز بأصالتها تؤمن بأهمية الاستفادة من الآليات والوسائل المعاصرة، وتوظيفها في تحقيق أهداف التربية الأصيلة.

٩) التوازن:

تحقق التربية الإسلامية التوازن الدقيق في النظرية والتطبيق، وفي تنظيم المعرفة الإنسانية التي تفيد الفرد والمجتمع، والتربية الإسلامية توازن بين تنمية روحانية الفرد وتلبية حاجاته المادية والاجتماعية، ﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ [القصص: ٧٧]؛ فالإسلام جاء لعمارة الدنيا وتحصيل سعادتها، ولا يمكن تحصيل ذلك إلا من خلال الالتزام بأحكام الدين وشرائعه.

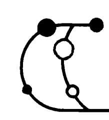
١٠) الرُّقيّ:

التربية الإسلامية تربية لِلرُّقِيِّ، ويتخذ هذا الرقي صورًا متعددة؛ فهي تربية للرقي العقلي؛ إذ أنها تؤهل الإنسان إلى البحث عن حقائق الأشياء والتعمق فيها، ورفع كفاءة التفكير لدى الأفراد بما يسهم في تقدم المجتمع، وهي تربية للرقي الروحي الذي يستهدف تعميق إحساس الإنسان بخالقه والكون والحياة، وكذلك تعميق إدراكه لهذه الصلة، والحد من تعلق الإنسان بمادية الكون واستغراقه في الارتباط بها، وهي تربية للرقي النفسي الذي يتمثل في طمأنينة الإنسان ورضاه، والصبر على

المكاره، وضبط النفس عند التعرض للشدائد، ورفض الصَّغار والمذلة في الحياة، وهي تربية للرقي الخلقي الذي يرتفع بالإنسان إلىٰ مرتبة الصلاح والتمييز بين ما هو خير وما هو شر، والبعد عن الشرور والمساوئ والعدوان علىٰ الآخرين، وهي تربية للرقي العلمي الذي يتمثل في تحسين مقدرة الإنسان علىٰ استخراج كوامن الطبيعة وفهم دقائقها وأسرارها، وتسخير كل ما من شأنه أن يتقدم بالمجتمع في إطار الإسلام بما لا يؤدي إلىٰ الإضرار بالآخرين أو العدوان عليهم، وهي تربية للرقي الذوقي والجمالي بحيث يصبح الإنسان أقدر علىٰ استشعار القيم الجمالية التي يحويها الكون، وأقدر علىٰ تصور الجمال، وإبداع كل ما هو جميل، وهي تربية للرقي الجسمي الذي يستهدف تنمية الجسد وقوة الأعضاء؛ لكي يصبح الإنسان قادرًا علىٰ أداء وظيفته في الحياة والمتمثلة في عبادة الله، وتعمير الكون، والسعي إلىٰ كل ما هو خير، وهي تربية للرقي الاجتماعي المتمثل في تحسين العلاقات والروابط بين الأفراد وكيانات المجتمع، وهكذا فإن الرقي في أي جانب من الجوانب هو خاصية من خصائص التربية الإسلامية، وينعكس أثره علىٰ الأفراد والمجتمع.

١١) المرونة:

بما أن الإسلام صالح لكل زمان ومكان، ويتجاوب مع كل الاختلافات والمتغيرات، فإن هذه الخاصية للتربية الإسلامية تفرض علىٰ الشخصية المسلمة أمرًا في غاية الأهمية، وهو ما يتعلق بأن تُعْنىٰ الشخصية الإسلامية دائما بتطوير نفسها وفق الثوابت التي لا ينبغي المساس بها، وذلك ضروري حتىٰ تخرج المجتمعات الإسلامية من دائرة التخلف التي تردّت فيها، وذلك ما فعله المسلمون الأوائل حين امتدت رقعة الإسلام لتشمل شعوبًا وأممًا ومجتمعات وثقافات وحضارات متباينة في

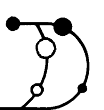


أديانها ولغاتها وطبائعها وأعرافها وعاداتها، مما حتم عليهم تلبية احتياجات هذا المزيج المتباين، علميًا وتربويًا، وأوجب عليهم مزيدًا من الاجتهاد في المواءمة، وتحرير النوازل، فعدلوا من أنفسهم وتجاوبوا مع المواقف والظروف والمعطيات التي استجدت عليهم، وكان ذلك كله منطلقًا من أصول التربية الإسلامية التي تربوا عليها.

١٢) الاستمرار:

إن عملية التربية والتنمية وتحقيق مهمتها الحضارية لا تتم في يوم وليلة أو بين عشية وضحاها، بل تأخذ زمنًا يطول أو يقصر علىٰ قدر الأهداف والغايات التي يُسْعَىٰ إلىٰ تحقيقها، وعلىٰ قدر عزائم من يقومون بالتربية أنفسهم، ومدىٰ إخلاصهم فيما يقومون به، وعلىٰ قدر استعداد المتلقي ونشاطه وحماسه.

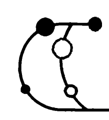
وتلك الديمومة -وهي من خصائص التربية الإسلامية- تكون مستغرقة لحياة الأفراد والمجتمعات علىٰ حد سواء، ومن ثم تنتقل عملية التربية الإسلامية السليمة من جيل إلىٰ جيل دون توقف، وإذا ما توقف جيل عن أداء مهمته، أدىٰ ذلك في الأعم الأغلب إلىٰ تراجع حضاري، وهو ذاته ما حصل في العالم الإسلامي؛ لانقطاع عملية التربية، وتخلي أفراد المجتمع عن القيام بما أُنيط بهم من مهمات، أو أدائها بصورة ضعيفة لا تفي ولا تكفي، وهنا ينقلب تقدم المجتمع تخلفًا. ولقد ترتب علىٰ مبدأ الاستمرارية ما عُرِف عند بعض المفكرين بحتمية التواصل الحضاري؛ فالاستمرار ليس مقصورًا علىٰ المجتمع المحلي (الدول الإسلامية)، بل هو يتعدىٰ ذلك في التربية الإسلامية إلىٰ ربوع العالم؛ انطلاقًا من أمانة الدعوة الإسلامية التي يحملها كل مسلم في عنقه ما استطاع إلىٰ ذلك سبيلا.



١٣) المثالية والواقعية:

تبدو مثالية التربية الإسلامية واضحة في أنها استطاعت أن تنشئ في واقع الحياة البشرية عددًا كبيرًا من الشخصيات النموذجية الفذة منذ عهد الرسول ﷺ، ولقد تمثلت في تلك الشخصيات المثل العليا والإنسانية بصورة غير مسبوقة، رغم أن تلك النماذج لم تخرج عن طبيعتها، ولم تكلف أنفسها فوق طاقتها، بل قد زاولوا كل نشاط إنساني، ولكن كان ذلك بصورة الإسلام المثالية. ومعرفة هذه الحقيقة أمر بالغ الأهمية؛ إذ يعطي ذلك البشرية أملاً في إعادة المحاولة، بل إن مما ينبغي حينئذٍ التطلع إليه: التشبه بتلك الصورة المثالية.

وعلىٰ الرغم من مثالية التربية الإسلامية إلا أنها واقعية في ذات الوقت؛ فأصولها ومبادئها وممارساتها تخاطب وتتعامل مع بشر يمشون علىٰ الأرض، لهم دوافعهم وشهواتهم، ولهم مطامع وآمال، ولهم مصالح وحاجات، وغير ذلك مما يقتضي مراعاة الأعذار، وتقدير ظروف النفس البشرية وحالاتها المختلفة.



المبحث الثالث
أصول التربية الإسلامية

تستند التربية الإسلامية إلىٰ مجموعة من الأصول التي تنبثق منها كافة الأهداف والبرامج والمناهج والأساليب والمهمات التربوية، ومن أهم هذه الأصول:

أولاً: الأصول العقدية للتربية الإسلامية:

تقوم العقيدة الإسلامية علىٰ الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره؛ قال تعالىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]. وفيما يلي بيان بعض من الآثار التربوية لهذه الأصول:

١ - فمن الآثار التربوية لعقيدة التوحيد في شخصية المؤمن أنها:

أ - تُحدِّد الهدف الكلي للمؤمن في الحياة؛ وهو: العبودية لله وحده؛ فيوجه المؤمن كل أعماله وطاقته في إطار هذا الهدف، ومن ثم يكون ولاؤه كله لله، وخوفه من الله، وحبه لله، ورجاؤه في الله؛ لأن حياته كلها متجهة نحو الله في استسلام وخشوع: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣]. وتحديد الهدف هو أساس العملية التربوية، وتقويمها يكون في إطار تحقق أهدافها.

ب - تُربِّي المؤمن علىٰ التوكل علىٰ الله، والتفويض الكامل لله، مع الأخذ بالأسباب وإتقان العمل، ويدل علىٰ ذلك قوله سبحانه: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٣].

ج - تحرر المؤمن من الخوف، وتزرع في نفسه الطمأنينة والرضا بقدر الله، فيواجه التحديات في الحياة بروح الإيمان، فلا يهرب من المسؤوليات، ولا يتوانىٰ عن الجهاد، بل يقبل إقبال الواثق بنصر الله المطمئن إلىٰ أنه دائمًا في رعاية الله طالما أنه ملتزم بكتابه الكريم وسنة رسوله الأمين ﷺ.

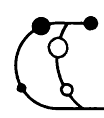
د - تطهر النفس المؤمنة من القلق والحزن وسائر الآفات النفسية، وتحقق السلام الداخلي للنفس؛ لأن عقيدة التوحيد تصون النفس من التمزق بين ولاءات كثيرة لآلهة متعددة، كما تصونها من النفاق والمداهنة لآخرين يَعتَقِد فيهم ضعيف الإيمان أن بيدهم رزقه ونفعه، فيعمل علىٰ إرضائهم بشتىٰ الوسائل، فيعيش في نفاق وخوف، أما المؤمن فالله وليه وناصره، وبمقدار خشوعه وخضوعه لمولاه لا يركن إلىٰ آخرين، وبمقدار تذلله لله في سجوده ينجيه الله من شرور الآخرين.

هـ - وغير ذلك من الآثار التربوية مثل: الخوف والرجاء والخشية ...إلخ.

٢ - أما الإيمان بالملائكة فله آثار تربوية منها:

أ - العلم بعظمة الله تعالىٰ وقوته وسلطانه؛ فإن عظمة المخلوق تدل علىٰ عظمة الخالق.

ب - شكر الله تعالىٰ علىٰ عنايته ببني آدم؛ حيث وكّل ملائكة بأرزاقهم وحفظهم وكتابة أعمالهم وغير ذلك من مصالحهم.



ج - محبة الملائكة على ما يقومون به من عبادة الله تعالىٰ؛ فهم يشتركون معنا في الوجهة والهدف.

د - محبة الملائكة لما يقومون عليه من مصالح البشر.

٣ - وللإيمان بالكتب المنزلة على رسل الله آثار تربوية منها:

أ- العلم بعناية الله تعالىٰ بعباده؛ حيث أنزل لكل قوم كتابًا يهديهم به.

ب- العلم بحكمة الله تعالىٰ في شرعه؛ حيث شرع لكل قوم ما يناسب أحوالهم.

ج- شكر نعمة الله في ذلك.

٤ - وللإيمان بالرسل دلالات تربوية منها:

أ- العلم برحمة الله تعالىٰ وعنايته بعباده؛ حيث أرسل إليهم الرسل ليهدوهم إلىٰ صراط الله تعالىٰ، ويبينوا لهم كيف يعبدون الله.

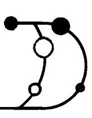
ب- شكره تعالىٰ على هذه النعمة الكبرىٰ.

ج- محبة الرسل عليهم الصلاة السلام، وتعظيمهم، والثناء عليهم بما يليق بهم؛ لأنهم رسل الله تعالىٰ، ولأنهم قاموا بعبادته وتبليغ رسالته والنصح لعباده.

٥ - ومن الدلالات التربوية للإيمان باليوم الآخر:

أ- الحرص على طاعة الله رغبة في ثواب يوم القيامة، وتجنب معصيته خوفًا من عقاب اليوم الآخر.

ب- استحضار المؤمن حقيقة الحساب في الآخرة؛ فيحمد الله على التوفيق في الحسنات، ويندم على اقترافه السيئات، ومن ثم يسارع بالتوبة وتعديل سلوكه من



السيئات إلىٰ الحسنات، وفي هذا اطمئنان للطائع، وتراجع وندم للعاصي، وتعديل للسلوك إلىٰ الأفضل.

ج- تحمل المسؤولية الشخصية؛ فكل إنسان مسؤول أمام الله عن أعماله، ولا يحمل إنسان وزر إنسان آخر، ولا يحصل علىٰ ثواب غيره، وفي هذا حث علىٰ الصلاح وتنفير من الفساد، فيتحقق للناس الخير الكثير.

د- إذا آمن الإنسان باليوم الآخر حق الإيمان عدَّل سلوكه، فتوخىٰ الخير وابتعد عن الشر؛ لإيمانه بأن يوم الجزاء حق لا ريب فيه، وبهذا يربي المؤمن نفسه ويهدي غيره إلىٰ ما ينفعه ويرضي الله.

٦ - ولعقيدة الإيمان بالقدر تطبيقات تربوية منها:

أ- يرتبط الإيمان بالقدر بالسعي والعمل الدؤوب من جانب وبالتوكل والتفويض من جانب آخر، وهذا يحقق للمؤمن ثلاث ثمار: طاعة الرب جل وعلا فيما أمر، تحصيل ثمرة السعي والعمل، تحقيق الأمن النفسي والاطمئنان القلبي.

ب- يكتسب المؤمن بالقدر هدوء النفس؛ لأنه يؤمن بأن كل شيء بيد الله وحده، فلا ينزعج قلبه، ولا يحزن حزن اليأس، ولا يفرح فرح البطر المختال، وإنما تعتدل مشاعره اعتدال من يعي حكمة الله في تدبير أمور الخلق وتربيتهم علىٰ الرضا بقدر الله، ومن ثم يصبح المؤمن بالقدر من أقوىٰ الأقوياء؛ لأنه لا يخاف غير الله، ولا يركع لغير الله، ولا يأبه بتهديدات البشر ما دام يطيع الله ويؤدي واجبه.

ج- يربي المؤمن بالقدر نفسه علىٰ أن يكون راضيًا هادئًا متواضعًا، فيطرد الإعجاب بالنفس عند حصول المراد، ويؤمن بأن ما حصل له إنما هو نعمة من الله

بما قدره من أسباب الخير، كما يطرد القلق والضجر والتسخط عند فوات المراد؛ لأن السبب والمسبب كلاهما بقضاء الله وقدره، والخير والضر بتقدير الله تعالىٰ الذي يعلم ما ينفع خلقه، ولله الحكمة في كل ما قدَّر.

ثانيًا: الأصول العبادية للتربية الإسلامية:

العبادة في الإسلام لا تقتصر على الواجبات كما سبق القول، وإنما تشمل كل عمل مشروع يتوجه به المسلم إلي ربه ويخلص له النية فيه قاصدًا طاعة المولى عز وجل، وهذا مجال واسع قد مَنّ الله فيه على عباده بالثواب العظيم في هذه الأعمال الصالحة، ولصعوبة حصر كل الأعمال الصالحة، كان التركيز بإيجاز على العبادات المفروضة، لما لها من التأثير الفعال في تربية الشخصية المسلمة:

١ - فالصلاة يترتب عليها العديد من الآثار التربوية؛ منها:

أ- إذا أدى المسلم الصلاة بخشوع وإخلاص حسنت علاقته بربه وبالناس جميعًا، وبخاصة علاقته بالضعفاء ومن لا سند لهم من جاه أو مال.

ب- تنأى الصلاة كما يريدها الله عز وجل بالمسلم عن المعاصي والفواحش؛ فلا يكذب المسلم المصلي، ولا يزني، ولا يسرق، ولا يخون الأمانات، وهذا إيذان بقبولها إن شاء الله تعالى.

ج- تحفظ الصلاة طاقات الإنسان الحيوية؛ فلا يبددها في الملاهي والشواغل الصارفة له عن العبادة، وإنما يُسخر ما أنعم الله به عليه فيما يرضي خالقه جل وعلا، وفي هذا تربية للمسلم على ضبط نفسه، والمحافظة على مواعيده، والإتقان في عمله، والتوجه إلى الله في كل شيء، شاكرًا أنعمه راجيًا مغفرته وهداه.

د- ترتبط الصلاة بالطهارة جسميًا وروحيًا؛ فمع نظافة الأعضاء استعدادًا للصلاة ينظف المسلم نفسه من الأوهام والآفات ونزغات الشيطان، فيقبل على ربه خاليًا مما سواه، خالصًا من شواغل النفس وعلائق الدنيا، فتصفو روحه وتتحرر من

الأكدار، فإذا ما أقبل بعد صلاته علىٰ الحياة من حوله، أقبل آمنًا قويًا منشرحًا وقد تزود بخير الزاد.

هـ- تحقق صلاة الجماعة للمسلم الارتباط الدائم بالجماعة المسلمة؛ فيتعاطف مع إخوانه، ويساعدهم وينتمي إليهم، فيشعر بالأمان والاطمئنان، وفي هذا تربية اجتماعية تفيد الفرد والجماعة.

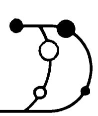
٢ - أما الزكاة، فمن آثارها التربوية أنها:

أ- تحرر المسلمين من الأنانية والشح، وتكسبهم التعاطف مع الآخرين والإحساس بأحوالهم وآلامهم، وتقيم التكافل الاجتماعي علىٰ الاقتناع والتراحم مع الآخرين.

ب- تربي المسلمين علىٰ مراعاة مشاعر الآخرين واحترامهم وعدم التعالي عليهم؛ لأنها حق معلوم في مال الله الذي استخلفهم فيه؛ فللفقير كرامة يجب أن تراعىٰ، والمزكِّي ليس متفضلاً عليه، وإنما يؤدي إليه حقه.

ج- تربي المسلم علىٰ الإسهام بماله في إصلاح مجتمعه طاعةً لله، وحرصًا علىٰ الجماعة المسلمة التي ينتمي إليها، وفي هذا إصلاح الدنيا والفوز في الآخرة.

د- تربي المسلم علىٰ أن يوازن بين نفسه والآخرين؛ فإذا كانت الرأسمالية تنحاز إلىٰ الفرد، والاشتراكية تنحاز إلىٰ الجماعة، فإن الإسلام -والزكاة أحد أركانه- يجمع بين الفردية والجماعة؛ لأن الزكاة تفيد الفرد وتفيد الجماعة؛ فلا استعلاء ولا أثرة من الفرد، ولا حقد ولا تهديد من الجماعة، وإنما حياة قوامها: الأمن، والإيثار، والتعاون، والتوازن.



٣ - وللصوم آثار تربوية منها:

أ- يربي الصوم المسلم علىٰ ضبط احتياجاته والتحكم في شهواته، وتنظيم إشباع الحلال، وعدم الانسياق مع نداءات غرائزه كالحيوان، بل تطويعها لأوامر الله، وإخضاعها لسلطان عقله، وبهذا يملك المسلم نفسه ولا تملكه أهواؤه.

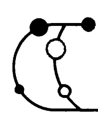
ب- يربي الصوم المسلم علىٰ الاتصاف بفضائل إنسانية كبرىٰ؛ كالصبر، وقوة التحمل، والإحساس بآلام الآخرين، وكظم الغيظ، وكبح جماح النفس، وما يزال الصوم بالمسلم حتىٰ تصير هذه الفضائل سمات ثابتة فيه يتسامىٰ بها علىٰ غيره، فيربي إرادته حتىٰ تقهر كل المعوقات التي تقف في طريقه.

ج- يربي الصوم في النفس تقوىٰ الله، ويؤكد فيها التحرر من كل ما سوىٰ الله؛ فيتحرر المسلم من سلطان العادة، ويقلع عما يرغبه بعض الوقت طاعة لربه، ومن السهل علىٰ نفس امتنعت عن الحلال بعض الوقت أن تجتنب الحرام كل الوقت، وفي هذا تربية وتهذيب، وتربية صحية للنفس والجسم، وراحة للأعضاء بعض الوقت، وهذا يتيح لها إصلاح فاسدها وتجديد أنسجتها.

د- يرتبط بالصوم الاعتكاف في رمضان، وفي الاعتكاف خلوة العابد المتبتل مع ربه؛ يناجيه ويستغفره علىٰ ما فرط في جنبه، وهي خلوة ضرورية للمراجعة والمحاسبة بعيدًا عن الثرثرة الاجتماعية التافهة، فيخرج الصائم من اعتكافه وقد منَّ الله عليه بخير الزاد.

٤ - وللحج آثار تربوية منها:

أ- يُجرِّد الحجُ المسلمَ من علائق الدنيا جميعًا؛ لأنه -بحق- رحيل إلىٰ الله تبارك وتعالىٰ بملابس الإحرام، تلك الملابس التي تذكر الإنسان بموقفه أمام ربه

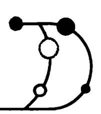


يوم الحساب متجردًا من كل ما سوىٰ العمل الصالح؛ فهو من هذه الناحية تربية روحية.

ب- يُربِّي الحجُ المسلمين علىٰ الارتباط العملي برباط الأخوة الإسلامية ونبذ روابط الجاهلية؛ فهو تربية اجتماعية هادفة.

ج- يحفظ الحج للجسم صحته، وللنفس سلامتها عن طريق: النظافة والطهارة، والمشي والهرولة، والضبط لبعض متطلبات النفس التي تمتنع عليها من الإحرام حتىٰ الإحلال، وإذا ارتبط ذلك بالدعاء والتلبية وقراءة القرآن وأداء المناسك فإنه يعتبر تربية صحية ونفسية وروحية؛ لأنه ينمي في النفس جوانبها المادية والروحية.

د- يربي الحج المسلم علىٰ تحمل المصاعب وعلىٰ الخشونة وترك الرفاهية، وعلىٰ تنظيم الوقت ودقة المواعيد.



ثالثًا: الأصول الفكرية للتربية الإسلامية:

تتمثل أهم الأصول الفكرية للتربية الإسلامية في نظرة الإسلام لكل من: الإنسان، والقيم، والمعرفة، والكون والحياة. وفيما يلي إبراز تلك القضايا بإيجاز شديد:

أولاً: الطبيعة الإنسانية:

يُعد الإنسان محور اهتمام التربية؛ وذلك من حيث إعداده، وتنمية مختلف جوانب شخصيته: إيمانيًا، وجسميًا، وعقليًا، وأخلاقيًا، ووجدانيًا، ونفسيًا؛ تنمية شاملة ومتكاملة. كما تسعىٰ التربية جاهدة إلىٰ ترقية الإنسان وتطويره عن طريق إكسابه المعلومات والخبرات والمهارات اللازمة، وأنماط السلوك المرغوب، وأطر التفاعل مع البيئة المحيطة.

ولقد كان الإنسان وما يزال مأخوذًا بسوء الفهم لنفسه؛ فتارة يرىٰ نفسه أكبر الكائنات وأعظمها، وقد امتلأ كبرا وأنانية، كقوم عاد الذين استكبروا في الأرض وقالوا من أشد منا قوة، وينادي كما نادىٰ فرعون: ما علمت لكم من إله غيري، أنا ربكم الأعلىٰ، فيتحول إلىٰ متأله يستهدف القهر والبطش والظلم والطغيان. وتارة يميل إلىٰ جانب التفريط فيظن أنه أدنىٰ وأرذل كائن في العالم، فيطأطئ رأسه أمام شجر أو حجر أو حيوان، ويرىٰ السلامة في أن يسجد للشمس والقمر والنار.

أما التصور الإسلامي للإنسان فقد جاء شاملاً لكل جوانب إنسانيته، وحدد صورة الإنسان المسلم في مجموعة من الصفات التي يمكن تصنيفها في تسعة مجالات رئيسة علىٰ النحو التالي:

١- سمات تتعلق بالعقيدة وتضم: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والبعث، والجنة والنار، والقضاء والقدر.

٢- سمات تتعلق بالعبادات؛ وتضم: عبادة الله وأداء الفرائض من: صلاة، وصوم، وزكاة، وحج، وجهاد في سبيل الله بالنفس والمال، وذكر الله واستغفاره، والتوكل عليه، وقراءة القرآن.

٣- سمات تتعلق بالعلاقات الاجتماعية؛ وتشمل: معاملة الناس بالحسنىٰ، والكرم والجود، والإحسان، والتعاون، والاتحاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والعفو، والإيثار، والإعراض عن اللغو، وحب الخير، وإغاثة الملهوف.

٤- سمات تتعلق بالعلاقات الأسرية؛ وتضم: طاعة الوالدين وبرهما، والإحسان إليهما وإلىٰ ذوي القربىٰ، وحسن المعاشرة بين الأزواج، ورعاية الأسرة والإنفاق عليها، والتنشئة السليمة للأولاد.

٥- سمات خلقية؛ وتضم: الصبر، والحلم، والصدق، والعدل، والأمانة، والوفاء بالعهد، والتواضع.

٦- سمات انفعالية وعاطفية؛ وتضم: حب الله والخوف من عذابه، وحب الناس، وكظم الغيظ، وعدم الاعتداء علىٰ الآخرين، والرحمة، والشعور بالندم عند ارتكاب ذنب ما.

٧- سمات عقلية معرفية؛ وتشمل: التفكر في الكون وخلق الله، وطلب المعرفة والعلم، وعدم اتباع الظن، وتحري الحقيقة.

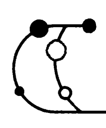
٨- سمات تتعلق بالحياة العملية؛ وتشمل: الإخلاص في العمل وإتقانه، والسعي بنشاط وجد في سبيل كسب الرزق.

٩- سمات بدنية؛ وتضم: القوة، والصحة، والنظافة، والطهارة.

ثانيًا: القيم:

تُعرَّف القيم الإسلامية بأنها: مجموعة المبادئ أو السمات التي حث عليها القرآن الكريم والسنة النبوية، والتي تحدد شخصية المسلم وفق منهج متكامل، وتنظم سلوكه وعلاقته بالله وبالكون ومجتمعه ونفسه، وتعمل عمل المعايير أو الأطر المرجعية الموجهة للسلوك والضابطة له، وللقيم الإسلامية عناصر ومكونات جُمعت في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾[العصر: ١ - ٣].

فالقيم الإسلامية ليست فكرًا فقط؛ لأن الفكر تأمل لا تأثير له في الواقع إذا اعتبرناه بمفرده، وليست وجدانًا أو دافعًا فقط؛ فهما بمثابة وقود حركة وقوة دافعة، وليست سلوكًا وتواصيًا فقط، وإنما تُعد القيم الإسلامية النقطة التي يجتمع عندها الفكر تأملاً وتدبرًا، والوجدان والدافع قوة محركة، والسلوك والتناصح عملاً صالحًا وحركة ذاتية. فليس في القيم الإسلامية مواقف أو مظاهر متخاذلة أو رديئة، ولا يكتفي فيها بانفعال الباطن في صورة استحسان أو استهجان، ولكنها تدفع الإنسان دفعًا إلىٰ إحداث حركة مؤثرة في السلوك. ولأن القيم الإسلامية تستمد أهميتها من الكتاب والسنة، فإنها: تقدم للفرد والمجتمع فلسفة وتصورًا فريدًا شاملاً ومميزًا للحياة، وتدعو للتقدم الحضاري (العلم والعمل)، وتحقق الصحة النفسية (الطمأنينة والتوافق والتكيف)، وترتقي بالنفس وتسمو بها.



ثالثًا: المعرفة والعلم:

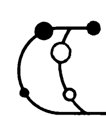
إذا كان الفكر الحديث والمعاصر يفخر بإيمانه بأهمية العلم والمعرفة وإفساح المجال أمامهما، فإن الإسلام بتعاليمه كان له فضل السبق في تأكيد أهميتهما، وبيان فضلهما، والدعوة إلىٰ طلبهما وتطبيقهما واستخدامهما في كل ما ينفع ويحقق الخير والتقدم للأمة. وقد جعل الإسلام الكون كتابًا للمعرفة، ووجه الأسماع والأبصار والأفئدة إلىٰ بدائع صنع الله فيه، ودعا إلىٰ التفكير في آياته، وكشف أسراره، وفهم نظمه وقوانينه، وحرر العقول من أسر الجمود والجهل والتبعية، وحث علىٰ البحث والدراسة والتعلم؛ فإن العلم الذي يدعو إليه الإسلام هو العلم بمفهومه الشامل الذي ينظم كل ما يتصل بالحياة، ولا يقتصر علىٰ مجال دون غيره. وعلىٰ ذلك لم يعرف في الإسلام الصراع بين العلم والدين، ولا معاداة أحدهما للآخر، وإنما يعد العلم الحق داعيًا إلىٰ الإيمان ودليلاً عليه؛ قال تعالىٰ: ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الحج: ٥٤]، فهذه معان ثلاثة مترتب بعضها علىٰ بعض: العلم يتبعه الإيمان تبعية ترتيب بلا تعقيب، ليعلموا فيؤمنوا، والإيمان يتبعه حركة القلوب من الإخبات والخشوع والخضوع لله تعالىٰ، وهكذا يثمر العلم الإيمان بالله تعالىٰ، فالإيمان هو نوع من العلم بالله، وما الكفر إلا جهل وجهالة.

وقد تعددت أدوات المعرفة في التربية الإسلامية لتشمل: الوحي، والعقل، والحس؛ فالوحي هو أداة المعرفة في ميدان الغيب، والعقل والحس هما أداتها في ميدان الشهادة بقسميها: الآفاق والأنفس، وتتكامل أدوات المعرفة الثلاث لبلوغ الغايات وتحقيق الأهداف، ومن ثم فلا انفصال بين الوحي والعقل، فحين انفصل

العقل عن الوحي جنح العقل إلىٰ الاستبصار بالسحر، وقراءة الكف والنجوم والطالع، وضرب الحصىٰ، وتحكُّم السحرة والعرافين والمشعوذين والدجالين، وحين طرح العقل منفصلاً عن الوحي أثمرت الحلول والتنبؤات لمشكلات العصر نتائج خاطئة وآثارًا مدمرة، وتداعت مساوئ العلم المجرد من الإيمان، فشقي الإنسان بالعلم وانتهت الحضارة إلىٰ السقوط.

رابعًا: الكون والحياة:

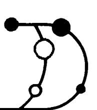
تتلخص نظرة الإسلام إلىٰ الكون في أنه مخلوق لله خلقه لغاية وهدف، وما كان اللعب والعبث باعثًا علىٰ الخلق؛ قال تعالىٰ: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[الدخان: ٣٨ - ٣٩]. كما أن الكون بكل ما فيه من عناصر وأجزاء يسير في حركة حسب سنن ونواميس دقيقة وعلاقات منتظمة، خاضع لإرادة الله وأمره ومشيئته، مسير ومدبر لا يملك من يقف أمام عناصره إلا التسليم بوحدة المدبر ووحدانيته؛ قال تعالىٰ: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾[يس: ٣٧ - ٤٠]، وبالإضافة إلىٰ النعم التي يزخر بها الكون، إلا أنه مسخر بكل ما فيه للإنسان. والتسخير لا يعني طغيان الإنسان، وتجاوز حدوده إفسادًا وقتلاً، وسفكًا ودمارًا، وإذا كان الأمر كذلك فإن العاقبة ونتائج ذلك سوف تكون وخيمة علىٰ الإنسان ومجتمعه في صورة مشكلات تتعرض لها بيئة هذا الإنسان ومجتمعه؛ قال تعالىٰ: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[الروم: ٤١].



أما الحياة: فقد جاء تصور الإسلام لها تصورًا فريدًا شاملاً ومميزًا؛ فالحياة وفقًا لهذا التصور ليست تلك المدة المحددة التي تمثل عمر الفرد أو عمر الأمة، إنما تمتد طولاً في الزمان، وعرضًا في الآفاق، وعمقًا في العوالم، وتنوعًا في الحقيقة؛ تمتد في الزمان لتشمل الحياة الدنيا المشهودة، والحياة الآخرة المغيبة عنا، وتمتد في المكان فتضيف إلىٰ هذه الأرض دارًا أخرىٰ: جنة ونارًا، وتمتد في العوالم فتشمل هذا الوجود المشهود والوجود المغيب الذي لا يعلم حقيقته إلا الله، ومعنىٰ ذلك أنه ليس هناك طريق مستقل للحياة الدنيا وآخر للآخرة، إنما هو طريق واحد تصلح به الدنيا والآخرة، والمنهج الإيماني للحياة لا يجعل الدين بديلاً عن الدنيا، ولا طريق الآخرة غير طريق الدنيا، لكن الأصل أن تلتقي فيه الدنيا مع الآخرة، وأن يكون الطريق إلىٰ صلاح الآخرة هو ذاته الطريق إلىٰ صلاح الدنيا، ومن ثم يجمع المنهج الإسلامي بين العمل للدنيا والعمل للآخرة في توافق وتناسق، فلا يُفَوِّت الإنسان دنياه لينال آخرته، ولا يغفل آخرته لينال دنياه، فالعمل والإنتاج والتنمية فريضة الاستخلاف في الأرض، والإيمان والتقوىٰ والعبادة والأخلاق تمثل الارتباطات والضوابط والدوافع لتحقيق هذا المنهج في الحياة. ومن الآيات الدالة علىٰ هذا التلاقي والترابط واللقاء بين الدنيا والآخرة قوله تعالىٰ: ﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَا ﴾[القصص: ٧٧].

فخلاصة القول: يمكن إيجاز نموذج العلاقات في التربية الإسلامية بين الخالق، والكون، والإنسان، والحياة علىٰ النحو الآتي:

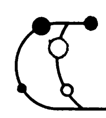
- **العلاقة بين الله والإنسان علاقة عبودية لله.**
- **العلاقة بين الإنسان والكون علاقة تسخير للكون.**



- **العلاقة بين الإنسان والحياة الدنيا علاقة ابتلاء واختبار.**
- **العلاقة بين الإنسان والحياة الآخرة علاقة مسؤولية وجزاء.**

وعلىٰ نظام التربية أن يعمل علىٰ إعداد الإنسان في ضوء هذه العلاقات حتىٰ يتحقق له النمو، وكلما نجحت التربية في تحقيق ذلك أدت واجبها بنجاح، أما إذا فشلت فقد فقدت فاعليتها وأصبحت شكلاً بلا مضمون.



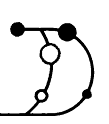


المبحث الرابع
التربية في التراث الإسلامي

مقدمة:

لا يمكن للتربية أن تنجح في وظائفها ما لم تأخذ في الحسبان طبيعة المتعلم أو المتربي وقدراته وطبيعة نموه النفسي والانفعالي؛ حيث إن ذلك يؤثر على نمو المتربي وشخصيته، ولا يوجد نشاط تربوي يؤدي وظيفته أداءً سليمًا ما لم يتناسب ومستوى نضج المتربي وطبيعة نموه واحتياجاته من مختلف النواحي النفسية والسلوكية.

وبناءً على هذا، تسعى التربية للاستفادة من النظريات والمبادئ النفسية في بناء النظام التربوي؛ أي الاستفادة من قواعد علم النفس وأسسه في تصحيح مسار العملية التربوية؛ فعلم النفس أو السلوك يزخر بالكثير من النظريات التي تبنى عليها الأسس التربوية المختلفة في العملية التعليمية، وهناك العديد من النظريات التي تفيد في هذا المجال؛ فهو يحتوي على نظريات التعلم المختلفة، مثل: التعلم الشرطي، والتعلم بالاستبصار، وغيرها من النظريات، وكذلك نظريات الفروق الفردية والجماعية، والنظريات السلوكية والفطرية التي تمس الإنسان وسلوكه، والعوامل والمؤثرات التي تؤثر في هذا السلوك.



كما تسعىٰ التربية إلىٰ محاولة التعرف علىٰ النظريات والأبحاث الخاصة بالقدرات العقلية والمهارات المختلفة، والعوامل المختلفة التي تؤثر في تلك القدرات والمهارات، وكذلك العوامل والظروف التي تساعد علىٰ صقل تلك القدرات العقلية وهذه المهارات، وكيفية الاستفادة من المواهب، وكذلك توجيه النظر إلىٰ أفضل السبل لحل المشكلات وتنمية التفكير الناقد لدىٰ التلاميذ والطلاب، وكذلك كيف يمكن للتربية أن تراعي مراحل النمو المختلفة التي يمر بها الطفل، والخصائص النفسية والاجتماعية لكل مرحلة من هذه المراحل.

كما تحاول التربية أن تستفيد من النظريات النفسية المختلفة المتعلقة بالأنماط المختلفة لعملية التربية من حيث كونها: تربية تسلطية، أو تربية تلقائية، أو تربية تتسم بعدم المبالاة، أو تربية تقوم علىٰ الحرية المطلقة، أو القمع، أو الكرامة المتوسطة بينهما، أو تربية تراعي الرغبات والميول والدوافع، أو تربية تهمل هذه الجوانب.

ومن ثم فإنه يمكن القول: إن التربية تعتمد في أسسها ومبادئها علىٰ قواعد ومبادئ نفسية مستمدة من النظريات المختلفة التي يزخر بها علم النفس بفروعه المختلفة؛ وذلك لمساعدة المتربي علىٰ فهم ذاته وخصائصه، الأمر الذي يساعده علىٰ تقبل ذاته والتكيف مع ما يطرأ عليه من تغيرات، والقدرة علىٰ حل مشكلاته، ومن ثم كان علم السلوك من أكثر الأسس وظيفة في العملية التربوية.

وانطلاقًا من هذه العلاقة الوثيقة بين علم السلوك وعلم التربية، ووفق تلك النظرة الشمولية للتربية، ركزت ممارسات أعلام العلماء من السلف ومؤلفاتهم - كما يشهد بذلك التراث الإسلامي - علىٰ موضوعات التربية في إطار فهمهم لمصادر التشريع. وعلىٰ هذا، يسعىٰ هذا المبحث للكشف عن ذلك من خلال العنصرين الآتيين:

أولاً: أبرز العلماء والمؤلفات التربوية في التراث الإسلامي:

حفلت عصور التاريخ الإسلامي بمسيرة طويلة وغنية بالتجارب والخبرات والإسهامات الواضحة في مجال التربية -سواء أكانت بصورة مباشرة أم ضمنية- وليس أدل علىٰ هذا من التراث التربوي الجم المتمثل في أمهات الكتب والأبحاث التربوية التي تعرض لمختلف مجالات الفكر والاجتهاد التربوي عند العلماء المسلمين والفلاسفة والمفكرين العرب.

ولقد ذكر البروفيسور سباستيان جونتر -مدير معهد الدراسات العربية والإسلامية بجامعة جوتنجن، ورئيس الاتحاد الأوروبي للدراسات العربية والإسلامية - في حوار له عن العلماء المسلمين الأوائل أن فكرهم هو الذي أثرىٰ الفكر التربوي العالمي، وأنهم تناولوا مشكلات ما زالت تشغل التربويين حتىٰ اليوم[(١)]

وفيما يلي استعراض -علىٰ سبيل المثال لا الحصر- لبعض من مؤلفات علماء السلف التي تناولت موضوعات التربية وقضاياها بشكل صريح؛ وذلك حسب الترتيب الزمني لوفاة الأعلام رحمهم الله:

١) المحاسبي (ت: ٢٤٣هـ):

وكانت ولادة المحاسبي في العصر العباسي الأول عام ١٦٥هـ، وهو أبو عبدالله الحارث بن أسد المحاسبي العنزي البصري المولد البغدادي المنزل والوفاة، وسمي بالمحاسبي لكثرة محاسبته لنفسه. وقد خلَّف ما يقرب من مئتي مصنف، منها: **آداب النفوس، رسالة المسترشدين، الرعاية لحقوق الله، شرح المعرفة وبذل النصيحة، فهم**

---

(١) مجلة المعرفة،

www.almarefh.net/show_content_sub.php?CUV=٤٢٢&SubModel=١٥٥&ID=٢١٥٧

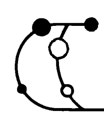
القرآن، كتاب العلم، ماهية العقل ومعناه، المسائل في أعمال القلوب والجوارح، المسائل في الزهد، معاتبة النفس، المكاسب، الوصايا، رسالة التصوف، رسالة المراقبة، النصيحة للطالبين.

٢) محمد بن سحنون (ت: ٢٥٦هـ):

وهو أبو عبدالله محمد بن سحنون، ولد بالقيروان سنة ٢٠٢هـ، ونشأ في كنَفِ أبيه فقيه المغرب وإفريقيا: عبدالسلام سحنون التنوخي القيرواني شيخ المالكية، الذي اعتنىٰ بتربيته وتأديبه وتعليمه، فأخذ حظه من القرآن الكريم والعلوم الضرورية، وتحوَّل إلىٰ مجالس الدروس علىٰ يد ثُلَّة من شيوخ إفريقية، فحمل عنهم مروياتهم وأتقنها، ورحل إلىٰ الأمصار وتعلم عدة علوم، وعاد إلىٰ إفريقية مزودًا بتجربة وعلم غَزير ليشعَّ به علىٰ المَغرب وإفريقيا. وقد اشتغل بالتعليم في القيروان، وألَّف رسالة سماها: (**آداب المعلمين**)، وهي علىٰ صِغَر حجمها -إذ لا تتجاوز ٢٦ صفحة- رسالة قيِّمة ونفيسة، بما تتضمَّنُه من آراء تربوية تعبِّر بوضوح عن أن الأمة الإسلامية عُنيت بقضايا التعلُّم والتعليم. ومن مؤلفاته أيضًا: **آداب المناظرين، الجامع في فنون العلم والفقه، الرسالة الجنوبية، السير، التاريخ، أجوبة ابن سحنون.**

٣) ابن أبي الدُّنيا (ت: ٢٨١هـ):

عبدالله بن محمد بن عُبيد الأموي، أبوبكر بن أبي الدنيا، البغدادي، صاحب التصانيف المفيدة، وكان وعاظًا عارفًا بأساليب الكلام. صنّف الكثير من المصنفات؛ منها: **العظمة، الصمت، ذم الدنيا، محاسبة النفس، مكارم الأخلاق** وغيرها. مولده ووفاته ببغداد.



٤) القابسي (ت: ٤٠٣هـ):

وهو أبو الحسن علي بن محمد خلف، المعروف بالقابسي نسبة إلىٰ بلدة قابس بالقيروان التي ولد فيها عام ٣٢٤هـ، وهو حافظ ومحدث وفقيه مالكي المذهب، ومن أشهر كتبه التربوية: (**الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين**).

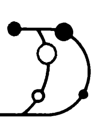
٥) ابن حزم الأندلسي (ت: ٤٥٦هـ):

وُلد أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم في مدينة المغيرة بقرطبة عام ٣٨٤هـ، ولم يدع ابن حزم المثابرة علىٰ العلم والتأليف فيه حتىٰ كمل من مصنفاته في شتىٰ فنون العلم وِقْر (حِمل) بعير، ومنها:

الفصل في الملل والأهواء والنحل، التقريب لحد المنطق، ولكن اختلافه المذهبي (الشافعي ثم الظاهري) مع فقهاء الأندلس (المالكية)، وعدم لينه مع خصومه، أدىٰ إلىٰ إثارة العامة وبعض الحكام عليه؛ فأحرقوا كتبه وطاردوه حتىٰ توفي بقريته.

٦) ابن عبد البر (ت: ٤٦٣هـ):

وهو أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي؛ حيث ولد في قرطبة عام ٣٦٨هـ. كان حافظ المغرب، وله مؤلفات عديدة، منها في التربية: **الرقائق، بهجة المجَالس وأنس المُجالس وشحذ الذهن والهاجس، أدب المجالسة وحمد اللسان، البستان في الإخوان، الجامع**. أما أشهر كتبه في التربية فهو: (**جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله**).



٧) الغزالي (ت: ٥٠٥هـ):

ولد أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الطوسي في طوس من أعمال خراسان بفارس عام ٤٥٠هـ، وقد عُرف بالغزالي لأن أباه كان لا يأكل إلا من كسب يده في غزل الصوف، كما لُقب بحجة الإسلام لذوده عن حياض العقيدة الإسلامية بفكره وقلمه.

وللغزالي مؤلفات جمة في المنطق والفلسفة والفقه والتربية. ولعل أهم كتاباته وآرائه في التربية برزت في كتبه: **فاتحة العلوم، أيها الولد، ميزان العمل، الرسالة اللدنيّة، إحياء علوم الدين**، وهو من أكبر كتبه في الفقه والأخلاق والتربية، وعلىٰ الكتاب مآخذ نبه عليها أهل العلم.

٨) ابن الجوزي، أبو الفرج (ت: ٥٩٧هـ):

عبدالرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد المعروف بابن الجوزي؛ كان صاحب صيت في الوعظ، وله مؤلفات كثيرة في فنون متعددة، منها: **تلبيس إبليس، صيد الخاطر، بحر الدموع، صفة الصفوة**، وغيرها.

٩) ابن جماعة (ت: ٧٣٣هـ):

وهو بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة بن علي بن حازم بن صخرة الكناني، ولد بحماه عام ٦٣٩هـ، واشتغل ابن جماعة بالكتابة والتأليف، ومن أهم مؤلفاته:

تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، حجة السلوك في مهارة السلوك، المقتص في فوائد تكرير القصص، تنقيح المناظرة في تصميم المخابرة، المسالك في علم المناسك.

١٠) ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ):

وُلد تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية في مدينة حران بسوريا عام ٦٦١هـ، وكما تخطىٰ ابن تيمية حدود الانتماء المذهبي إلىٰ دائرة الانتماء الإسلامي الواسع، عُني بالتربية واتخذها أسلوبًا في تعديل السلوكيات، وبناء البشر، وتزكية النفوس، وإصلاح المجتمع وفق ما جاء في الكتاب والسنة. ومن ضمن مؤلفاته التي تربو علىٰ المئات:

السياسة الشرعية والحسبة في الإسلام، اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم.

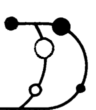
١١) ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ):

محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، ولد في دمشق وتتلمذ علىٰ يد ابن تيمية، وله مصنفات مشهورة من أبرزها:

زاد المعاد، مدارج السالكين، بدائع الفوائد، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، أو: الداء والدواء.

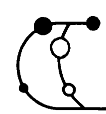
١٢) ابن رجب الحنبلي (ت: ٧٩٥هـ):

زين الدين عبدالرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن السَلامي، الحنبلي، الواعظ. ولد في بغداد. له مصنفات عديدة،منها: **جامع العلوم والحكم شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم، شرح الترمذي، فتح الباري شرح صحيح البخاري -لم يتمه- اختيار الأولىٰ في شرح حديث اختصام الملأ الأعلىٰ، كشف الكربة في وصف أهل الغربة، طبقات الحنابلة.**



١٣) ابن خلدون (ت: ٨٠٨هـ):

وهو تقي الدين عبد الرحمن بن محمد، المعروف بابن خلدون، ولد بتونس عام ٧٣٢هـ، ومن أهم أعماله: **المقدمة**، وهي لكتابه: **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**. ويعد ابن خلدون المؤسس الأول لما يطلق عليه اليوم (**علم الاجتماع**)، كما أنه يعد زعيم المؤرخين، وكبير المربين، وأحد الكتاب العبقريين.



ثانيًا: تربية الشخصية السوية في ضوء التصور الإسلامي:

(أنموذج من التراث الإسلامي: **الخليفة الراشد عمر بن الخطاب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)

تعد شخصية الإنسان موضوع التربية الإسلامية ومحورها الأساس، ومن ثم استهدفت التربية الإسلامية تربية الشخصية السوية تربيةً متكاملةً تحقق وظيفة الإنسان بصفته خليفة في الأرض. ونعرض فيما يلي صورة حية تؤكد فاعلية التربية الإسلامية في تربية جوانب الشخصية المسلمة كما بدت في حياة: **الخليفة عمر بن الخطاب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **اجتهادًا وممارسةً قولاً وعملاً.**

أ) التربية الجسمية:

لأن الجسم القوي هو عدة المسلم التي تمكنه من أداء الفرائض الأساس والتكاليف الشرعية، تبدت عناية الخليفة الراشد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالتربية الجسمية، سواء على مستوى القول أو على مستوى الممارسة والتطبيق في بعض المظاهر المهمة؛ كالحث على إعطاء الجسم حقه من الغذاء والنظافة والملبس والشهوة، والأخذ بالقواعد الصحية السليمة في المأكل والمشرب، والتداوي من الأمراض، والبعد عن الأماكن الموبوءة والأشخاص القابلين لنقل العدوى، وممارسة الرياضة البدنية بأنواعها المختلفة: كالسباحة، والرماية، وركوب الخيل، والمصارعة.

فقد بلغ اهتمام عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بضرورة إعطاء الجسم حقه من الغذاء أنه أسقط حد القطع عن السارق عام المجاعة، ورفض أن يطبق الحد على غلمة حاطب بن أبي بلتعة إذ سرقوا ناقة لرجل من مزينة وانتحروها وأكلوها، وقال عمر لعبد الرحمن بن حاطب: «لولا أني أظن أنكم تجيعونهم حتى أن أحدهم أتى ما حرم الله عَزَّ وَجَلَّ لقطعت أيديهم، ولكن والله لئن تركتهم لأغرمنك فيهم غرامة توجعك» ثم قال عمر

للمزني: «كم ثمن ناقتك؟ قال: كنت أمنعها من أربعمائة، فقال عمر لعبد الرحمن ابن حاطب: فأعطه ثمانمائة»[1].

وكان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يحث الإنسان المسلم علىٰ النظافة والزينة؛ وذلك عندما جاءته امرأة برفقة زوجها وهي تقول: «لا أنا ولا هذا» فعرف كراهيتها له، فنظر إليه فإذا هو أشعث أغبر، فأرسله ليستحم ويأخذ من شعره وأظافره ويصلح من شأنه، فلما عاد أنكرته، ولما عرفته قبلت به وعادت إلىٰ بيتها، فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «هكذا فاصنعوا لهن، فو الله إنهن ليحببن أن تتزينوا لهن كما تحبون أن يتزينَّ لكم».

وقد حرص عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كذلك علىٰ توجيه الإنسان المسلم في غذائه وملبسه وشهوته وفق الضوابط الإسلامية، ومن هذه الضوابط أن يكون ما يتغذىٰ به الإنسان المسلم حلالاً طيبًا، وألا يفرط في الطعام، وأن يكون إشباعه لشهواته من طريق الحلال؛ فقد روىٰ مالك في الموطأ أن عمر بن الخطاب بعد أن شرب لبنًا أعجبه، ثم علم أنه من الصدقة، أدخل يده في جوفه واستقاءه. كما نهىٰ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الإنسان عن الإفراط في الطعام لئلا يؤدي إلىٰ السمنة التي قد تكون مرضًا يحول دون قيام المسلم بواجباته العبادية والجهادية والمعيشية، فيقول عمر: «إياكم والبطنة من الطعام؛ فإنها مكسلة عن الصلاة، مفسدة للجسم مورثة للسقم، وإن الله عَزَّ وَجَلَّ يبغض الحبر السمين، وعليكم بالقصد في قوتكم فإنه أدنىٰ من الإصلاح وأبعد من السرف وأقوىٰ علىٰ عبادة الله عَزَّ وَجَلَّ، ولن يهلك عبد حتىٰ يؤثر شهوته علىٰ دينه».

كما تبدىٰ حرص عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ مراعاة الرغبات الغريزية في الإنسان وضرورة إشباعها ولكن بالطريقة الشرعية؛ فقد رُوي أنه كان لا يدع مجاهدًا يغيب

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرىٰ (١٧٢٨٧).

عن زوجته أكثر من أربعة أشهر أو ستة، كما كان يجند في جيوش المسلمين غير المتزوجين ويدع المتزوجين ما استطاع إلىٰ ذلك سبيلاً.

ومن مظاهر العناية بالتربية الجسمية:

الأخذ بقواعد الصحة البدنية وممارسة العادات الصحية السليمة في المأكل والمشرب؛ كنظافة الأيدي والأواني المستخدمة في الطعام، وكيفية المحافظة عليه، واختيار الثياب الصحية، فكان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يختار من الثياب ما هو أصح للجسم وأنشف للعرق، وكان ينصح المسلمين بحمامات الشمس والسواك والصوم لتكون وسائل مهمة في المحافظة علىٰ صحة الجسم؛ فقد روي عنه أنه قال: «استقبلوا الشمس بجباهكم فإنها حمام العرب»[1].

كما روي عنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه أحجم عن قدوم الشام بجنوده لما علم بانتشار الوباء بها في سنة سبع عشرة من الهجرة، وكتب إلىٰ أبي عبيدة بن الجراح يستخرجه من المكان الموبوء، ولما طلب أبو عبيدة استعفاءه من الخروج، كتب إليه عمر ثانية أن يرفع الناس إلىٰ أرض مرتفعة نزهة بدلاً من الأرض التي أنزلهم بها والتي تتميز بفساد الريح وخمومها، فنزل أبو عبيدة بالناس حتىٰ نزل الجابية ورفع عن الناس الوباء، ولكنه كان قد أصابه الطاعون فأودىٰ بحياته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[2].

ومنع عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ امرأة مجذومة كانت تطوف بالبيت حتىٰ لا تؤذي الطائفين من الأصحاء، وقال لها: يا أمة الله لا تؤذي الناس، لو جلست في بيتك!

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٥٤٥٤)، وصححه الألباني في التعليقات الحسان علىٰ صحيح ابن حبان (٥٤٣٠).

(٢) انظر تاريخ الطبري ٤/ ٦١.

ففعلت، ثم مر بها رجل بعد ذلك، فقال لها: إن الذي نهاك قد مات فاخرجي، فقالت: ما كنت لأطيعه حيًا وأعصيه ميتًا[1].

وكان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يمارس ألوانًا مختلفة من الرياضات؛ كالمصارعة، وركوب الخيل، والسباحة.

وكتب إلىٰ المسلمين في الأمصار الإسلامية يأمرهم بأن يعلموا أولادهم الرياضة البدنية؛ كالسباحة، والرمي، وركوب الخيل[2].

ب) التربية العقلية:

لأن علىٰ العقل مدار التكليف والبحث وتكشف ما في النفس والكون من أسرار حرص عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ الاهتمام بالعقل، والحفاظ عليه من كل ما يعطل أداءه لوظائفه، والحث علىٰ تربيته وتنميته بوسائل مختلفة.

ففيما روي عنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قوله: «حَسَبُ المرء دينه، ومروءته خلقه، وأصله عقله»[3]. وقوله: «إن يكن لك عقل فلك مروءة»[4].

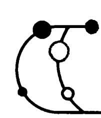
ومن أجل الحفاظ علىٰ عقل المسلم وأدائه لوظائفه كان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يأمر بالابتعاد عن كل ما يخرج العقل عن طبيعته المميزة المدركة كشرب الخمر؛ فقد روىٰ البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمر، قال: سمعت عمر بن الخطاب علىٰ منبر رسول الله ﷺ يقول: «أما بعد أيها الناس، إنه نزل تحريم الخمر، وهي من

(١) أخرجه مالك في الموطأ (١٦٠٣).

(٢) انظر مسند الإمام أحمد (٣٢٣).

(٣) أخرجه البيهقي في السنن الكبرىٰ (٢٠٨١١).

(٤) المجالسة وجواهر العلم (٥/ ٢٤٩) (٢٠٨٨).



خمس: من العنب والتمر والعسل والشعير، والخمر ما خامر العقل»(١). وروي عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال عمر: «ما خمرته فعتقته فهو خمر»(٢).

كما رفع عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حد شارب الخمر من أربعين جلدة إلىٰ ثمانين صيانة للعقل المسلم، ويروي الإمام مالك في الموطأ: أن عمر بن الخطاب استشار في الخمر يشربها الرجل، فقال له علي بن أبي طالب: «نرىٰ أن تجلده ثمانين؛ فإنه إذا شرب سكر، وإذا سكر هذىٰ، وإذا هذىٰ افترىٰ، أو كما قال، فجلد عمر في الخمر ثمانين»، و بذلك كان عمر أول من ضرب في الخمر ثمانين(٣).

واستخدم عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في تربية العقل جهودًا ووسائل عدة منها: طلب العلم، والفهم، والاجتهاد، وإعمال العقل بالتفكير، والعمل بالعلم. فكان يكتب إلىٰ قضاته وولاته في الأمصار الإسلامية يحثهم علىٰ إعمال العقل واستخدام الفكر اجتهادًا فيما يعرض عليهم من القضايا، فيكتب إلىٰ شريح قاضيه علىٰ الكوفة قائلاً: «انظر ما تبين لك في كتاب الله فلا تسأل عنه أحدًا، وما لم يتبين لك في كتاب الله فاتبع فيه سنة رسول الله ﷺ، وما لم يتبين لك فيه السنة فاجتهد رأيك»(٤).

ويكتب عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ أبي موسىٰ الأشعري واليه علىٰ البصرة كتابًا يقول له فيه: «أما بعد، فإن القضاء فريضة محكمة، وسنة متبعة، فافهم إذا أدلي إليك؛ فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له، آس بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك، حتىٰ لا

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٦١٩)

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ٩/ ٢٣٤ (١٧٠٥١)

(٣) موطأ الإمام مالك (٣١١٧).

(٤) السنن الكبرىٰ للبيهقي (٢٠٣١٢).

يطمع شريف في حيفك، ولا ييأس ضعيف من عدلك، البينة علىٰ من ادعىٰ واليمين علىٰ من أنكر، والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحًا أحل حرامًا أو حرم حلالاً، ولا يمنعك قضاء قضيته اليوم فراجعت فيه عقلك وهديت فيه لرشدك أن ترجع إلىٰ الحق؛ فإن الحق قديم، ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل، الفهمَ الفهمَ فيما يتلجلج في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنة، ثم اعرف الأمثال والأشباه وقس الأمور عند ذلك، واعمد إلىٰ أقربها إلىٰ الله وأشبهها بالحق»(١).

ج) التربية الأخلاقية:

اهتمَّ عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ اهتمامًا واضحًا بتربية الشخصية المسلمة علىٰ القيم والفضائل وحسن الخلق، وضرورة تطابق النية مع السلوك، والقول مع الفعل؛ حتىٰ تكون الشخصية المسلمة خَيِّرةً تحقق السعادة لنفسها وغيرها.

والذي يتأمل بعض أقوال عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بشيء من الإمعان يجد أنه يردُّ الأخلاق إلىٰ أصل واحد هو الدين، والدين مصدره القرآن والسنة، وهذا يعني أن الأخلاق عنده هي الدين، ويتضح هذا من قوله: «كرم الرجل دينه، وحَسَبُه خُلُقه وإن كان فارسيًا أو نبطيًا»(٢)، وقوله: «حَسَبُ المرء دينُه، ومروءته خُلُقه، وأصله عقله»(٣).

وكان عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يرىٰ أن هناك حاسة أخلاقية موجودة في النفس الإنسانية بالفطرة، فيقول: «الشجاعة والجبن غرائز تكون في الرجال، ويقاتل الشجاع عما لا يعرف، ويفر الجبان عن أمّه»(٤). وهذا يعطي التربية مكانةً مهمةً في تنمية هذه

---

(١) تاريخ المدينة لابن شبة (٢/ ٧٧٦).

(٢) سنن سعيد بن منصور (٢٥٣٤).

(٣) سبق تخريجه ص ٩٠.

(٤) مصنف ابن أبي شيبة (٣٢٦١٦).

الحاسة الأخلاقية وتربيتها، بحيث تسعىٰ التربية الأخلاقية إلىٰ إبراز الفضائل وتثبيتها وتنميتها، وإزالة الرذائل واستئصالها من الشخصية المسلمة.

ومن ثم يحث عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ الإنسان المسلم علىٰ أن يعمل جاهدًا علىٰ تغليب الأخلاق الفاضلة والصالحة لديه، وأن يدع الأخلاق السيئة، حتىٰ لا تسري عدوىٰ الأخلاق السيئة علىٰ الأخلاق الحسنة فتفسدها، فيقول: «قد يكون في الرجل عشرة أخلاق؛ تسعة صالحة وواحد سيء، فيفسد التسعةَ الصالحةَ ذلك السيءُ»(١).

كما يحث عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ الإنسان المسلم علىٰ حسن الخلق، فيقول: «أحبكم إلينا أحسنكم أخلاقًا»، وينهىٰ عمر عن سوء الخلق، فيقول: «إياك والغضب والغلق والضجر والتأذي بالناس»(٢)، فهو ينهىٰ عن ضيق الصدر وقلة الصبر، يقال في سوء الخلق: «رجل غلق»، أي: غلق الخير.

وفيما يتعلق بالتطابق بين النية والسلوك في الحكم علىٰ الالتزام بالأخلاق نرىٰ عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يركز علىٰ السلوك الخلقي الظاهر؛ لأن النية لا يعلمها إلا الله، فيقول في أحد كتبه إلىٰ واليه علىٰ البصرة أبي موسىٰ الأشعري: «إن الله تولىٰ من العباد السرائر وستر عليهم الحدود إلا البينات والأيمان»(٣). يريد أن من ظهر منه علانية خير قبلناها منه ووكلنا سريرته إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ؛ فإن الله لم يجعل أحكام الدنيا علىٰ السرائر بل علىٰ الظواهر، والسرائر تبع لها، وأما أحكام الآخرة

---

(١) مصنف عبد الرزاق(٨٢٤٠).

(٢) تاريخ المدينة لابن شبة (٢/ ٧٧٦).

(٣) السنن الكبرىٰ (٢٠٥٣٧).

فعلىٰ السرائر، والظواهر تبع لها، ولعل هذا يفسر لنا قول عمر: «من أسر شيئًا أخذ بسريرته، ومن أعلن شيئًا أخذ بعلانيته، فأظهروا لنا أحسن أخلاقكم والله أعلم بالسرائر، فإنه من أظهر شيئًا وزعم أن سريرته حسنة لم نصدقه، ومن أظهر لنا علانية حسنة ظننا به حسنًا»[١]، وقوله: «من أظهر لنا خيرًا ظننا به خيرًا وأحببناه عليه، ومن أظهر لنا شرًا ظننا به شرًا وأبغضناه عليه»[٢].

ومن ثم فالمعيار الذي يرجحه عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للأخلاق هو السلوك وتجربة الناس ومعاملتهم في هذه الحياة؛ لأن سرائرهم يعلمها الله. وحين أثنىٰ رجل علىٰ آخر أمامه سأله: «أصحبته في السفر أو عاملته؟» فلما أجاب نفيًا، قال: «فأنت القائل بما لا تعلم»[٣].

ومع اهتمام عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالسلوك الخلقي الظاهر إلا أنه لا يهمل النية بصفتها دافعًا للسلوك الأخلاقي، وهذا ما نلحظه في كتاب عمر نفسه إلىٰ أبي موسىٰ الأشعري واليه علىٰ البصرة، حينما يقول له: «من خلصت نيته في الحق ولو علىٰ نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس، ومن تخلق للناس بما يعلم الله أن ليس من نفسه شانه الله؛ فإن الله تعالىٰ لا يقبل من العباد إلا ما كان خالصًا، فما ظنك بثواب عند الله عَزَّ وَجَلَّ في عاجل رزقه وخزائن رحمته»[٤]

---

(١) تاريخ الطبري (٤/ ٢١٦).

(٢) مسند الإمام أحمد (٢٨٦).

(٣) محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لابن المبرد(٢/ ٧٣١).

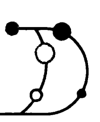
(٤) السنن الكبرىٰ للبيهقي (٢٠٥٣٧).

ويشير قول عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ السابق إلىٰ أهمية تطابق النية مع السلوك والقول مع الفعل، فيقول: «ومن تخلق للناس» أي: أظهر للناس في خلقه خلاف نيته؛ لأن قوله: «تخلق» يريد أظهر الخلق تصنعًا، ومن أظهر الخلق تصنعًا وافتعالاً بما يعلم الله أنه ليس من خلقه «شانه الله».

وبتأملنا لنموذج خلافة عمر الذي سقناه في الصفحات السابقة ندرك كيف كانت خلافة الصدر الأول -أو خلافة الخلفاء الراشدين- مثالاً للخلافة الصحيحة الشرعية، وأنها النموذج الذي تستنبط منه الأسس والمبادئ التي يجب أن يبنىٰ عليها نظام الحكم الإسلامي، وبمعنىٰ آخر: هي النموذج العملي للتربية السياسية في الإسلام.

والتربية السياسية كما بدت في حياة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كانت تقوم علىٰ عدة دعائم أو مقومات هي: المساواة، والعدل، والشورىٰ، وحقوق المسلم علىٰ الحاكم، وواجباته؛ فكان إذا أعياه أن يجد في القرآن أو السنة حكم ما نزل به نظر هل كان لأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيه رأيٌ، فإن وجد أخذ به، وإلا جمع رؤوس الناس وعلماءهم فاستشارهم، فإن اجتمعوا علىٰ أمر أخذ به. كما حرص عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ أن يوسع قاعدة العمل بالشورىٰ، فلم يقتصر علىٰ العلماء والقراء الذين كانوا أصحاب مشورته، بل كان إذا نزل به الأمر المعضل دعا الفتيان فاستشارهم يقتفي حدة عقولهم، وكان يستشير المرأة فربما أبصر في قولها الشيء يستحسنه فيأخذ به.

أما حقوق الرعية في اختيار الحاكم ونقده وتقويمه والاتصال المباشر به، فقد برزت في حياة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بشكل واضح؛ فلم يعتبر عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نقد الرعية ومحاسبتها للحاكم حقًا لها فحسب، بل كان يزيد علىٰ ذلك فيجعل أحب الناس إليه



من يواجهه بعيوبه: «أحب الناس إليَّ من رفع إليَّ عيوبي»[1]، ولم يعرف عنه أنه احتجب عن رعيته أو اتخذ من دونهم بابًا، وقد أعرب عن ذلك الهرمزان عندما أتىٰ به المسلمون مأسورًا إلىٰ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو نائم في المسجد، فيسأل الهرمزان عن حراسه وحجابه، فيقولون: ليس له حارس ولا حاجب، فيقول الهرمزان: (ينبغي له أن يكون نبيًا) فقالوا: «بل يعمل بعمل الأنبياء»[2]

وللرعية كذلك الحق في التعليم؛ لأنه في مقدمة الحقوق التي يجب علىٰ الرعية والحاكم في الإسلام القيام بها حتىٰ تتمكن الرعية من المشاركة السياسية بوعي وفهم، فقبل اتساع الفتوحات الإسلامية كان الراشدون يُعلِّمون بأنفسهم مع غيرهم من الصحابة، وكانوا يعلمون من فوق المنبر في المسجد وفي مجالسهم وفي كل مكان يتيسر فيه أمر التعليم، ولما اتسعت الفتوحات وانتشر الإسلام كانوا يرسلون بالمعلمين إلىٰ الأمصار، كما كانوا يعهدون بالولاية والقضاء إلىٰ كبار الصحابة حتىٰ يكون التعليم في مقدمة مهامهم الأساس.

وكان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ينص في كتبه إلىٰ المسلمين في الأمصار علىٰ أن مهمة ولاته هي التعليم؛ نرىٰ ذلك مثلاً فيما كتبه إلىٰ عامة المسلمين في الأمصار قائلاً: «إني لم أستعمل عليكم عمالاً ليضربوا أبشاركم وليشتموا أعراضكم ويأخذوا أموالكم، ولكني استعملتهم ليعلموكم كتاب ربكم وسنة نبيكم»[3]، ويخطب عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الناس

---

(١) محض الصواب لابن المبرد (٢/ ٥٩٣).

(٢) المرجع السابق (٢/ ٤٤٧).

(٣) محض الصواب لابن المبرد (١/ ٣٨٣).

يوم الجمعة، فيقول: «اللهم إني أَشهَدُ علىٰ أمراء الأمصار، فإني إنما بعثتهم ليعلموا الناس دينهم وسنة نبيهم»[1].

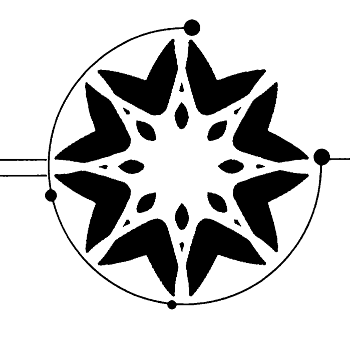
وكان الولاة الذين يبعث بهم عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ الأمصار الإسلامية يؤكدون للمسلمين أن مهمتهم الأساس هي التعليم؛ نرىٰ ذلك فيما أعلنه أبو موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عندما أرسله عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ واليًا علىٰ البصرة، فقال: «إن أمير المؤمنين بعثني أعلمكم كتاب ربكم وسنة نبيكم»[2]. ومن ثم، فمهمة الولاة وواجبهم الأساس أن يكونوا أئمة ومربين ولا يكونوا جباة عاتين.

ولا شك أن مثل هذه الممارسات - في مختلف جوانب تربية الشخصية - قد هيَّأت لعملية التربية والتعليم مناخًا رائعًا من الحرية الفكرية، وحققت مزيدًا من النشاط والاجتهاد في مجال العلم والفقه.

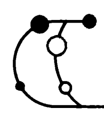
●●•●●

(١) المرجع السابق (٣/ ٨٠٨).

(٢) سنن الدارمي، المقدمة (١/ ٤٦٣).



الفصل الثاني: الداعية المربي.. الأخلاق والسلوك



أهداف الفصل الثاني:

يهـدف هـذا الفصـل بشـكل إجمـالي إلـىٰ تعميـق التربيـة الإيمانيـة والأخلاقيـة والسلوكية للداعية من خلال: تقوية صلة الداعية بربه، وتزكيته لنفسه، وتمثله للأخلاق الفاضلة التي ترتسم منهاج النبي ﷺ قدوة ونبراسًا لها في الدعوة.

أما تفصيلاً، فمن المتوقع بعد قراءة الفصل، أن يتعرف الداعي إلىٰ الله علىٰ:

١) طرق تقوية الداعية صلته بربه عز وجل ومظاهر ذلك.

٢) وسائل تزكية الداعية نفسه.

٣) أعمال القلوب ومفسداتها.

٤) أهمية تربية الداعية نفسه علىٰ العبادة.

٥) مقتضيات العبودية بين الرب والعبد.

٦) مكانة الأخلاق في نجاح الداعية.

٧) قواعد اكتساب الأخلاق الفاضلة.

٨) أبرز الأخلاق المتأكدة في حق الداعية.

٩) أهمية اقتداء الداعية بالهدي النبوي في الدعوة.

١٠) نماذج من أخلاق النبي ﷺ في الدعوة.

أنشطة إثرائية للعصف الذهني:

١) ما الحكمة من زيادة الإيمان ونقصانه؟ وما العوامل التي تسهم في زيادة إيمان العبد بربه ونقصانه؟ وما المظاهر السلوكية الدالة علىٰ ذلك؟

٢) للنفس مراتب ثلاث تتدرج بينها: (أمارة بالسوء، لوامة، مطمئنة)؛ ولكل نفس خصائص وسمات تميزها عن غيرها. حدد في ضوء الأصول الإسلامية الدلائل الأخلاقية والسلوكية التي تميز كل نفس، مع توضيح سُبُل تزكيتها.

٣) ما القيم الأخلاقية التي ترىٰ تحلي الداعية بها ضرورة لا غنىٰ عنها؟ وهل لديك مواقف من الهدي النبوي تدل علىٰ ذلك؟

٤) ما رأيك بصفتك مسلمًا داعية إلىٰ الله -مع ذكر ما يدلل علىٰ رأيك من القرآن أو السنة أو حال سلف الأمة- في المواقف الآتية؟

أ- داعية متمكن ومؤثر في الناس، ويُشار إليه بالبنان في هذا المجال، لكنه يفضل البدء بدعوة الناس علىٰ دعوة أهله وأقاربه.

ب- داعية قدوة للناس، وابنه يُدخِّن ولا يصلي.

ج- داعية يتبع في دعوته منهجًا خاصًا به - مثل: الاختصاص في التعامل مع فئة معينة من الناس كالفنانين مثلاً، اتباع أساليب معينة كالغناء أو الأناشيد، الاقتصار علىٰ الدعوة في الأماكن المفتوحة كالمقاهي أو المسارح... - وتنجم عن دعوته نتائج حسنة ومكاسب كبيرة.

د- داعية تفوح منه رائحة الدخان، أو لا يحافظ علىٰ الصلاة في وقتها جماعة بالمسجد.

هـ- داعية ينهر ويزجر، أو يغلظ القول علىٰ مسلم طلب منه شيئًا محرمًا؛ كشرب الدخان أو ارتكاب فاحشة.

و- داعية يرفق ويلين مع غير المسلم الذي يشرب الخمر ويفعل الفواحش.

ز- داعيـة يتبـع في دعوتـه شخصًـا معينًـا ويقتـدي بـه، أو حـزب ذي توجـه فكري معين.

ح- داعية يقلد غيره من الدعاة المعاصرين المتميزين.

ط- داعية يركز في دعوته علىٰ الاستشهاد بمساوئ غيره من الدعاة ومحاسنهم.



تمهيد:

يقول الإمام الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب إحياء علوم الدين: «فإن كل صفة تظهر في القلب يظهر أثرها علىٰ الجوارح حتىٰ لا تتحرك إلا علىٰ وفقها لا محالة»[1]؛ فأفعال الإنسان إذن موصولة بما في نفسه من معان وصفات. ومعنىٰ ذلك أن صلاح أفعال الإنسان مرتبط بصلاح أخلاقه؛ لأن الفرع بأصله، فإذا صلح الأصل صلح الفرع، وإذا فسد الأصل فسد الفرع؛ ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ [الأعراف: ٥٨].

ولهذا كان النهج السديد في: إصلاح الناس وتقويم سلوكهم، وتيسير سبل الحياة الطيبة لهم، وهدايتهم للطريق الأقوم، و أن يبدأ المصلحون والدعاة والمربون بإصلاح نفوسهم وتزكيتها، وغرس الأخلاق الطيبة فيها، وإلا فكيف يستطيع الداعية المربي المصلح تغيير أحوال الناس المدعوين - من سعادة وشقاء، ويسر وعسر، ورخاء وضيق، وطمأنينة وقلق، وعز وذل،...إلخ - دون أن يغير هو ما بنفسه؟!

لا بد أن يكون قول الداعية وفعله، وأمره ونهيه، وإقدامه علىٰ الفعل أو إحجامه عنه، موزونًا بميزان الأخلاق والتربية الإسلامية، ومتوقفًا علىٰ مدىٰ رسوخ هذه الأخلاق في نفسه، وتطبعه بها وحماسه لها، وغيرته عليها وشعوره بضرورتها إليه، فلا يكفي الأخلاق مجرد معرفتها والعلم بها، بل لا بد من لزوم ممارستها في اليسر والعسر، ووقت الفرح والحزن، والهدوء والانفعال، ومع القريب والبعيد، وفي الوسيلة والغاية، حتىٰ تكون جزءًا لا يتجزأ من سلوك الداعية المربي، فحينئذ تؤتي

---

(١) إحياء علوم الدين (٣/ ٥٩).

الدعوة ثمارها، ويتضاعف أجر الداعية بأجر كل من نهج نهجه واستن بسنته، دون أن ينقص من أجرهم شيئًا.

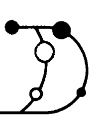
لذا، يعرض هذا الفصل لثلاثة مباحث في لزوم الداعية السلوك القويم والتربية الفاضلة على النحو الآتي:

٥. **المبحث الأول: التربية الإيمانية للداعية.**

٦ **المبحث الثاني: أخلاق الداعية.**

٧. **المبحث الثالث: الهدي النبوي في الدعوة.**





المبحث الأول
التربية الإيمانية للداعية

التربية الإيمانية تعني إنماء الإيمان وزيادته وتعاهده وترقيته، (والإيمان قول وعمل؛ قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح)[1]، والتربية الإيمانية تُعنىٰ بتعميق معاني الإيمان في القلب، وتحقيق السلوك الإيماني في الجوارح، فهي عناية قلبية وتربية عبادية.

ومن المؤكد أن تحقق التربية الإيمانية في سلوك الداعية هو من أولىٰ مقومات تربية الداعية لنفسه، وكلما قوي إيمان الداعية قويت ثقته بالله، وعظم يقينه وأشرقت نفسه، ولهذا أثر بالغ علىٰ صدق لهجته وحسن دعوته وثباته علىٰ الصراط القويم.

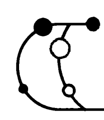
أولاً: أهمية تقوية الداعية صلته بربه عز وجل:

قال الله تعالىٰ لنبيه محمد ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ٤ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ١ – ٥].

فعبء الدعوة ثقيل، وحملها كبير، وقدرة الفرد تعجز عن تحمله والقيام به لولا توفيق الله تعالىٰ وعونه، ولذلك كان لابد للداعية أن يتعرض لتوفيق ربه، وأن يستمد منه عونه، ويطلب منه مدده، ولن يتحقق ذلك إلا بحسن الصلة بالله والتقرب إليه وحسن التوكل عليه، حتىٰ يكون بين العبد وبين الله حال يصبح معها من أوليائه، فلا

---

(١) العقيدة الواسطية (ص١١٣).



يُسلمه معها إلىٰ أعدائه، كما أنه لا يستقيم للداعية أن يدعو الناس إلىٰ الله وإلىٰ حسن الصلة به، وهو مقصر في حق ربه مقطوع الصلة به! قال الله تعالىٰ علىٰ لسان نبيه شعيب عليه السلام جامعًا هذين الأمرين: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

ثانيًا: من المظاهر التي تدل على توثيق الداعية صلته بالله:

- إخلاص النية له سبحانه في دعوته؛ فلا يرجو من ورائها إلا رضا الله عز وجل، ولا يتطلع منها إلىٰ مكاسب شخصية أو منافع دنيوية.

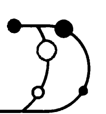
- عظم محبة الله عز وجل في قلبه، والإكثار من عبادته وذكره؛ فالداعية الوثيق الصلة بالله يحرص علىٰ طاعته والتقرب إليه، محافظ علىٰ المفروضات سبَّاق إلىٰ النوافل والمسنونات.

- إتقانه لدعوته وإحسانه فيها، استشعارًا منه لعظم الرسالة وحجم الأمانة التي أمر الله بتبليغها للناس، ومراقبة الله في أدائها علىٰ الوجه الذي يرضيه.

- حياة قلبه وسرعة تأثره بآيات الله ومواعظه.

يقول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢ - ٤].

وبمجاهدة الداعية نفسه لتحقيق الإيمان وتعظيم الصلة بالله تهون عليه الصعاب، وتخف الآلام، وتُنتزع من قلبه آفات القلب من حب الشهرة والجاه، والخشية من الناس، ويزداد رغبه فيما عند الله. ولتحقيق هذه الصلة بالله يسلك الداعية ثلاث سبل: **تزكية نفسه، وتنقية قلبه، وتربية نفسه علىٰ العبادة.**



أ -تزكية الداعية نفسه:

التزكية في اللغة: مصدر زكَّىٰ الشيء يزكيه، ولها معنيان: المعنىٰ الأول: التطهير؛ يقال: زكَّيت الثوب إذا طهَّرته. والمعنىٰ الثاني: الزيادة؛ يقال: زَكَىٰ المال يزكو إذا نمىٰ.

وكلا المعنيين اللغويين مقصود في الشرع؛ لأن تزكية النفس شاملة للأمرين: تطهيرها وتخليتها من الأدران والأوساخ الحسية والمعنوية، وتنميتها وتحليتها بالأوصاف الحميدة والفاضلة. فتزكية النفس تدور علىٰ أمرين: التخلية، والتحلية.

والمقصود بالتخلية:

تطهير القلب من أدران الاعتقادات الباطلة والتصورات الرديئة والذنوب والمعاصي، والمقصود بالتحلية: تحلية النفس بحسن المعتقد وجمال التصور ومكارم الأخلاق وطيب الشمائل. وهما عمليتان تسيران جنبًا إلىٰ جنب؛ فالمؤمن مطالب (بالتنقِّي من العيوب -كالرياء والكبر، والكذب والغش، والمكر والخداع والنفاق، ونحو ذلك من الأخلاق الرذيلة- ومطالب بالتحلِّي بالأخلاق الجميلة من: الصدق، والإخلاص، والتواضع، ولين الجانب، والنصح للعباد، وسلامة الصدر من الحقد والحسد وغيرهما من مساوئ الأخلاق، فإن تزكيته يعود نفعها إليه، ويصل مقصودها إليه، ليس يضيع من عمله شيء)[1]

ووردت تزكية النفوس في القرآن الكريم في نصوص متعددة دلَّت علىٰ بالغ العناية بذلك الأمر:

---

(١) قواعد قرآنية (ص١٦٩).

١ دعا إبراهيم عليه السلام ربه أن يبعث في ذريته رسولا يبلغهم الوحي، ويعلمهم الشرع، ويزكيهم؛ قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٩]. ووصف الله رسالة نبيه ﷺ في الأميين بقوله: ﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ [الجمعة: ٢].

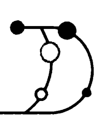
٢. التزكية رسالة الأنبياء؛ قال الله تعالى: ﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴾ [النازعات: ١٧ - ١٩].

٣. ربط الله الفلاح بتزكية النفس؛ قال سبحانه ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [الأعلى: ١٤]، وبعد أن أقسم أقسامًا متعددة -أحد عشر قسمًا- في سورة الشمس، كان جوابها: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾، قال تعالى: ﴿ وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿٢﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴿٤﴾ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ [الشمس: ١ - ١٠].

٤. جعل الله الجنة جزاء من تزكى؛ قال تعالى: ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ [طه: ٧٦].

٥. جاء في القرآن معنى جليل في أن من ينتفع بتزكية النفس هو المزكّي نفسه، وهذا حث للعبد أن يعتني بتزكية نفسه؛ قال الله تعالى: ﴿ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ﴾ [فاطر: ١٨].

٦ زكاة النفس فضل وهبة يمنحها الله من يشاء؛ قال الله عز وجل: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [النور: ٢١]،



وفي الحديث أنه ﷺ كان يقول عند هذه الآية: «اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها»[1].

والداعية أولىٰ الناس بتزكية نفسه وتطهيرها، فكيف يُزكي الداعية إلىٰ الله نفسه؟

في النقاط التالية إشارة إلىٰ أهم الوسائل لتحقيق ذلك:

١ تحقيق توحيد الله تعالىٰ وتعظيم قدره وتقوية الإيمان به؛ قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فأصل ما تزكو به القلوب والأرواح: التوحيد)[2]، ويكون ذلك بالتفكر في خلقه، وتعلم أسمائه وصفاته، وتعظيم آياته وشرعه، والخشية منه حق الخشية؛ قال تعالىٰ في قصة موسىٰ وفرعون: ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾ [النازعات: ١٨ - ١٩].

٢. الاقبال علىٰ القرآن وتلاوته وتدبره والعمل بما فيه، فعن أَبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **«مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأُترُجَّة، ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة، لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الرَّيحانَة، ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحَنْظَلَةِ، ليس لها ريح وطعمها مر»**[3].

٣. المحافظة علىٰ الفرائض، وإقامتها علىٰ أكمل وجه؛ يقول الله تعالىٰ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ [الأعلى: ١٤ - ١٥]، وبذل الصدقة كما قال تعالىٰ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]، ثم الحرص علىٰ النوافل والسنن

(١) أخرجه مسلم (٢٢٧٢).

(٢) إغاثة اللهفان (١/ ٤٩).

(٣) أخرجه البخاري (٥٠٢٠).

والإكثار منها، فعبادة الله زكاة النفس وطهارتها، وكلما أحسن الداعية التعبد لله أفاض الله عليه من حبه وتوفيقه.

٤. كثرة الذكر وترطيب اللسان به، قال النبي ﷺ: «**مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر مثل الحي والميت**»[(١)].

٥. كثرة القراءة في سير الصالحين؛ فإن قراءتها تقوي الهمة، وتشد العزم، وفي سير الصالحين العطرة منهج علمي وتطبيق عملي لتزكية النفوس وإصلاحها.

وبالعموم فإن تزكية النفوس لا تكون إلا بالمنهج الشرعي والهدي النبوي الذي جاء به نبينا محمد ﷺ، وفي هذا يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب مدارج السالكين: (وتزكيةُ النفوس أصعبُ من علاج الأبدان وأشدُّ، فمن زكَّىٰ نفسه بالرياضةِ والمجاهدة والخلوةِ التي لم يجئ بها الرسل، فهو كالمريضِ الذي يعالجُ نفسَه برأيِه، فالرسلُ أطباءُ القلوب، فلا سبيل إلىٰ تزكيتها وصلاحها إلا من طريقهم والتسليم لهم)[(٢)]

وفي مقابل هذا، فإن الداعية ينبغي عليه أن يتنبه لسد المنافذ التي قد تفسد عليه أثر تلك الوسائل؛ لأن القلب الذي يتلقىٰ الوسائل والعوائق واحد ولا يمكن انفصاله أو تجزئته؛ إذ لا يكفي أن يأتي الإنسان بالوسائل بل لا بد من الحذر من العوائق، ومن أعظمها: الركون إلىٰ الدنيا وإيثارها علىٰ الآخرة، واتباع الهوىٰ، وجملة المعاصي والآثام مثل: النظر إلىٰ المحرمات، أو سماع المحرمات، وإطلاق اللسان فيما لا يعني، فضلاً عما حرم الله تعالىٰ، وانظر كيف أن الله قرن اجتناب المحرمات بزكاة

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٠٧)، ومسلم (٧٧٩).

(٢) مدارج السالكين (٢/ ٣٠٠).

النفس في قوله تعالىٰ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾ [النور: ٣٠].

ب -اهتمام الداعية بقلبه:

القلب محط نظر الرحمن جل وعلا، قال رسول الله ﷺ: «**إن الله لا ينظر إلىٰ أجسادكم، ولا إلىٰ صوركم، ولكن ينظر إلىٰ قلوبكم**»(١). وسلامته أساس النجاة يوم القيامة؛ قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨ - ٨٩]، وقد سمي القلب قلبًا لسرعة تقلبه؛ قال ﷺ: «**إنما سُمي القلب من تقلبه، إنما مثل القلب كمثل ريشة معلقة في أصل شجرة يقلبها الريح ظهراً لبطن**»(٢).وهو شديد التقلب كما وصفه النبي ﷺ بقوله: «**أشد تقلبًا من القدر إذا اجتمعت غليانًا**»(٣)

والله سبحانه وتعالىٰ هو مقلب القلوب ومصرفها كما جاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء**»(٤)، ولهذا كان من دعائه ﷺ: «**اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا علىٰ طاعتك**»(٥)

---

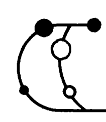
(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٥٦٤).

(٢) أخرجه أحمد (١٩٦٦١). وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٣٦٥).

(٣) أخرجه الحاكم (٣١٤٢) وصححه علىٰ شرط البخاري، ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في الصحيحة (١٧٧٢).

(٤) أخرجه أحمد (٦٦١٠)، وأخرجه ابن ماجه (١٩٩) من حديث النواس بن سمعان ﷺ. وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٧٤٧).

(٥) أخرجه مسلم (٢٦٥٤).



والقلب مَلِك الأعضاء وصلاحه صلاح لسائرها، قال النبي ﷺ: «**ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله؛ ألا وهي القلب**»[1]

و(التربية الإسلامية تولي الاهتمام الأكبر في تقويم السلوك إلىٰ إصلاح القلب وتثبيت الإيمان فيه، فإذا استقام السلوك الداخلي استقام تبعًا له الخارجي لا محالة، بخلاف العناية بتقويم السلوك الظاهر فقط؛ فإنه يعتبر بناء علىٰ غير أساس، وكل بناء علىٰ غير أساس عرضة للانهيار)[2]. قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فأفضل الناس من سلك طريق النبي ﷺ وخواص أصحابه في الاقتصاد في العبادة البدنية والاجتهاد في الأحوال القلبية؛ فإن سفر الآخرة يقطع بسير القلوب لا بسير الأبدان)[3]. وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (والدين القائم بالقلب من الإيمان علمًا وحالاً هو الأصل، والأعمال الظاهرة هي الفروع وهي كمال الإيمان)[4].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ومن تأمل الشريعة في مصادرها ومواردها علم ارتباط أعمال الجوارح بأعمال القلوب، وأنها لا تنفع بدونها، وأن أعمال القلوب أفرض علىٰ العبد من أعمال الجوارح، وهل يميز المؤمن عن المنافق إلا بما في قلب كل واحد منهما من الأعمال التي ميَّزت بينهما؟! وهل يمكن أحد الدخول في الإسلام إلا بعمل قلبه قبل جوارحه؟! وعبودية القلب أعظم من عبودية الجوارح وأكثر وأدوم، فهي واجبة في كل وقت)[5]

---

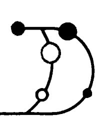
(١) أخرجه البخاري (٥٢).

(٢) الأهداف التربوية السلوكية عند شيخ الاسلام ابن تيمية ص ١١٣.

(٣) مجموع رسائل ابن رجب (٤/ ٤١٥).

(٤) مجموع الفتاوىٰ (١٠/ ٣٥٥).

(٥) بدائع الفوائد (٣/ ١٩٣).



وتعد أعمال القلوب هي الأصل الذي تنبني عليه جميع العبادات، وهي الأصل الذي يؤثر في الإيمان زيادة ونقصانا، ويؤثر في التوحيد بقاء وزوالا، وأعمال القلوب هي: **الحركات والمشاعر التي يتبناها القلب نحو خالقه سبحانه، وهي الإقرارات والتصديقات التي يقولها القلب بلسان حاله، وهي الموافقات الفعلية للأوامر والنواهي التي جاء بها الدين للعباد**، ومن أمثلة أعمال القلوب: الخشية، والإنابة، والخوف والرجاء، والمحبة، والتوكل، والشكر، والمراقبة والمحاسبة، والإخلاص واليقين، وغيرها.

والله عز وجل قد ذكر في القرآن أوصافا في ذم القلب القاسي، والمقفل والمريض، والأعمىٰ والأغلف، والمطبوع المختوم عليه، ومتىٰ ما أهمل الداعية قلبه ولم يكن من أولوياته واهتماماته، ولم يستشعر خطورة إهماله والانشغال عنه؛ كان قلبه معرضًا للعطب والهلاك، فكيف للداعية أن يدل القلوب إلىٰ الله وقلبه في منأىٰ عنه؟!

ومما ينبغي أن يدركه ويحذره الداعية: آفات القلب ومفسداته؛ وهي محصورة في محورين كبيرين هما: مرض الشبهة، ومرض الشهوة؛ فإن شفاء القلوب منهما موقوف علىٰ ما يزيلهما، وسلامة القلب في تخليته مما يفسده ويعطبه بالبعد عن الشرك بالله أصغره وأكبره، وعدم التعلق بالبدعة، والحذر من مخالفة السنة، وترك اتباع الشهوات، والتوبة من مواقعة السيئات، والفرار من الشبهات، وترك الغفلة.

ج -تربية الداعية نفسه علىٰ العبادة:

امتدح الله أقوامًا بأنهم من العابدين؛ فقال عز وجل: ﴿ وَكَانُواْ لَنَا عَـٰبِدِينَ ﴾ [الأنبياء: ٧٣]، فأثنىٰ عليهم لاجتهادهم في عبادة ربهم، والعبادة هي الغاية التي خلق الله

الثقلين من أجلها، وتعبيد الناس لله هو غاية دعوة المرسلين ومن سار علىٰ نهجهم من الدعاة المصلحين؛ قال تعالىٰ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقد أمر الله بها النبي ﷺ حتىٰ الممات؛ فقال سبحانه: ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ [الحجر: ٩٩]، وكم يحتاج الداعية إلىٰ الله قبل دعوته إلىٰ أن يربي نفسه علىٰ العبادة لله، ومما يعينه علىٰ ذلك:

- استشعار أهمية العبادة للداعية وأنها خير عون له في دعوته، ولذلك أمر الله سبحانه وتعالىٰ بها الرسول ﷺ عند إرادة إلقاء القول الثقيل عليه، وهو خير الدعاة وأفضلهم؛ فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ [المزمل: ١ - ٥].

- استشعار أن العبادة مجلبة لمحبة الله عز وجل، وبتلك المحبة يفلح الداعية؛ كما في الحديث القدسي: «**إن الله تعالىٰ قال: من عادىٰ لي وليًّا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتىٰ أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه**»[1]. فيصبح لا يمشي إلا لله، ولا يبطش إلا لله، ولا يسمع إلا لله، ولا يبصر إلا لله، وكل عمله لله، فيحب كل ما يقربه إلىٰ الله، ويكره كل ما يبعده عن الله.

- كما أن محبة الله تقود إلىٰ محبة الآخرين للداعية؛ وذلك لأن الله ﷻ سيحبه، وإذا أحبه الله أحبه جبريل، ثم تحبه ملائكة السماء، ويطرح له القبول في الأرض؛

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٢).

فعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: **«إذا أحب الله العبد نادىٰ جبريل: إن الله يحب فلانا فَأَحْبِبْهُ، فَيُحِبُّهُ فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلانا أَحِبُّوهُ، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القَبُول في الأرض»**(١)

- معرفة أهمية العبادة للداعية في وقايته من الفتن، يقول الرسول ﷺ **«بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم؛ يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا، ويمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعرض من الدنيا»**(٢)

- **ومما يعين الداعية علىٰ تربية نفسه علىٰ العبادة:**

١. القراءة في فضائل العبادات؛ فإن ذلك سيقوده للمسارعة إليها، والاجتهاد فيها.

٢. تعويد النفس منذ البدايات علىٰ التزام العبادة وعدم التفريط فيها.

٣. قراءة سير العباد والزهاد في دواوين سير أعلام النبلاء وكتب الأعلام.

٤. التنويع في العبادات وعدم إملال النفس منها.

٥. الحرص علىٰ الاستمرار والديمومة عليها؛ فأحبها أدومها وإن قل، وكان عمله ﷺ دِيْمَة؛ أي يداوم عليه.

٦ أن يحرص علىٰ استدراك ما فات منها، وقضاء ما يقضىٰ.

٧. مصاحبة الصالحين من أهل العبادة الذين يعينونه عليها.

٨. **وبعد ذلك كله يرجو قبولها من الله مع خوف الرد وذهاب الأجر؛ يقول الله تعالىٰ:** ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ۝٦٠ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٩)، ومسلم (٢٦٣٧).

(٢) أخرجه مسلم (١٠٨).

[المؤمنون: ٦٠ - ٦١]، قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لرسول الله ﷺ: هم الذين يشربون الخمر، ويسرقون؟ قال: «**لا يا بنت الصديق، أو يا بنت أبي بكر، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون، وهم يخافون ألا يقبل منهم، أولئك الذين يسارعون في الخيرات**»[(١)].

ثالثًا: مقتضيات العبودية بين الرب والعبد:

العبودية هي أعلىٰ مقامات المخلوق، ولذلك حينما نادىٰ الله سبحانه وتعالىٰ رسوله ﷺ في مقام الإسراء -وهو مقام عالٍ- ناداه بلفظ العبودية؛ فقال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١]، ومتىٰ ما استشعر الداعية أنه عبد لله ليس له غير باب سيده وفضله وإحسانه، وإذا أهمله سيده وتخلىٰ عنه هلك، فلم يؤوه أحد، ولم يعطف عليه أحد، بل يَضيع أعظم ضيعة؛ متىٰ ما استشعر الداعية ذلك أضحىٰ لسان حاله حينئذ يقول: اللهم إني لا غنىٰ بي عنك طرفة عين، وليس لي من أعوذ به، وألوذ به غير سيدي الذي أنا عبده.

كما أنه متىٰ ما التزم الذل والخضوع والإنابة إلىٰ الله عز وجل وامتثل أمره، واجتنب نهيه وداوم الافتقار إليه، واللجوء إليه، والاستعانة به والتوكل عليه، وأدرك معنىٰ قوله ﷺ: «**ناصيتي بيدك**»[(٢)]؛ أي أنت المتصرف فيَّ، تُصرِّفُني كيف تشاء، فكيف يكون لي في نفسي تصرف؟! فمَن كانت نفسه بيد ربه وسيده، وناصيته بيده، وقلبه بين إصبعين من أصابعه، وموته، وحياته، وسعادته، وشقاوته، وعافيته وبلاؤه كله إليه سبحانه، ليس للعبد منه شيء، بل هو في قبضة الله عز وجل، وشهد أن ناصيته

---

(١) أخرجه الترمذي (٣١٧٥). وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٦٢).

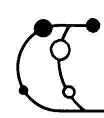
(٢) أخرجه أحمد (٣٧١٢). وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٩٩).

ونواصي العباد كلها بيد الله وحده يصرفهم كيف يشاء، من كان هذا حاله واستشعاره لم يَخفْهُم بعد ذلك، ولم يرجهم، ولم يُنْزِلْهُمْ منزلة المالكين بل منزلة عبيد مقهورين، فمن شهد نفسه بهذا المشهد، صار فقره وضرورته إلىٰ ربه وصفًا لازمًا له، وهنا يستقيم توحيده وعبوديته وتوكله. ويكون بذلك قد حقق حق الله عليه من العبودية، ويكون قد أدَّىٰ ما عليه من مقتضاها[1]

والله جل وعلا واسع الفضل، جزيل العطاء، إحسانه للمحسن أجل وأوفىٰ؛ فهو جل وعلا يقول: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ ﴾ [الرحمن: ٦٠] **فيكرم عبده الصالح بولايته، ويفيض عليه من هدايته ومحبته ورحمته ورزقه، ويملأ قلبه رضًا وتسليمًا لما يقضيه ويقدره، ويعطيه القوة علىٰ مجابهة الشدائد والمحن في الدنيا.**

●●•●●

(١) بتصرف من موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية ٨٦١٦
http://www.nabulsi.com/blue/ar/print.php?art



المبحث الثاني
أخلاق الداعية

رفع الإسلام الأخلاق مكانا عليًّا حين جعلها من غاية الرسالة، وفي ذلك قال الرسول ﷺ: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق»(١)؛ لذا اعتبر الإسلام محاسن الأخلاق ثمرة الإيمان الصادق والتعبد الخالص، وفساد الخلق دليل فساد الإيمان أو فساد العبادة. ومن ثم، فإن التربية الأخلاقية للداعية إلىٰ سبيل الله أوْكَدُ في حقه أكثر من غيره؛ إذ إنه رمز للدين، وأعين المدعوين معقودة علىٰ خلقه وسلوكه معهم، فما فعل فهو الحسن، وما ترك فهو القبيح، فليحذر الداعية العاقل أن يأمر غيره بالبر والطريق المؤدية إلىٰ الجنة وينسىٰ نفسه فيهلك. ولأهمية التربية الأخلاقية للداعية، فإن هذا المبحث سيلقي عليها الضوء من خلال العناصر الآتية:

١ - أهمية الأخلاق في نجاح الداعية:

لحُسن الخلق منزلة عالية في الدين، وقد عدَّ الله تعالىٰ جملة من الأخلاق في صفات المتقين: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ۝١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤]. وعندما أثنىٰ تبارك وتعالىٰ علىٰ نبيه محمد ﷺ مدحه بحسن الخلق فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾ [القلم: ٤].

---

(١) تقدم تخريجه (ص ٦٣).

وأعلت السنة النبوية من منزلة حسن الخلق، ومما ورد في ذلك قوله ﷺ: «**إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم**»[1] وجعل ﷺ أحاسن الناس أخلاقًا أحبهم إليه وأقربهم منه مجلسًا فقال: «**إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا...**»[2].وجعل ﷺ حسن الخلق شأن خيار الأمة فقال: «**إن خياركم أحاسنكم أخلاقًا**»[3]. وقد عني السلف بهذا الجانب عناية تليق به، وصنفوا فيه تصانيف يبدأ بها طالب العلم. وكثير من الناس يجد القبول والمكانة لدىٰ الآخرين -بل ربما أعطوه فوق منزلته- لخلقه الحسن، وفي المقابل كثيرٌ ممن يرفضه الناس وينفرون منه يكون الباعث علىٰ ذلك سوء خلقه، وربما كان فيه صلاح وعلم وخير؛ قال أبو حاتم البستي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الواجب علىٰ العاقل أن يتحبب إلىٰ الناس بلزوم حسن الخلق؛ لأن الخلق الحسن يذيب الخطايا كما تذيب الشمس الجليد، وإن الخلق السيء ليفسد العمل كما يفسد الخلُ العسلَ)[4]

والناس إذا لاحظوا من الداعية سوءًا في أخلاقه تبرَّموا منه، ونفروا من دعوته خوفًا من تضررهم بأخلاقه السيئة، وقد يفتنون بأهل الفسق والضلال إذا آنسوا منهم حسنًا في الخلق ورفقًا في المعاملة؛ وفي ذلك يقول الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إذا خالطت فخالط حسن الخلق؛ فإنه لا يدعو إلا إلىٰ خير، وصاحبه منه في راحة، ولا تخالط سيء الخلق؛ فإنه لا يدعو إلا إلىٰ شر، وصاحبه منه في عناء، ولأنْ

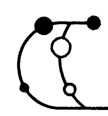
---

(١) أخرجه أحمد (٢٤٤٩٢). وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٧٩٥).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٠١٨). وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٧٩١).

(٣) أخرجه البخاري (٦٠٣٥).

(٤) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ص (٦٤).



يصحبني فاجرٌ حسنُ الخلق أحب إليَّ من أن يصحبني قارئ سيء الخلق؛ إن الفاسق إذا كان حسن الخلق عاش بعقله وخف علىٰ الناس وأحبوه، وإن العابد إذا كان سيء الخلق ثقل علىٰ الناس ومقتوه)[(١)]

٢ – قواعد اكتساب الأخلاق الفاضلة:

ثمة قواعد وأسس ومبادئ ومنطلقات لاكتساب الأخلاق الفاضلة وتمثُّلِها، يجدر بالدعاة إلىٰ الله معرفتها وإدراك معالمها وسبل تطبيقها حتىٰ يكونوا قدوات بهديهم ودلِّهم وسمتهم ودماثة أخلاقهم؛ من هذه القواعد:

١) إخلاص النية لله، واستشعار أن حسن الخلق من أعظم العبادات التي تقرب إليه؛ فلما سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة قال: «**تقوىٰ الله وحسن الخلق**»[(٢)]. وهي وصية الرسول ﷺ لمعاذ حين قال له: أوصني، فقال: «**اتق الله حيثما كنت، أو أينما كنت**»،قال: زدني. قال: «**أتبع السيئة الحسنة تمحها**». قال: زدني. قال: «**خالق الناس بخلق حسن**»[(٣)]

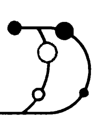
٢) إعمار القلب بحب الأخلاق الفاضلة، وتعلم فضلها وفوائدها في الدنيا والآخرة؛ ويكون ذلك بالقراءة في القرآن الكريم منبع الأخلاق الفاضلة؛ كقوله تعالىٰ: ﴿ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسۡنًا ﴾ [البقرة:٨٣]، وقوله تعالىٰ: ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وآداب سورة الحجرات، وغيرها كثير، وتعلم هدي النبي ﷺ وسيرته -وهو الذي وسع الناس بخلقه عليه الصلاة والسلام-

---

(١) المرجع السابق في الموضع نفسه.

(٢) أخرجه الترمذي (١٩٢٣). وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٩٧٧).

(٣) أخرجه أحمد (٢٢٠٥٩).وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٣٧٣).



وفي ذلك يقول الإمام ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (من جَهِلَ معرفة الفضائل فليعتمد علىٰ ما أمره الله ورسوله ﷺ؛ فإنه يحتوي علىٰ جميع الفضائل)[1].

٣) الأخلاق منها ما يفطر الله الإنسان عليه فيكون جبلة وطبعًا بلا تكلُّف، وهذا من أعظم كرامات الله للعبد.

عن ابن عبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ للأشجِّ -أشجِّ عبد القيس-: «**إنَّ فيك خصلتين يحبُّهما الله: الحِلْم، والأناة**»، قال: يا رسول الله، كانا فيَّ أم حدثا؟ قال: «**بل قديم**»، قال: قلت: الحمد لله الذي جبلني علىٰ خلقين يحبُّهما[2].

ومن الأخلاق ما يكتسبه العبد بتوفيق الله له ثم بالتعلم والمران وترويض النفس، وقد كان من دعاء النبي ﷺ: «**واهدني لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنِّي سيِّئها، لا يصرف عنِّي سيِّئها إلا أنت**»[3]. وكان يقول: «**اللهُمَّ كما حسَّنتَ خَلْقِي فحسِّن خُلُقِي**»[4].

٤) (ينبغي -في سبيل تحصيل الأخلاق الإسلامية- أن تفكر أولاً في فضلها.

-فإن لم يدفعك ذلك للتحلِّي بها؛ فتذكر عاقبتها في الدنيا والآخرة.

-وإن لم يدفعك هذا للتحلِّي بها؛ فتذكر شؤم تركها في الدنيا والآخرة.

---

(١) الأخلاق والسير في مداواة النفوس، ابن حزم ص٨١.

(٢) أخرجه مسلم (٥٣٤).

(٣) أخرجه مسلم (٧٧١).

(٤) أخرجه أحمد (٣٨٢٣)، والطبراني في الدعاء (٤٠٤)، واللفظ له. وصححه الألباني في إرواء الغليل (٧٤).

-وإن لم يدفعك هذا للتحلِّي بها؛ فتذكر أنه لا خير في ذميم الأخلاق لا في الدنيا ولا في الآخرة.

-وإن لم ينفعك ذلك؛ فاعلم أنه لا طِبَّ فيك إلا بمراجعة فطرتك وإيمانك بالله ورجوعك إليه.)[١].

٥) إن لاكتساب الأخلاق الإسلامية سبيلين:

أ- تعلمها وتعقلها ومعرفة مضامينها ومقتضياتها من القرآن والسنة وكتب السير والأخلاق.

ب- ثم تطبيقها عمليًا، والملازمة لها دائمًا والاستمرار عليها، والمجاهدة علىٰ أن تكون حقيقًا بوصفك بها، ومحاسبة النفس عليها، و«**إنما الحلم بالتحلّم**»[٢]، «**ومن يتصبر يصبره الله**»[٣]؛ فالأخلاق تحتاج إلىٰ وقت، وإلىٰ تدرج، وإلىٰ الصبر والتدرب.

٦) الأخلاق منظومة آخذ بعضها بحجز بعض، وكلما تمثل الداعية خلقًا وجد نفسه مدفوعًا لتمثل خلق يدعو إليه؛ فالأمانة تحث علىٰ الصدق، والرحمة تدعو إلىٰ العفو.. وهكذا.

٧) من الأخلاق ما هو من أُسس الإيمان بالله ولوازمه وواجباته؛ كالصدق، ومنها ما هو من كمال الإيمان؛ كالكرم، ومنها ما هو من معالي الفضائل؛ كالإيثار.

---

(١) انظر الأخلاق الفاضلة، ص (٦١-٧٥).

(٢) اخرجه الطبراني في الأوسط (٢٦٦٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٠٢٥٤).

(٣) أخرجه البخاري (١٤٦٩)، (٦٤٧٠)، ومسلم (١٠٥٣).

٣ - أبرز الأخلاق المتأكدة في حق الداعية:

مما لا شك فيه أن الداعية يحتاج إلىٰ كم هائل من الأخلاق المحمودة التي تسهم في إنجاح دعوته، وتحقيق مراده، والوصول إلىٰ هدفه المنشود: إصلاح الناس وتعريفهم بالله وتعبيدهم له سبحانه. ولكثرة هذه الأخلاق وتشعبها يجدر بنا أن نسلط الحديث علىٰ أبرزها وآكدها في حق الداعية إلىٰ الله تعالىٰ، والتي منها:

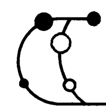
أولاً: الصبر:

الصبر لغة الحبس، قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الكهف: ٢٨]، أي احبس نفسك وأمسكها معهم، والصبر خلق فاضل من أخلاق النّفس يمتنع به من فعل ما لا يحسن ولا يجمل، وهو قوّة من قوىٰ النّفس الّتي بها صلاح شأنها وقوام أمرها.

والصبر خلق يحتاجه الداعية في حمل الرسالة وتبليغ الدعوة، ويحتاجه لما قد يجده من الإعراض والعناد، أو ما يلقاه من الجدال والمحاجة، أو الأذىٰ الذي قد يلحق به لدعوته، وليقتدي بالنبي ﷺ الذي صبر علىٰ التكذيب والتضييق والانتقاص منه، فكان من أوائل ما نزل عليه ﷺ: ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾ [المدثر: ٧]، والله يقول: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ [المزمل: ١٠]، فليعلم الداعية إذًا أنه مبتلىٰ، وأنه لا ينجح إلا بالصبر الذي يوجب معية الله له: ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، وليعلم «**أن النصر مع الصبر**»(١)، ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

---

(١) أخرجه أحمد (٢٨٠٣). وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٣٨٢).



وبالصبر تطمئن نفس الداعية وينشرح صدره ويطيب عيشه؛ قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وجدنا خير عيشنا بالصبر»[1]

ثانيًا: الرحمة:

الرحمة هي الرقة والعطف والرأفة[2]،وهي: رِقَّةُ القلب في الـمُكلَّف، تُوجِبُ بذلَ الخير ونفعَ المرحوم، وكفَّ الأذىٰ عنه[3]، وهذا الخلق هو الوقود الذي يحرك الداعية لنفع الناس والإحسان إليهم، والحرص علىٰ نجاتهم وتبصيرهم بالحق.

قال الله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، فكم يحتاج الداعية إلىٰ الله أن يتأمل في سيرة نبينا محمدٍ ﷺ ليتعرف علىٰ رحمته وشفقته علىٰ أمته، وهو الذي قال الله عنه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، والذي قال عن نفسه عندما قيل له: يا رسول الله ! ادع علىٰ المشركين. قال: «**إني لم أبعث لعَّانًا وإنما بعثت رحمة**»[4]. **وعن عائشة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا **أنها قالت للنبي** ﷺ: هل أتىٰ عليك يوم أشد من يوم أحد؟ قال: «**لقد لقيت من قومك ما لقيتُ، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة؛ إذ عرضتُ نفسي علىٰ ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلىٰ ما أردتُ، فانطلقت وأنا مهموم علىٰ وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردُّوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم،**

---

(١) محض الصواب (٢/ ٥٦١).

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ٤٩٨).

(٣) انظر: لسان العرب (١٢/ ٢٣١) (رحم).

(٤) أخرجه مسلم (٢٥٩٩).

فناداني ملك الجبال، وسلم علي، ثم قال: يا محمد، إن الله قد سمع قول قومك لك، وإني ملك الجبال، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك، فما شئتَ، إن شئتَ أن أطبق عليهم الأخشبين؟ فقال النبي ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، لا يشرك به شيئًا»[1].

وليعلم الداعية أن رحمته بالناس سبيل رحمة الله له؛ يقول الرسول ﷺ: «**إنما يرحم الله من عباده الرحماء**»[2]. وبالرحمة يهون على الداعي ما يصيبه من أذى الناس، فيتحمل أذاهم ولسان حاله يقول: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون، والرحمة في قلب الداعية تمنعه من احتقار العصاة، فيكلمهم بلسان الرحيم بهم المشفق عليهم، وهذا من أسباب الاستجابة له من المدعوين حينما يرون رحمته بهم وشفقته عليهم.

ثالثًا: الصدق:

الصدق في القول هو مطابقة القول للواقع وهو ضد الكذب، والصدق مع الله قبل الصدق مع الناس، وفي كلام الماورديّ رَحِمَهُ اللهُ عن بواعث الصّدق إشارة إلى أهميته لقبول الناس لقول الداعية؛ حيث قال: (العقل: من حيث كونه موجبًا لقبح الكذب، والشّرع: حيث ورد بوجوب اتّباع الصّدق وحظر الكذب، والله سبحانه لم يشرع إلاّ كلّ خير، والمروءة: لأنّها مانعة من الكذب باعثة على الصّدق، وحبّ الاشتهار بالصّدق: **فمن يتمتّع بهذا الاشتهار بين النّاس، لا يردّ عليه قوله، ولا يلحقه ندم**)[3]

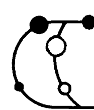
والقرآن يحفل بالآيات الداعية للصدق؛ كما في قصة الثلاثة الذين خلفوا في غزوة تبوك، وما أصابهم من الابتلاء لصدقهم مع رسول الله ﷺ، ثم ما نزل من التوبة

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥).

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٤٨).

(٣) نضرة النعيم ٦/ ٢٤٧٤، وانظر أدب الدنيا والدين ص٢٦١-٢٦٢.



عليهم؛ قال الله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [التوبة: ١١٩]، وقال تعالىٰ: ﴿ رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ﴾ [الإسراء: ٨٠].

وعندما جاء عبدالله بن سلام إلىٰ النبي ﷺ قال عنه: «عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب»[(١)]؛ ذلك لظهور أثر الصدق علىٰ وجهه ﷺ وفي كلامه، فكلام الإنسان الصادق يؤثر أثرًا بالغًا. أما الكذب فهو من أقبح الخصال وأرذل الرذائل، وهو يفقد الثقة في الداعية، وفي مصداقية دعوته، ولرب كذبة واحدة يعرفها الناس عن الداعية تسقطه عندهم، وتحول بينهم وبين قبول دعوته، كما أن علىٰ الداعية الحذر من استخدام التورية[(٢)]؛ لأن فيها فتنة للمدعوين، الذين قد لا يفرقون بينها وبين الكذب، واسمع لهذا الأثر العظيم عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «من كانت له عند النّاس ثلاث وجبت له عليهم ثلاث؛ من إذا حدّثهم صدقهم، وإذا ائتمنوه لم يخنهم، وإذا وعدهم وفّىٰ لهم، وجب له عليهم أن تحبّه قلوبهم، وتنطق بالثّناء عليه ألسنتهم، وتظهر له معونتهم»[(٣)]

ومن صدق الداعية تصديق قوله بفعله، ومقالته بقدوته؛ فقد قيل: إن الصدق استواء السّرّ والعلانية، والظّاهر والباطن بألاّ تكذّب أحوال العبد أعماله، ولا أعماله أحواله، وقال القشيريّ: (الصّدق أن لا يكون في أحوالك شوب، ولا في اعتقادك ريب، ولا في أعمالك عيب)[(٤)]

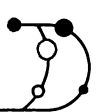
---

(١) أخرجه أحمد (٢٣٧٨٤)، والترمذي (٢٤٨٥) وقال: حديث صحيح. وابن ماجه (١٣٣٤). وصححه الألباني في السلسة الصحيحة (٥٦٩).

(٢) التورية أن تستعمل كلاما يحتمل معنيين يفهم منه السامع معنىٰ وأنت تريد معنىٰ آخر بقصد الإيهام.

(٣) الآداب الشرعية ١/ ٢٩.

(٤) نضرة النعيم ٦/ ٢٤٧٤.



رابعًا: التواضع:

التواضع التذلل، والتذلل علىٰ المؤمنين محمود كما قال الله عز وجل: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]، وقيل هو رضا الإنسان بمنزلة دون ما يستحقُّه فضله ومنزلته، وأن يتجنَّب الإنسان المباهاة بما فيه مِن الفضائل، وهو ضد الاختيال والكبر، ومن تواضع لله رفعه الله؛ قال ﷺ **«وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»**(١)

وقد كان النبي ﷺ إمام المتواضعين: يخيط ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه(٢)، ويمر بالصبيان فيسلم عليهم(٣)،وكان يبدأ بالسلام(٤)، ويعود المريض(٥)، وكانت الأَمَة تأخذ به ﷺ فتنطلق به حيثما شاءت(٦)، ويدخل الرجل المسجد فلا يعرفه بين أصحابه ﷺ فيقول: أيكم محمد؟(٧)

فالتواضع طريق مختصر إلىٰ قلوب الناس، وإزالة للحواجز التي قد يضعونها بينهم وبين المدعوين، ورسالة مطمئنة لهم يبعثها الداعية بحسن تواضعه،

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨٨).

(٢) أخرجها البخاري في الأدب المفرد (٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠). وصححها الألباني في صحيح الأدب المفرد (٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤١).

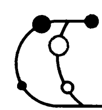
(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٨٠٠). وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (١٠٤٣).

(٤) لم أجد من ينص علىٰ ذلك بعينه، لكن في سنن الترمذي (٢٦٩٤) ما يدل علىٰ ذلك وهو ما رواه أبو أمامة، قال: قيل يا رسول الله الرجلان يلتقيان أيهما يبدأ بالسلام؟ فقال: «أولاهما بالله». وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٣٨٢).

(٥) الأحاديث في ذلك كثيرة، انظر: صحيح البخاري (٥٦٤٩، ٥٦٥١، ٥٦٦٣، ٥٦٦٨)، وصحيح مسلم (٩٢٤، ٩٢٥، ١٦٢٨، ١٧٦٩، ٢٦٨٨).

(٦) أخرجه البخاري (٦٠٧٢).

(٧) أخرجه البخاري (٦٣).



(ومن طبيعة الناس أنهم لا يقبلون قول من يستطيل عليهم، ويحتقرهم، ويستصغرهم، ويتكبر عليهم، ولو كان ما يقوله حقًا وصدقًا، فهم يغلقون قلوبهم دون كلامه ووعظه وإرشاده، ومن طبائع الناس أنهم لا يحبون من يكثر الحديث عن نفسه، والثناء عليها)(١)

خامسًا: الحلم:

الحلم صفة عليَّة معناها ضبط النَّفس والطَّبع عن هيجان الغضب، وقيل الحِلْم: (اسم يقع علىٰ زمِّ النَّفس عن الخروج عند الورود عليها، ضدُّ ما تحبُّ إلىٰ ما نهي عنه. فالحِلْم يشتمل علىٰ المعرفة والصَّبر والأَنَاة)(٢)

والحلم للداعية صفة يدفع بها سَورة الغضب ويكبح رغبة انتقامه لنفسه ممن أساء إليه؛ فإنه قد يقع للداعية ما يثير غضبه، وقد يعتدىٰ عليه من الجهول، أو يتجرأ عليه من لا خلاق له، أو يستفزه المعاند للحق والمجادل، والواجب ألا يزيده ذاك إلا حلمًا؛ قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤]، وبالحلم يسود الداعية ويكسب القلوب، ويكسر تربص الشيطان وتسلله بين النفوس، وعلىٰ نقيض هذا فإن الغضب والانتصار للنفس يفرق المدعوين ويفضهم عن الداعية.

جاء عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «كنت أمشي مع رسول الله ﷺ، وعليه بردٌ نجرانيٌّ غليظ الحاشية، فأدركه أعرابيٌّ، فجبذه بردائه جَبْذَةً شديدةً، حتىٰ نظرت إلىٰ صفحة عاتق رسول الله ﷺ قد أثَّرت بها حاشية البُرْد مِن شدَّة جَبْذَته، ثمَّ قال: يا محمَّد!

---

(١) بتصرف من أصول الدعوة ص٣٦٣.

(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ص٢٠٨.

مُرْ لي مِن مال الله الذي عندك، فالتفت إليه رسول الله ﷺ ثمَّ ضحك، ثمَّ أمر له بعطاء»[1]، فقد كان من صفاته ﷺ أنه لا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلمًا. والحلم صفة يحبها الله كما أخبر النبي ﷺ: «**إنَّ فيك خصلتين يحبُّهما الله: الحِلْم، والأناة**»[2]

سادسًا: اللين والرفق:

قال الله تعالىٰ مبينًا فضله علىٰ نبيه وكيف جمع عليه الناس: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، فباللين والرفق يجتمع الناس حول الداعية ويحبونه، وبالغلظة والفظاظة ينفضّون، والرفق لين الجانب، وهو ضد العنف، «**وما كان الرفق في شيء إلا زانه وما نزع من شيء إلا شانه**»[3]، فالدعوة تزين بالرفق وتُقبل باللين، وهي وصية الله عز وجل لموسىٰ عندما أمره أن يدعو أعظم طغاة التاريخ: ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [طه: ٤٣ - ٤٤].

ولا يعني اللينُ المداهنةَ في الباطل، أو التغاضي عن المنكر، أو السكوت عن انتهاك محارم الله، ولكنه يعني الترفق بالناس، وحملهم علىٰ الحق بالأسلوب اللين، والتدرج بهم في الأَطْرِ علىٰ الحق، وحسن عرض الدعوة لهم، ومراعاة تفاوت أحوالهم.

سابعًا: الكرم:

والكرم الإعطاء والبذل بطيب نفس، والكرم والجود والسخاء والعطاء والبذل أسماء ذات معان متقاربة، وقد كان النبي ﷺ كريما أجود بالخير من الريح المرسلة،

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٤٩).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥)، وقد قالها لأشج عبد القيس ﷺ.

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٩٤).

فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «ما سُئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئًا إلاَّ أعطاه، قال: فجاءه رجلٌ فأعطاه غنمًا بين جبلين، فرجع إلى قومه، فقال: يا قوم أسلموا؛ فإنَّ محمَّدًا يعطي عطاءً لا يخشى الفاقة»[1]، وأهدت امرأة إلى النَّبيِّ عليه الصَّلاة والسَّلام شملةً منسوجة، فقالت: « يا رسول الله، أكسوك هذه، فأخذها النَّبيُّ عليه الصَّلاة والسَّلام محتاجًا إليها، فلبسها، فرآها عليه رجل مِن الصَّحابة، فقال: يا رسول الله، ما أحسن هذه! فاكْسُنِيها، فقال: **نعم**، فلمَّا قام النَّبيُّ عليه الصَّلاة والسَّلام لامه أصحابه، فقالوا: ما أحسنت حين رأيت النَّبيَّ ﷺ أخذها محتاجًا إليها، ثمَّ سألته إيَّاها، وقد عرفت أنَّه لا يُسْأَل شيئًا فيمنعه، فقال: رجوت بركتها حين لبسها النَّبيُّ ﷺ لعلِّي أكفَّن فيها »[2]

والناس مجبولة على حب المحسن، والقرب من الكريم، ورفعه وتقديره، وبالكرم يتألف الداعية قلوب الناس كما كان النبي ﷺ يتألف الناس بعطائه، والشح والبخل يزري بالداعية ويقبحه عند الناس، قال حبيش الثقفي: (قعدت مع أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين والناس متوافرون فأجمعوا أنهم لا يعرفون رجلاً صالحًا بخيلاً)[3]

ثامنًا: التعفف والزهد:

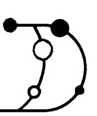
تعفف الداعية وزهده في ما عند الناس عِزٌّ له، وتعففه يعني: ضبط النفس عن الشهوات وقصرها على الاكتفاء بما يحتاج، واجتناب السَّرف في جميع الملذات،

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣١٢).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٣٦).

(٣) طبقات الحنابلة ١/ ١٤٧.



وقصد الاعتدال، والزهد: قلة الشيء؛ وهو انصراف الرّغبة عن الشّيء إلىٰ ما هو خير منه، ويقوىٰ الزهد في حق الداعية عن المال والجاه والرياسة والشهرة،التي هي مظنة حصولها له إذا تصدَّر للناس ونفع الله بدعوته، وبخاصة إذا التف حوله أشراف الناس وأعيانهم ووجهاؤهم، ومتىٰ ما لمس الناس أن الداعية عنده أي مطمع دنيوي، أو رغبة مادية بما في أيديهم، فإنه يسقط من أعينهم؛ عن سهل بن سعد السّاعديّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أتىٰ النّبيَّ ﷺ رجلٌ فقال: يا رسول الله، دلّني علىٰ عمل إذا أنا عملته أحبّني الله وأحبّني النّاس. فقال رسول الله ﷺ: «**ازهد في الدّنيا يحبّك الله، وازهد فيما في أيدي النّاس يحبك الناس**»[1]

وينبغي للداعية أن يكون حكيمًا في هذا المسلك؛ فقد يرغب الناس بالإحسان إليه وقضاء حوائجه، أو يغدقون عليه الهدايا امتنانا منهم لما قدمه لهم من الخير الذي انتفعوا به، فعليه والحالة هذه أن يوازن بين المصلحة والمفسدة في قبول العطية أو ردها - مما قد يسبب الحرج أو إيغار الصدور - وعليه ألا يكون متطلعًا لما عند الناس، وألاَّ تعدوَ عيناه إلىٰ ما رزق أعيانهم من زهرة الحياة الدنيا، وأن يكون متأكدًا أن ليس وراء هذه العطايا مصلحة للمعطي، وقد أُثِر عن السلف قبول العطايا وأُثِر عنهم أيضًا ردها إن خالطتها شبهة، والموفق من وفقه الله بالبصيرة، وقد كان ﷺ يقبل الهدية ويثيب عليها[2]، وقال صلوات ربي وسلامه عليه: «**تهادوا تحابوا**»[3]

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤١٠٢).

(٢) أخرجه البخاري (٢٥٨٥).

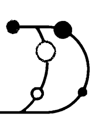
(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٥٩٤). وحسّنه الألباني في إرواء الغليل (١٦٠١).

ومما حكاه التاريخ عن عمرو بن عبيد المعتزلي المبتدع أنه بلغ من قلب أبي جعفر المنصور مبلغًا، ونال إعجابه بتعففه عما في أيدي الناس، حتىٰ قال المنصور لبعض من عنده:

كلكم يمشي الرويد * كلكم يطلب صيد * غير عمرو بن عبيد[1].

●●•●●

(١) ذكره ابن عدي في "الكامل في ضعفاء الرجال" ٦/ ١٩٥. وساقه بإسناده الخطيب في تاريخ بغداد ١٤/ ٦٣.



المبحث الثالث
الهدي النبوي في الدعوة

الرسول محمد ﷺ إمام الدعاة، وقدوتهم وأسوتهم؛ قال الله: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[يوسف: ١٠٨]، وقال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[الأحزاب: ٢١]، (والداعية إلىٰ الله تعالىٰ بحاجة إلىٰ قدوتين: قدوة حية تجسِّد المثال الواقعي للسلوك الخلقي الأمثل - وهذه متمثلة في الدعاة والعلماء الأكبر منه سنًا وعلمًا وخبرة - وقدوة معصومة يكونُ حاضرًا في الذهن بأخباره، وسيرته، وصورته مرتسمة في النفس بما أُثِر عنه من سِير وقصصٍ، وأنباء من أقوال وأفعال، وهذه متمثلة في سيد المرسلين نبينا ﷺ)[1]، فدراسة هديه ﷺ في الدعوة واقتفاء سيرته فيها بصيرة للداعي وسبيل للرشاد.

١ - أهمية اقتداء الداعية بالهدي النبوي في الدعوة:

أ) **الأصل في العبادات متابعة النبي ﷺ فيها، وهي إحدىٰ شرطي قبول العمل الصالح: (الإخلاص لله، ومتابعة رسوله عليه الصلاة والسلام)**، والدعوة إلىٰ الخير من أعظم العبادات التي بيَّن الله سبيل الرسول ﷺ فيها: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[يوسف: ١٠٨]، فدراسة هدي

(١) انظر الأخلاق الإسلامية (١/ ٢١٤).

النبي محمد ﷺ في الدعوة وأحواله مع المدعوين وأساليب دعوته للناس سياج للداعية من التعدي على السنة المتبعة، وسلوك الطريقة المبتدعة.

ب) كما أن الاقتداء بهدي النبي ﷺ في الدعوة إلى الله سبب لمحبة الله عز وجل؛ كما قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٣١]. فدليل محبة الله عز وجل اتباع الرسول ﷺ ، وثمرتها: محبة الله لكم، (فما لم تحصل منكم المتابعة فمحبتكم له غير حاصلة، ومحبته لكم منتفية)[١]

ج) والاقتداء به ﷺ في الدعوة إلى الله عصمة من الضلالة؛ قال ﷺ: «**تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي**»[٢]،فقد عصمه الله من الشرك والضلالة، وبرَّأه من الزيغ والأهواء، وطهَّره من الفسوق والعصيان، واختاره من أشرف الناس نسبًا، وأكثرهم حلمًا وحكمة، وأعظمهم أمانة، وأقواهم حجة، وأوفرهم ذكاء، فمن استمسك بهديه واقتفى أثره نجا بإذن الله من الضلال.

٢ – أخلاق النبي ﷺ في الدعوة:

زكّى الله تعالى خُلُقَ نبيه ﷺ بقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤]، وسُئِلَتْ عائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن خُلُق النبيِّ ﷺ، فقالت: «فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن»[٣] وقال ﷺ: «**إنما بُعِثْتُ لأُتَمِّم مكارم الأخلاق**»[٤]

---

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ص ٣٣٣.

(٢) أخرجه الحاكم (٣١٩). وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٧٦١)، وصحيح الجامع (٢٩٣٤).

(٣) أخرجه مسلم (٧٤٦).

(٤) تقدم تخريجه (ص ٦٣).

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان النبي ﷺ أحسن الناس خلقًا[1]

لقد كان ﷺ نموذجًا مثاليًا في دماثة خلقه، وكريم أدبه، وحسن تعامله مع الناس؛ حيث غمر بجميل أخلاقه الناس أجمعين، ووسع إحسانُه الكبير والصغير، والرجل والمرأة، والقريب والبعيد، حتىٰ الحيوان كان له نصيب من إحسانه ﷺ وخلقه الجميل، فليس ثمة هدي أجمل ولا أحسن من هديه ﷺ، وليس ثمة تعامل أرقىٰ من تعامله ﷺ؛ فبهديه الجميل وتعامله الراقي استطاع أن يكسب قلوب الناس، ويروض نفوسهم، ويجذب أفئدتهم، ويصحح معتقداتهم، ويهذب أخلاقهم، ويرتقي بهممهم.

وقد ذكرنا في المبحث السابق جملة من الأحاديث التي تبين خلقه ﷺ في الدعوة، ونذكر هنا بعضًا من سيرته ومواقفه. والمطلوب منك أيها القارئ التأمل فيها واستنباط هديه ﷺ منها.

٣ - نماذج من هدي النبي ﷺ في الدعوة:

١) عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: مَهْ مَهْ. قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تُزْرِموه، دعوه**»، فتركوه حتىٰ بال، ثُمَّ إنَّ رسول الله ﷺ دعاه، فقال له: «**إنَّ هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر، إنَّما هي لذكر الله عزَّ وجلَّ والصلاة وقراءة القرآن**»، أو كما قال رسول الله ﷺ، قال فأمر رجلاً من القوم فجاء بدلو من ماء فشنَّه عليه[2]

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٠٣)، ومسلم (٦٥٩).

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٥).

٢) وعن معاوية بن الحكم السلمي قال: بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجل من القوم، فقلت: يرحمك الله. فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: واثُكْلَ أُمِّيَاه، ما شأنكم تنظرون إلي؟ فجعلوا يضربون بأيديهم علىٰ أفخاذهم، فلمَّا رأيتهم يُصمِّتونني لكني سكت، فلما صلَّىٰ رسول الله ﷺ فبأبي هو وأمي، ما رأيت معلمًا قبله ولا بعده أحسن تعليمًا منه، فوالله ما كهرني، ولا ضربني، ولا شتمني؛ قال: **«إنَّ هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام النَّاس، إنَّما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن»**[(١)].

٣) عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «إن فتىٰ شابًّا أتىٰ النَّبيَ ﷺ فقال: يا رسول الله ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مه مه، فقال: «**ادْنُه**»، فدنا منه قريبًا، قال: فجلس، قال: «**أتحبُّه لأمِّك؟**»، قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: «**ولا النَّاس يحبونه لأمهاتهم**»، قال: «**أفتحبه لابنتك؟**»، قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداءك، قال: «**ولا النَّاس يحبونه لبناتهم**»، قال: «**أفتحبه لأختك؟**»، قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: «**ولا النَّاس يحبونه لأخواتهم**»، قال: «**أفتحبه لعمتك؟**»، قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: «**ولا النَّاس يحبونه لعماتهم**»، قال: «**أفتحبه لخالتك؟**»، قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: «**ولا النَّاس يحبونه لخالاتهم**»، قال: فوضع يده عليه، وقال: «**اللهم اغفر ذنبه، وطهِّر قلبه، وحصِّن فرجه**»، فلم يكن بعد ذلك الفتىٰ يلتفت إلىٰ شيء[(٢)].

---

(١) أخرجه مسلم (٥٣٧).

(٢) أخرجه أحمد (٢٢٢١١)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٧٠).

٤) قال أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كان رسول الله ﷺ من أحسن النَّاس خلقًا، فأرسلني يومًا لحاجة، فقلت: والله لا أذهب، وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به رسول الله ﷺ، فخرجت حتىٰ أمر علىٰ صبيان، وهم يلعبون في السوق، فإذا رسول الله ﷺ قد قبض بقفاي من ورائي، قال: فنظرت إليه وهو يضحك، فقال: «**يا أنيس أذهبت حيث أمرتك؟**»، قلت: نعم أنا أذهب يا رسول الله(١).

٥) روت عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، أنَّ رجلاً استأذن علىٰ النَّبي ﷺ، فلما رآه قال: «**بئس أخو العشيرة، وبئس ابن العشيرة**». فلما جلس تطلَّق النَّبي ﷺ في وجهه وانبسط إليه، فلما انطلق الرَّجل. قالت له عائشة: يا رسول الله! حين رأيت الرَّجل، قلت له كذا وكذا، ثم تطلَّقت في وجهه، وانبسطت إليه. فقال: رسول الله ﷺ: «**يا عائشة، متىٰ عهدتني فحَّاشا! إنَّ شر النَّاس عند الله منزلة يوم القيامة، من تركه النَّاس اتقاء شرِّه**» وفي رواية: «**فُحْشِه**»(٢)

٦) عن جرير رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: «ما حجبني النَّبي ﷺ منذ أسلمت، ولا رآني إلا تبسَّم في وجهي، ولقد شكوت إليه أنِّي لا أثبت علىٰ الخيل، فضرب بيده في صدري، وقال: **اللهمَّ ثبِّته، واجعله هاديًا مهديًا**»(٣)

٧) عن موسىٰ بن أنسٍ عن أبيه، قال: ما سُئل رسول الله ﷺ علىٰ الإسلام شيئًا إلاَّ أعطاه، قال: فجاءه رجلٌ فأعطاه غنمًا بين جبلين، فرجع إلىٰ قومه، فقال: يا قوم أسلموا، فإنَّ محمَّدًا يعطي عطاءً لا يخشىٰ الفاقة(٤)

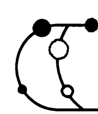
---

(١) أخرجه مسلم (٢٣١٠).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٣٢)، ومسلم (٢٥٩١).

(٣) أخرجه البخاري (٣٠٣٥)، ومسلم (٢٤٧٥).

(٤) تقدم تخريجه (ص ١٤٧).



٨) وقال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال رسول الله ﷺ: «**لو كان لي مثل أحدٍ ذهبًا ما يسرُّني أن لا يمرَّ عليَّ ثلاثٌ، وعندي منه شيءٌ إلاَّ شيءٌ أرصدُهُ لدَيْنٍ**»[١].

٩) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: ما ضرب رسول الله ﷺ شيئًا قط بيده، ولا امرأةً ولا خادمًا إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه، إلا أن ينتهك شيء من محارم الله تعالىٰ، فينتقم لله عزَّ وجلَّ[٢].

١٠) عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّه غزا مع رسول الله ﷺ قِبَل نجد، فلما قفل رسول الله ﷺ قفل معه، فأدركتهم القائلة في واد كثير العِضاه[٣]، فنزل رسول الله ﷺ، وتفرق الناس يستظلون بالشجر فنزل رسول الله ﷺ تحت شجرة، وعلَّق بها سيفه ونمنا نومة، فإذا رسول الله ﷺ يدعونا، وإذا عنده أعرابي. فقال: «**إن هذا اخترط عليَّ سيفي وأنا نائم، فاستيقظت وهو في يده صلتًا، فقال: من يمنعك مني؟ فقلت: الله**» ثلاثًا، ولم يعاقبه وجلس[٤].

١١) لما فتح رسول الله ﷺ مكة دخل البيت، فصلىٰ بين الساريتين، ثم وضع يديه علىٰ عضادتي الباب، فقال: «**لا إله إلا الله وحده ماذا تقولون، وماذا تظنون؟** » قالوا: نقول خيرًا، ونظن خيرًا: أخ كريم، وابن أخ، وقد قدرت، قال: «**فإني أقول لكم كما قال أخي يوسف ﷺ:** ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩٢]»[٥]

---

(١) أخرجه البخاري (٢٣٨٩).

(٢) أخرجه مسلم (٢٣٢٨).

(٣) العِضاه: كل شجر عظيم له شوك. النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٣/ ٢٥٥).

(٤) أخرجه البخاري (٢٩١٠).

(٥) رواه الأزرقي في أخبار مكة (٢/ ١٢١).

١٢) عن عروة بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال عكرمة بن أبي جهل: لما انتهيت إلىٰ رسول الله ﷺ قلت: يا محمد، إنَّ هذه أخبرتني أنَّك أمَّنتني، فقال رسول الله ﷺ: «**أنت آمن**». فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنت عبد الله ورسوله، وأنت أبرُّ الناس، وأصدق الناس، وأوفىٰ الناس، قال عكرمة: أقول ذلك وإني لمطأطئ رأسي استحياء منه، ثم قلت: يا رسول الله، استغفر لي كلَّ عداوة عاديتكها، أو موكب أوضعت فيه أريد فيه إظهار الشرك، فقال رسول الله ﷺ: «**اللهم اغفر لعكرمة كلَّ عداوة عادانيها، أو موكب أوضع فيه يريد أن يصدَّ عن سبيلك**». قلت: يا رسول الله، مرني بخير ما تعلم فأُعلِّمُه، قال: «**قل: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمدًا عبده ورسوله، وتجاهد في سبيله**»، ثم قال عكرمة: أما والله يا رسول الله، لا أدع نفقة كنت أنفقتها في الصدِّ عن سبيل الله إلا أنفقت ضعفها في سبيل الله، ولا قاتلت قتالاً في الصدِّ عن سبيل الله إلا أبليت ضعفه في سبيل الله. ثم اجتهد في القتال حتىٰ قتل يوم أجنادين شهيدًا في خلافة أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1].

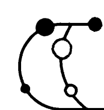
١٣) عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ أخذ بيده وقال: «**يا معاذ، والله إنِّي لأحبُّك، والله إنِّي لأحبُّك**»، فقال: «**أوصيك يا معاذ، لا تدعنَّ في دبر كلِّ صلاة تقول: اللهمَّ أعنِّي علىٰ ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**»[2].

١٤) عن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «لما كان يوم حنين، آثر النَّبي ﷺ أناسًا في القسمة، فأعطىٰ الأقرع بن حابس مائة من الإبل، وأعطىٰ عُيَيْنة مثل ذلك، وأعطىٰ أناسًا من أشراف العرب، فآثرهم يومئذ في القسمة، قال رجلٌ: والله إنَّ هذه القسمة ما

---

(١) أخرجه الحاكم (٥٠٥٧)، والطبري في تاريخه (١١/ ٥٠٢).

(٢) أخرجه أحمد (٢٢١١٩)، أبو داود (١٥٢٢). وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٩٦٩).



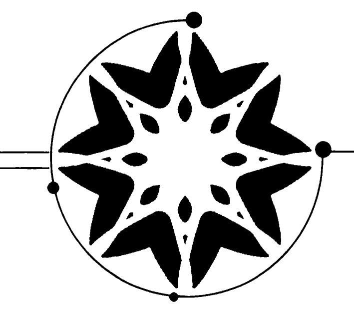
عُدل فيها، وما أُريد بها وجه الله. فقلت: والله، لأخبرنَّ النَّبي ﷺ، فأتيته، فأخبرته، فقال: «**فمن يعدل إذا لم أعدل؟، رحم الله موسىٰ، قد أُوذي بأكثر من هذا فصبر**»[1]

وتلك صور ونماذج من هدي النبي محمد ﷺ في الدعوة مع المسلم وغير المسلم، الكبير والصغير، ومع من يحسن القول ومن يغلظه، حال اليسر والعسر، ووقت السلم والحرب،...إلخ؛ الأمر الذي يَفرض علىٰ كل مسلم داعية مربٍّ الاقتداء بهذا الهدي النبوي في سبيل الوصول إلىٰ الغاية التي تُرضي عنا الله ورسوله ﷺ. لذا يأتي الفصل التالي لبيان هذا الأمر وتوضيح سبل تحقيقه.

●●•●●

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦١٠)، ومسلم (١٠٦٢).



الفصل الثالث: الداعية المربي.. القدوة والتأثير

أهداف الفصل:

يستهدف هذا الفصل إجمالاً تعريف الداعية بمهماته، وكيفية تعامله مع غيره في إطار متوازن بين المسؤولية الفردية و المسؤولية المجتمعية.

أما تفصيلاً، فمن المتوقع بعد قراءة هذا الفصل أن يتعرف الداعي إلىٰ الله علىٰ:

١) مفهوم القدوة.

٢) صور القدوة في القرآن الكريم والسنة المطهرة.

٣) صفات الداعية القدوة.

٤) الوسائل المعينة للداعية علىٰ تمثل صفات القدوة.

٥) مهمة الداعية في الأسرة.

٦) مهمة الداعية في مجتمعه.

٧) المهمات التربوية للداعية ومسؤولياته الدعوية.

٨) علاقة الداعية بالمسلمين وواجبه معهم: (العوام، المبتدعة، العصاة، المنحرفون فكريا، الشباب، الأطفال، النساء).

٩) علاقة الداعية بغير المسلمين وواجبه تجاههم: (الملحدون، أهل الكتاب، المشركون، الباحثون عن الحق، المعاندون).

١٠) علاقة الداعية مع الدعاة وواجباته نحوهم (تكامل المهمات، الآداب الشرعية عند الخلاف مع المدعوين).

١١) تقويم الذات في ضوء الأنشطة الآتية.

أنشطة إثرائية للعصف الذهني:

١) الداعية القدوة هو ذلك المربي الذي يمثل أنموذجًا حسنًا للآخرين في أقواله وأفعاله وخصاله. وبتوافر القدوة في الدعاة، تتكون لدى المدعوين الاتجاهات، ويتشربون القيم، وتتعدل سلوكياتهم. وحتى يتحقق ذلك، فلا بد من تحلِّي الداعية بصفات القدوة الحسنة؛ مثل: الإخلاص في القول والعمل، مراقبة الله تعالى، موافقة الفعل للقول، التزام الأخلاق الفاضلة، التزود من العلم والمعرفة،...إلخ. فكيف للداعية القدوة أن يُحوِّل هذه الصفات والقيم من مجرد دلالات رمزية إلى مؤشرات سلوكية ومواقف واقعية مباشرة ذات وقْع وتأثير حسن على المدعوين؟

٢) يقتضي عمل الداعية إلى الله التعامل مع مختلف المدعوين الذين:

- تتدرج مواقفهم أحيانًا من الفظاظة وغلظة القلب إلى اللين والرفق.
- وتتباين اتجاهاتهم نحوك ما بين مؤيد ومعارض ومحايد.
- وقبل ذلك كله يُصنَّفون حسب أديانهم ومعتقداتهم إلى: مسلمين، ومنافقين وكفار، مع تنوع كل صنف منهم.
- كذلك تختلف فئات المدعوين حسب مراحلهم العمرية إلى: أطفال، وشباب، وشيوخ (رجالاً ونساءً).
- ويختلفون حسب تعليمهم وثقافاتهم ما بين: متعلم مثقف، وأمي جاهل،... إلخ!

فإذا طُلب منك بصفتك داعية دعوة كل هذه الأصناف السابقة إلى الله:

- فما الأهداف التي ستحددها لدعوتك؟

- وما محاور الموضوع الذي ستختاره مع كل صنف؟
- وما الأسلوب التربوي المناسب للتعامل مع كل فئة؟
- وما نوع الأدلة التي ستعتمد عليها في دعوتك لهؤلاء؟
- وما النتائج أو المكاسب التي ترجوها من دعوتهم أجمعين؟

٣) في ضوء قول الرسول ﷺ: **«ألا فكلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيتِه»**[١]، حدِّد مسؤوليات الداعية وواجباته تجاه كل ممن يلي: أسرته، جيرانه، أقرانه في بيئة العمل، زملائه من الدعاة، عوام الناس، أصحاب البدع، النساء، الأطفال، النصارىٰ واليهود، المشركين، الملحدين، المنحرفين فكريًا، المعاندين.

٤) كانت آخر وصية للرسول ﷺ تتعلق بالنساء والصلاة، في ضوء هذه الوصية اذكر من نماذج الهدي النبوي ما يدل علىٰ:

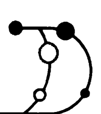
- واجب المرأة الداعية إلىٰ الله.
- واجب الدعاة إلىٰ الله نحو المرأة.
- أهمية تكامل المهمات بين الدعاة والداعيات.

٥) إذا كان من الطبعي حدوث خلاف أو اختلاف بين الدعاة والمدعوين، فإنه ليس من الطبعي التخلي عن الآداب الشرعية عند التعامل مع المختلفين عنك في الدين، أو الجنس، أو الطبقة أو المكانة الاجتماعية، أو الفكر أو...إلخ.

في ضوء هذا، اذكر من الأدلة الشرعية ومن مواقف السلف نماذج علىٰ الآداب الشرعية التي ينبغي اتخاذها أساسًا عند الخلاف.

---

(١) أخرجه البخاري (٨٩٣)، ومسلم (١٨٢٩).



تمهيد:

انتشر الإسلام في ربوع الدنيا بالقدوة الحسنة للمسلمين التي كانت تجلب أنظار غير المسلمين، وتأسر وجدانهم، فتحملهم علىٰ اعتناق الإسلام، والتخلق بقيمه، وتمثلها حتىٰ عند التعامل مع المخالف. لذا، كانت القدوة الحسنة للداعي إلىٰ الله وسيرته الطيبة بين الناس هي في الحقيقة تجسيد للدعوة العملية للإسلام، والدليل الواقعي علىٰ أحقية الإسلام وأنه الدين الصحيح الذي يقبله الله ويرضاه.

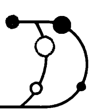
فمن الوسائل المهمة جداً في الدعوة إلىٰ الله وتعريف الناس بالدين الإسلامي، السيرة الطيبة للداعي وأفعاله الحميدة وصفاته العالية وأخلاقه الزاكية مما يجعله قدوة طيبة وأسوة حسنة لغيره، فيكون بهذا كتاباً مفتوحاً يقرأ فيه الناس معاني الإسلام، فيقبلون عليها وينجذبون إليها؛ لأن التأثر بالأفعال والسلوك أبلغ وأكثر من التأثر بالكلام فقط.

وإذا كان من المستحيل أن يعيش الداعية بمفرده، وأن الدعوة فرض عليه، وأن ما لا يتأتىٰ الواجب إلا به فهو واجب، كان عمل الداعية يقتضي مخالطة الناس، وإرشادهم إلىٰ الطريق المستقيم بالهدىٰ والعلم والدين القيم. وإذا كانت مخالطة المدعوين شيئاً واجباً وثابتاً منذ بدء الإسلام والأمر بتبليغه، فإن وجوب مخالطة المدعوين أصبح أشد في زماننا هذا أكثر من أي زمان مضىٰ؛ وذلك لما غشي أكثر البشر من إيثار للدنيا المادية حجب عنهم أنوار الحق وقطع صلاتهم بالله، الأمر الذي جعل لزاماً علىٰ كل مسلم أن يسهم في الدعوة إلىٰ الله بقدر طاقته وقدرته علىٰ الاقتداء بأخلاق النبي صلىٰ الله عليه وسلم واقتفاء هديه عند مخالطة الناس ودعوتهم إلىٰ الله.

وبناءً على أهمية القدوة في الدعوة إلى الله، تم تقسيم هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث على النحو الآتي:

- **المبحث الأول: الداعية القدوة.**
- **المبحث الثاني: المهمات التربوية للداعية.**
- **المبحث الثالث: علاقة الداعية بأصناف الناس.**





المبحث الأول
الداعية القدوة

تعني القِدوة أو القُدوة: الأسوة بكل ما أو من يُقتدَىٰ به. وهي الحالة التي يكون الإنسان عليها في اتباع غيره إن حسنًا وإن قبحًا، وإن سارًّا وإن ضارًّا؛ ولهذا قال تعالىٰ: ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴾ [الأحزاب: ٢١]، فوصفها بالحسنة. وتعرف القدوة أيضًا بأنها: حالة تَحمِل المقتدِي علىٰ التأثر بأخلاق القدوة (المقتدىٰ به) وأعماله.

والقدوة نوعان: حسنة وسيئة؛ فالحسنة الاقتداء بأهل الخير والفضل والصلاح في كل ما يتعلق بمعالي الأمور وفضائلها من القوة والحق والعدل.

وقدوة المسلمين الأولىٰ، صاحب الخلق الأكمل والمنهج الأعظم: رسولنا محمد ﷺ، وفي ذلك يقول الله عز وجل: ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴾ [الأحزاب: ٢١].

ومن دقيق المعنىٰ في هذه الآية الكريمة أن الله سبحانه جعل الأسوة في رسول الله ﷺ، ولم يحصره في وصف خاص من أوصافه أو خلق من أخلاقه أو عمل من أعماله الكريمة، وما ذلك إلا من أجل أن يشمل الاقتداء أقواله عليه الصلاة والسلام وأفعاله وسيرته كلها فيقتدي به، صلىٰ الله عليه وسلم، بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ويقتدي بأفعاله وسلوكه من الصبر والشجاعة والثبات والأدب وسائر أخلاقه، كما

يشمل الاقتداء بأنواع درجات الاقتداء من الواجب والمستحب وغير ذلك مما هو محل الاقتداء.

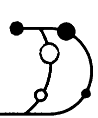
والنوع الثاني: الأسوة السيئة: ويعني السير في المسالك المذمومة واتباع أهل السوء والاقتداء من غير حجة أو برهان ومن ذلك قول المشركين: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣]، ولهذا رد عليهم القرآن بقوله: ﴿قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ﴾[الزخرف: ٢٤]. وفي آية أخرى: ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [المائدة: ١٠٤].

وبعد التعرف على مفهوم القدوة، وأنواعها، يأتي هذا المبحث ليوضح للداعية كيف يصبح قدوةً صالحة فيما يدعو إليه، فلا يناقض قولُهُ فِعلَهُ، ولا فعلُه قولَه. ولتجلية أهمية هذا الأسلوب النبوي التربوي للداعية وضرورته، يعرض المبحث الحالي للعناصر الآتية:

أولاً: القدوة في القرآن والسنة:

١) القدوة في القرآن الكريم:

تعد القدوة من أهم الأساليب التربوية الناجعة، والتي تؤثر في المدعوين أكثر مما تؤثره الكلمات والحكايات؛ ولهذا اهتم القرآن الكريم بهذا الأسلوب أيّما اهتمام، وتنوع عرضه بصور متنوعة وطرق مختلفة، وحث عليه؛ كل ذلك لأهميته في توصيل الرسالة الدعوية، وتحقيق الهدف المنشود من الدعوة إلى الله، ولعلنا نعرض بعض تلك الصور، فمن ذلك:



أ- التأسي بالرسل والأنبياء على العموم:

قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾[الأنعام: ٩٠]. فبعد أن ذكر الله سبحانه وتعالىٰ عددا من الأنبياء وقص قصصهم قال لنبيه محمد ﷺ: ﴿ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ والمعنىٰ هو: (فبالعمل الذي عملوا والمنهاج الذي سلكوا وبالهدىٰ الذي هديناهم والتوفيق الذي وفقناهم «اقتده» يا محمد فاعمل وخذ به واسلكه فإنه عمل لله فيه رضًا، ومنهاج من سلكه اهتدىٰ)(١)

ب- الاقتداء بالنبي ﷺ علىٰ الخصوص:

قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[الأحزاب: ٢١]. قال القرطبي في معنىٰ الأسوة: (الأسوة القدوة، والأسوة ما يتأسىٰ به أي يتعزىٰ به، فيقتدىٰ به في جميع أفعاله ويتعزىٰ به في جميع أحواله)(٢)

ج- الحث علىٰ الاقتداء بمواقف الأنبياء وأتباعهم في الثبات علىٰ الحق والبراءة من الكفر وأهله:

قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِمَا.. ﴾، ثم أكد هذا الاقتداء بقوله: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأٓخِرَۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾[الممتحنة: ٤-٦]. قال السعدي: (وليس كل أحد تسهل عليه هذه الأسوة، وإنما تسهل علىٰ من كان يرجو الله واليوم الآخر، فإن الإيمان واحتساب الأجر والثواب يُسهِّل علىٰ العبد كل عسير، ويقلل لديه كل كثير، ويوجب له الإكثار من

(١) تفسير الطبري (١١/ ٥١٩).

(٢) تفسير القرطبي (١٤/ ١٥٥).

الاقتداء بعباد الله الصالحين، والأنبياء والمرسلين؛ فإنه مفتقر ومضطر إلىٰ ذلك غاية الاضطرار)[1].

د- القدوات تضاعف حسناتهم وسيئاتهم:

ولهذا حدَّث القرآن عن أزواج رسول الله ﷺ وهن في موطن القدوة لسائر المؤمنات؛ كما قال تعالىٰ: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ٣٠ ۞وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا﴾[الأحزاب: ٣٠ - ٣١]. وقال ﷺ: **«من دعا إلىٰ هدىٰ كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا، ومن دعا إلىٰ ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا»**[2].

هـ- اتباع المبادئ مُقدَّم علىٰ الاقتداء بالأشخاص:

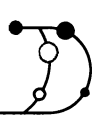
جعل القرآن الكريم اتباع المبادئ مقدمًا علىٰ الاقتداء بالأشخاص، وهذا هو الفرق بين التقليد والاتباع؛ فالمقلد يحاكي ما يراه دون فهم لحكمة أو تعرف إلىٰ دليل، أما المتبع فهو وإن قلد فتقليده مبني علىٰ علم بدليل ما يعمله، وفي ذلك يقول سبحانه وتعالىٰ: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي...﴾[يوسف: ١٠٨].

قال السعدي: (﴿قُلۡ﴾ للناس ﴿هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ﴾ أي: طريقي التي أدعو إليها، وهي السبيل الموصلة إلىٰ الله وإلىٰ دار كرامته، المتضمنة للعلم بالحق والعمل به وإيثاره، وإخلاص الدين لله وحده لا شريك له، ﴿أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ أي: أحث الخلق والعباد إلىٰ الوصول إلىٰ ربهم، وأرغبهم في ذلك وأرهبهم مما يبعدهم عنه، ومع هذا

---

(١) تفسير السعدي (ص٨٥٦)

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٧٤).



فأنا ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ من ديني، أي: علىٰ علم ويقين من غير شك ولا امتراء ولا مرية. ﴿وَ﴾ كذلك ﴿مَنِ اتَّبَعَنِي﴾ يدعو إلىٰ الله كما أدعو علىٰ بصيرة من أمره ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾ عما نسب إليه مما لا يليق بجلاله، أو ينافي كماله، ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ في جميع أموري، بل أعبد الله مخلصًا له الدين)[1]. ويقول ﷺ: «**فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة**»[2].والحديث يشترط في اتباعنا لمن هم بعد رسول الله ﷺ أن يكون الأمر علىٰ رشاد، وهذا يقتضي عرض أفعالهم علىٰ المبادئ، فما توافق معها قبلناه مع تسليمنا بمكانة الشخص الذي نعرض لسيرته ومبلغ قدره.

و -علَّم سبحانه عباده أن يدعوه ليكونوا قدوة في التقوىٰ:

قال سبحانه عن عباد الرحمن: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤]. قال مجاهد: (أئمة نقتدي بمن قبلنا، ونكون أئمة لمن بعدنا)[3]

ز -النهي عن التقليد الأعمىٰ:

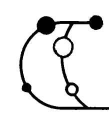
قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ ۖ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣-٢٤]. يقول السعدي: (وهذا الاحتجاج من هؤلاء

---

(١) تفسير السعدي (ص٤٠٦).

(٢) أخرجه أحمد (١٧١٤٤)، أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٧).

(٣) تفسير الطبري (١٩/ ٣٢٠).



المشركين الضالين، بتقليدهم لآبائهم الضالين، ليس المقصود به اتباع الحق والهدىٰ، وإنما هو تعصب محض، يراد به نصرة ما معهم من الباطل)[1].

ح -الوعيد الشديد لمن يخالف قوله فعله:

قال تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف: ٢-٣]. يقول السعدي: (لم تقولون الخير وتحثون عليه، وربما تمدحتم به وأنتم لا تفعلونه، وتنهون عن الشر وربما نزهتم أنفسكم عنه، وأنتم متلوثون به ومتصفون به، فهل تليق بالمؤمنين هذه الحالة الذميمة؟ أم من أكبر المقت عند الله أن يقول العبد ما لا يفعل؟ ولهذا ينبغي للآمر بالخير أن يكون أول الناس إليه مبادرة، وللناهي عن الشر أن يكون أبعد الناس منه)[2].

ط -تحذير من يحيد عن القدوة الصالحة ويتبع الظالمين:

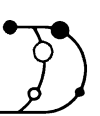
قال تعالىٰ: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ۝٢٧ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴾ [الفرقان: ٢٧ - ٢٨]. يقول ابن كثير: (إن الله يخبر عن ندم الظالم الذي فارق طريق رسول الله، والذي جاء به من الحق المبين، وسلك طريق غير سبيل المؤمنين، فإنه يوم القيامة يندم حيث لا ينفعه الندم، ويعض علىٰ يديه حسرة وأسفًا)[3]

---

(١) تفسير السعدي (ص ٧٦٤).

(٢) المرجع السابق (ص٨٥٨).

(٣) تفسير ابن كثير (٦/ ١٠٨).



٢) **القدوة في السنة المطهرة:**

كذلك اهتمت السنة المطهرة بأسلوب القدوة، وتنوُّع عرضها، وأولتها عناية واهتمامًا؛ وذلك لأهمية هذا الأسلوب في توصيل الرسالة الدعوية بأقل جهد، وأقصر طريق، وأخف مؤونة، ومن تلك الصور:

أ- **الأمر بالاقتداء بالنبي ﷺ في هديه وعبادته:**

يقول سهل بن سعد الساعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لقد رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ قام عليه فكبَّر وكبَّر الناسُ وراءَه. وهو علىٰ المِنبَرِ. ثم رفَع فنزَل القَهقَرىٰ حتىٰ سجَد في أصلِ المِنبَرِ. ثم عاد حتىٰ فرَغ من آخِرِ صلاتِه. ثم أقبَل علىٰ الناسِ فقال: «**يا أيُّها الناسُ! إني صنَعتُ هذا لتأتَمُّوا بي، ولتَعلَموا صلاتي**»[1]

قال الإمام النووي: (فبين لهم ﷺ أن صعوده المنبر، وصلاته عليه، إنما كان للتعليم، ليرىٰ جميعهم أفعاله ﷺ، بخلاف ما إذا كان علىٰ الأرض فإنه لا يراه إلاّ بعضهم ممن قرب منه)[2].

وقال ابن حجر: (الحكمة في صلاته في أعلىٰ المنبر ليراه من قد يخفىٰ عليه رؤيته إذا صلىٰ علىٰ الأرض)[3]. وقال ﷺ: «**صلوا كما رأيتموني أصلي**»[4]. وقال ﷺ: «**لتأخذوا عني مناسككم**»[5]

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٥٤٤).

(٢) شرح النووي علىٰ مسلم (٥/ ٣٥).

(٣) فتح الباري (٢/ ٤٠٠).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٠٠٨).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (١٢٩٧).

ب- تشجيع المبادرات للخيرات ليكون المرء قدوة لغيره:

قال جرير بن عبدالله رَضِيَاللَّهُعَنهُ: جاء ناسٌ من الأعرابِ إلىٰ رسولِ اللهِ ﷺ عليهم الصوفُ. فرأىٰ سوءَ حالِهم؛ قد أصابتهم حاجةٌ. فحثَّ الناسَ علىٰ الصدقةِ، فأبطأوا عنه حتىٰ رُؤِيَ ذلك في وجهِه. قال: ثم إنَّ رجلاً من الأنصارِ جاء بصُرَّةٍ من وَرِقٍ، ثم جاء آخرُ، ثم تتابعوا حتىٰ عُرِفَ السُّرورُ في وجهه، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: **«من سنَّ في الإسلامِ سُنَّةً حسنةً، فعُمِلَ بها بعده، كُتِبَ له مثلُ أجرِ مَن عمل بها، ولا ينقصُ من أجورِهم شيءٌ. ومن سنَّ في الإسلامِ سُنَّةً سيئةً، فعُمِلَ بها بعدَه، كُتب عليه مثلُ وِزرِ من عمل بها، ولا ينقصُ من أوزارِهم شيءٌ»**[1] . وقال النبي ﷺ: **«من دعا إلىٰ هدىٰ كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، ومن دعا إلىٰ ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا»**[2] .

ج -عرض القدوات الصالحة للأمة للاقتداء بهم:

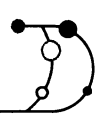
يقول خباب بن الأرت رَضِيَاللَّهُعَنهُ: شكونا إلىٰ رسولِ اللهِ ﷺ وهو مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لهُ في ظلِّ الكعبةِ، قلنا لهُ: ألا تستنصرُ لنا؟ ألا تدعو اللهَ لنا؟ قال: **«كان الرجلُ فيمن قبلكم يُحْفَرُ لهُ في الأرضِ، فيُجْعَلُ فيه، فيُجاءُ بالمنشارِ فيُوضَعُ علىٰ رأسِهِ فيُشَقُّ باثنتيْنِ، وما يصدُّهُ ذلك عن دِينِهِ، ويُمْشَطُ بأمشاطِ الحديدِ ما دونَ لحمِهِ من عظمٍ أو عصبٍ، وما يصدُّهُ ذلك عن دِينِهِ، واللهِ ليُتِمَّنَ هذا الأمرُ، حتىٰ يسيرَ الراكبُ من صنعاءَ إلىٰ حضرموت، لا يخافُ إلا اللهَ، أو الذئبَ علىٰ غنمِهِ، ولكنكم تستعجلونَ»**[3] .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١٠١٧).

(٢) أخرجه في صحيحه مسلم (٢٦٧٤).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٦١٢).



وقال ﷺ: «اقتدوا باللذَيْنِ من بعدِي من أصحابِي: أبي بكرٍ وعُمَرَ، واهتدوا بهدي عَمّارَ، وتَمسّكوا بعهْد ابن مسعودٍ»[1].

ثانيًا: مشروعية طلب القدوة:

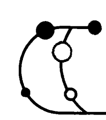
لقد فطر الله الناس وجبلهم علىٰ طلب القدوة والبحث عن الأسوة، لتكون لهم نبراسًا يضيء سبيل الحق، ومثالاً حيًّا يبين لهم كيف يطبقون شريعة الله، لذلك لم يكن لرسالات الله من وسيلة لتحقيقها علىٰ الأرض إلا إرسال الرسل؛ يبينون للناس ما أنزل الله من شريعة؛ قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٤٣ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٣ - ٤٤].

ولهذا فحاجة الناس إلىٰ القدوة وطلبهم لها نابعة من غريزة تكمن في نفوس البشر أجمع؛ هي: التقليد، وهي رغبة ملحة تدفع الطفل، والضعيف، والمرؤوس، والمتربي، والمدعو إلىٰ محاكاة سلوك الرجل، والقوي، والرئيس، والمربي، والداعية، والعالم؛ كما تدفع غريزة الانقياد في القطيع جميع أفراده إلىٰ اتباع قائده، واقتفاء أثره.

ولعل مما يقوي مشروعية طلب القدوة تلك الدوافع والأسس الفطرية والنفسية التي تدفع الناس للاقتداء بغيرهم، ولعلنا نختصرها فيما يلي:

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٨٠٥)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٢٣٣).



١) **الإعجاب**: إن الإنسان عندما يعجب بسلوك معين، أو بشخصية، يجد انجذابًا نفسيًا داخليًا للاقتداء بها في عموم السلوك والأخلاق، أو في جزئيات معينة، وتجد أن الدافع لذلك هو حب التجانس مع هذه الشخصية نتيجة الإعجاب.

٢) **التنافس**: يعتبر التنافس من العوامل التي تثير عملية الاقتداء والتأسِّي؛ لأن التنافس السوي يكون مبنيًّا علىٰ الرغبة في التماثل والتسابق دون أن يوافق ذلك رغبة في زوال ما عند الآخرين.

٣) **الشعور بالعجز**: إن الشعور بالعجز أو النقص في بعض جوانب الشخصية يدفع المرء إلىٰ الاحتذاء بمن يرىٰ أنهم متفوقون عليه في ذلك الجانب الذي أخفق في تحقيقه، ويرىٰ أن في تقليدهم مخرجًا وعلاجًا قد ينقله ويخرجه مما يعاني منه.

وعليه؛ فمنهج الإسلام يحتاج إلىٰ بشر يحمله ويترجمه بسلوكه وتصرفاته، فيحوِّله إلىٰ واقع عملي محسوس وملموس، ولذلك بعث الله نبيه ﷺ بعد أن وضع في شخصيته الصورة الكاملة للمنهج؛ ليترجم هذا المنهج ويكون خير قدوة للبشرية جمعاء. وهذا يوافق فطر الناس وحاجتهم وطلبهم للقدوة التي يحتذىٰ بها.

أما بالنسبة للداعية إلىٰ الله فلا بأس له أن يسعىٰ لقيادة الناس وإرشادهم وتوجيههم؛ فلا بد من التوازن بين كراهية الصدارة والشهرة، ووجوب قيادة الناس؛ فلا ينبغي أن يفهم من كراهية الصدارة والشهرة أنه يراد به قتل الطموح، ولا تفضيل دنو الهمة والقعود والخمول والعجز والكسل والتهرب من المسؤولية، وترك العمل، والتخاذل عن الواجبات وفروض الكفايات؛ خاصة إذا تعينت علىٰ الأكفاء.

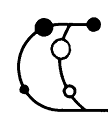
وقد جعل ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ الفرق بين الأمرين كالفرق بين تعظيم أمر الله وتعظيم النفس؛ فالناصح لله المعظم لله يحب نصرة دينه، فلا يضره تمنِّيه أن يكون ذلك بسببه،

وأن يكون قدوة في الخير. أما طالب الرياسة فهو ساعٍ في حظوظ دنياه، ولذا يترتب علىٰ قصده مفاسد لا حصر لها.

والمقصود أن الداعية المخلص يكره التصدر والإمارة والشهرة بطبعه؛ لإخلاصه وبعده عن الرياء، ولكنه في نفس الوقت هو صاحب المبادرة الخيرة، وهو فارس الميدان إذا تعين عليه التصدر؛ وقد حكىٰ الله من دعاء المؤمنين قولهم: ﴿وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤]، أي: أئمة هدىٰ يقتدىٰ بأفعالهم، وهذا لشدة محبتهم لله، وتعظيمهم لأمره، ونصحهم له، ليكون الدين كله لله، وليكون العباد ممتثلين لأمره.

وقال سبحانه وتعالىٰ قاصًّا كلام يوسف عليه السلام: ﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾ [يوسف: ٥٥]، وليس ذلك حرصًا منه علىٰ الولاية، وإنما هو رغبة في النفع العام، وقد عرف من نفسه الكفاية والأمانة والحفظ ما لم يكونوا يعرفونه، فقصده إصلاح أموال الناس، وهو جزء من رسالة الداعية إلىٰ الله، الذي يكون همه الأول فعل الخير طلبًا لمرضاة الله تعالىٰ، وليس قصده إرواء غليله، وإرضاء شهوته في الزعامة؛ فالضابط فيها هو النية والموازنة بين المصالح والمفاسد العامة. ففي الجملة: هاتان الآيتان توضحان أن الداعية هو الرائد والدليل، بل قد ينبغي له طلب هذه الوظيفة الشريفة، بل قد تتعين عليه للمصلحة. والأدلة والأقوال المحذرة لا تنطبق علىٰ داعية تصدّر لإرجاع قومه إلىٰ الحق، حتىٰ لو اشتهر وعرف فلا بأس.

ويجب التنبيه إلىٰ أن هذا الأمر مزلق؛ لالتباس النية فيه كثيرًا، وصعوبة تمحيص القصد، وذلك علمه إلىٰ الله الذي يعلم خائنة الأعين وما تُخفي الصدور: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٣٠].



ثالثًا: أهمية القدوات:

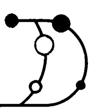
القدوة الحسنة من الوسائل المهمة جدًا في تبليغ الدعوة إلىٰ الله وجذب الناس إلىٰ الإسلام وامتثال أوامره واجتناب نواهيه، كما أن القدوة الطيبة للداعي وأفعاله الحميدة وصفاته العالية وأخلاقه الزاكية تجعله أسوة حسنة لغيره، يكون بها أنموذجًا يقرأ فيه الناس معاني الإسلام فيقبلون عليه وينجذبون إليه؛ لأن التأثر بالأفعال والسلوك أبلغ وأكثر من التأثر بالكلام وحده. إن الإسلام انتشر في كثير من بلاد الدنيا بالقدوة الطيبة للمسلمين التي كانت تبهر أنظار غير المسلمين وتحملهم علىٰ اعتناق الإسلام؛ فالقدوة الحسنة التي يحققها الداعي بسيرته الطيبة هي في الحقيقة دعوة عملية للإسلام يستدل بها سليم الفطرة راجح العقل من غير المسلمين علىٰ أن الإسلام حق من عند الله.

ومن السوابق القديمة في أهمية السيرة الحسنة للداعي وأثرها في تصديقه والإيمان بما يدعو إليه: ما جاء عن عبد الله بن سلام، قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة انجفل الناس إليه، وقيل: قدم رسول الله ﷺ، فجئت في الناس لأنظر إليه، فلما استبنت وجه رسول الله ﷺ عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب، وكان أول شيء تكلم به أن قال: «**يا أيها الناس، أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا والناس نيام تدخلون الجنة بسلام**»(١).

فعبد الله بن سلام استدلَّ بسَمْت رسول الله ﷺ ووجهه المنير الكريم الذي يكون عليه أهل الصدق والأخلاق الكريمة، استدلَ بذلك علىٰ صدقه فيما يدعو إليه ﷺ. كما أن الداعية إلىٰ الله تعالىٰ بحاجة شديدة جدًّا إلىٰ تطبيق ما يقول ويدعو إليه حتىٰ

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٨٥) وقال: حديث صحيح. وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٨٦٥).



يقتدي به الناس؛ ولهذا بيّن ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ هذه المسألة، وحذَّر من عدم التزامها؛ حيث قال: (علماء السوء جلسوا علىٰ باب الجنة يدعون إليها الناس بأقوالهم ويدعونهم إلىٰ النار بأفعالهم؛ فكلما قالت أقوالهم للناس: هلموا، قالت أفعالهم: لا تسمعوا منهم؛ فلو كان ما دعوا إليه حقًّا كانوا أول المستجيبين له. فهم في الصورة أدلاء وفي الحقيقة قطاع الطرق)[1]

ويمكن إجمال أهمية القدوات في الأمور الآتية:

١ - إن المثال الحي والقدوة الصالحة يثيران في نفس البصير العاقل قدرًا كبيرًا من الاستحسان والإعجاب والتقدير والمحبة، فيميل إلىٰ الخير، ويتطلّع إلىٰ مراتب الكمال ويحاول أن يعمل مثله حتىٰ يحتل درجة الكمال والاستقامة.

٢ - إن القدوة الحسنة المتحلِّية بالفضائل تُعطي الآخرين قناعة بأن بلوغ هذه الفضائل والأعمال الصالحة من الأمور الممكنة التي هي في متناول القدرات الإنسانية، وشاهد الحال أقوىٰ من شاهد المقال.

٣ - إن الأتباع والمدعوّين الذين يربّيهم ويدعوهم الداعية ينظرون إليه نظرة دقيقة دون أن يعلم هو أنه تحت رقابة مجهرية؛ فرُبَّ عمل يقوم به من المخالفات لا يلقي له بالاً يكون في نظرهم كبيرًا؛ لأنهم يعدُّونه قدوة لهم. وقد يراه الجاهل علىٰ عملٍ غير مشروع أو محرم فيظن أنه علىٰ حق، ولا شك أن الأمر خطير، والنجاة من ذلك أن يعمل الدعاة بالعلم، وليتقوا الله تعالىٰ.

ولكي ندرك خطورة ذلك الأمر نتأمل هذه القصة: يروىٰ أن أبا جعفر الأنباري صاحب الإمام أحمد عندما أُخبر بحمل الإمام أحمد للمأمون في الأيام الأولىٰ للفتنة

---

(١) الفوائد ص٦١.

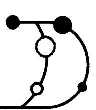
عبر الفرات إليه فإذا هو جالس في الخان، فسلم عليه، وقال: يا هذا أنت اليوم رأسٌ والناس يقتدون بك، فوالله لئن أجبتَ إلىٰ خلق القرآن ليجيبنَّ بإجابتك خلق من خلق الله، وإن أنت لم تجب ليمتنعنَّ خلق من الناس كثير، ومع هذا فإن الرجل -يعني المأمون- إن لم يقتلك فأنت تموت، ولا بد من الموت، فاتق الله ولا تجبهم إلىٰ شيء. فجعل أحمد يبكي ويقول: ما قلت؟ فأعاد عليه فجعل يقول: ما شاء الله، ما شاء الله[1]. وتمر الأيام عصيبة علىٰ الإمام أحمد، ويمتحن فيها أشدّ الامتحان ولم ينس نصيحة الأنباري، فها هو المروذي أحد أصحابه يدخل عليه أيام المحنة ويقول له: (يا أستاذ قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾[النساء: ٢٩]، فقال أحمد: يا مروذي اخرج انظر أي شيء ترىٰ؟! قال: فخرجتُ إلىٰ رحبة دار الخليفة فرأيت خلقًا من الناس لا يحصي عددهم إلا الله، والصحف في أيديهم والأقلام والمحابر في أذرعتهم، فقال لهم المروذي: أي شيء تعملون؟ فقالوا: ننظر ما يقول أحمد فنكتبه، قال المروذي: مكانكم. فدخل إلىٰ أحمد بن حنبل فقال له: رأيت قومًا بأيديهم الصحف والأقلام ينتظرون ما تقول فيكتبونه. فقال: يا مروذي أضل هؤلاء كلهم؟! أقتل نفسي ولا أضل هؤلاء)[2].

٤ - إن مستويات الفهم للكلام عند الناس تتفاوت، ولكن الجميع يستوون أمام الرؤية بالعين المجردة، وذلك أيسر في إيصال المفاهيم التي يريد الداعية إيصالها للناس المقتدين به، ومما يدل علىٰ ذلك أن البخاري بوّب بابًا قال فيه: (باب الاقتداء بأفعال النبي ﷺ)، ثم ساق الحديث: اتخذ النبي ﷺ خاتمًا من ذهب فاتخذ الناس

---

(١) انظر مناقب الإمام أحمد ص٤٢٣.

(٢) المرجع السابق ص٤٤٥.



خواتيم من ذهب، فقال النبي ﷺ: «**إني اتخذت خاتمًا من ذهب**»، فنبذه وقال: «**إني لن ألبسه أبدًا**»، فنبذ الناس خواتيمهم[1]. قال ابن بطّال: (فدلّ ذلك على أن الفعل أبلغ من القول)[2].

ولهذا أمثلة كثيرة؛ فإنه خلع خاتمه فخلعوا خواتيمهم في هذه القصة، ونزع نعله في الصلاة حينما أخبره جبريل أن فيهما أذىً فنزعوا، ولَمّا أمرهم عام الحديبية بالتحلّل وتأخّروا عن المبادرة رجاء أن يأذن لهم في القتال وأن ينصرفوا فيكملوا عمرتهم، قالت له أم سلمة: اخرج إليهم واذبح واحلق، ففعل فتابعوه مسرعين[3]، فدلّ ذلك كله على أهمية القدوة وعظيم مكانتها.

٥ - إن النبي ﷺ قد حذر الدعاة من المخالفة لِمَا يقولون؛ فبيّن ﷺ في الحديث الشريف حال الدعاة الذين يأمرون الناس وينهونهم وينسون أنفسهم؛ قال: «**أتيت ليلة أُسري بي على قومٍ تُقرض شفاههم بمقاريض من نار، كلَّما قرضت وفت، فقلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: خطباءُ أمتكَ الذين يقولون ما لا يفعلون، ويقرؤون كتاب الله ولا يعملون به**»[4].

ولا يقتصر الخطر على الداعية وعلى دينه، بل يتعدّى إلى كل من يدعوهم.

وإن مما يذكر في هذا الشأن أن انحراف الداعية وخروجه عن النهج الصحيح هو في الوقت نفسه سببٌ في انحراف كل من تأثر به أو سمع منه؛ وما ذلك إلا بسبب أن

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٧٢٩٨).

(٢) فتح الباري، ١٣/ ٢٧٥.

(٣) انظر المرجع السابق، ١٣/ ٢٧٥.

(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١٦٣٧). وحسنه الألباني في صحيح الجامع: (١٢٩).

سلوك الداعية وتصرفاته كلها مرصودة من قبل الناس، وجميع أفعاله وأقواله موضوعة تحت المجهر.

فليحتطِ الداعية لهذا الأمر المهم، ويراقب أفعاله وأقواله.. وليُرِ الله تعالىٰ من نفسه خيرًا.

٦ - إن جميع الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام من أولهم إلىٰ آخرهم كانوا قدوة حسنةً لأقوامهم، وهذا يدل علىٰ عِظَم القدوة الحسنة وأهميتها؛ ولهذا قال شعيب عليه الصلاة والسلام لقومه: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

٧ - إن الناس كما ينظرون إلىٰ الداعية في أعماله وتصرفاته ينظرون إلىٰ أسرته وأهل بيته، وإلىٰ مدىٰ تطبيقهم لِمَا يقول، وهذا يفيد ويبيّن أن الداعية كما يجب عليه أن يكون قدوة في نفسه يجب عليه أن يُقوِّم أهل بيته وأسرته، ويلزمهم بما يأمر به الناس، ويدعوهم إليه؛ ولهذه الأهمية كان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذا صعد المنبر فنهىٰ الناس عن شيء، جمع أهله فقال: «إني نهيت الناس كذا وكذا، وإن الناس لينظرون إليكم نظر الطير إلىٰ اللحم، وايم الله، لا أجد أحدًا منكم فعله إلا أضعفت له العقوبة ضعفين»[1].

رابعًا: صفات القدوة:

لن يكون الداعية قدوة لمدعويه حتىٰ تتوافر فيه جملة من الصفات الكريمة، والمواهب العالية، التي تيسر عليه مهمته وتجعله مقبولاً عند غيره. وهذه الصفات في

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٠٦٤٣).

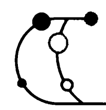
جملتها لا بد أن تكون مقتبسة من إمام الدعاة نبينا محمد ﷺ، ولعلنا نذكر الصفات الكلية والأساس التي تدخل تحتها عدة صفات، فمن ذلك:

١- الإخلاص:

وهو أن يبتغي الداعية في عمله وجه الله، وأن يكون الباعث الحقيقي للعمل هو مرضاة الله، لا أن يعمل العمل من أجل أن يكون قدوة لمدعويه - إلا عند الحاجة إليه- وفي هذا مزلق خطير ينزلق فيه بعض الدعاة؛ وهو أن يتكلف العمل من أجل أن يكون قدوة للناس، وينسىٰ حاجة نفسه إليه، وإخلاص النية فيه. كما لا يغيب عن ذهن القدوة أن الإخلاص أصل في قبول العمل كما قال ﷺ: «**إنما الأعمال بالنية، وإنما لا مرئ ما نوىٰ، فمن كانت هجرته إلىٰ الله ورسوله، فهجرته إلىٰ الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلىٰ دنيا يصيبها، أو امرأة يتزوجها، فهجرته إلىٰ ما هاجر إليه**»[(١)] ولأهميته وضرورته أمر به الحق تبارك وتعالىٰ، فقال في كتابه الكريم: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥]، وقوله تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي﴾ [الزمر: ١٤]، لذلك ينبغي علىٰ القدوة أن يتزود بالإخلاص في دعوته وعبادته وذكره لله، وفي جهاده وسائر أعماله، وما يقوم به من وعظ وإرشاد وتوجيه ونصح، وما يقدمه من خدمات لأمته ومجتمعه، وبقدر ما يملك من تطبيق وعمل صادق مخلص يكون نجاحه في عمله، وثقة الناس به تزداد؛ لأنه يعمل بما يقول مخافة الله ﷻ بعيدًا عن أغراض النفس ونظر الناس، يبتغي وجه الله وتحقيق مرضاته؛ قال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر: ٢].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٦٨٩)، ومسلم (١٩٠٧).



٢- الاستقامة على الإيمان:

يوجد الكثير من الصالحين في مجتمعاتنا، ولكن القليل من يخلص العمل ويستقيم على الإيمان ويسير في ركب عباد الرحمن، ولا خير ولا صلاح في شخص حاد عن الإيمان ولم يستقم على دين الله؛ لأنه سرعان ما ينعطف أمام التحديات وأمام الإغراءات، لذلك ينبغي الاستقامة على أمر الدين؛ وخاصة القدوة ومعلم الناس الخير؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠]، فالقدوة مشغول في مجاهدة نفسه واستقامتها وسياستها، وهذا المطلوب الأعلى والنهج الأسمى في بناء القدوات المستقيمة في حياتها وفق معتقداتهم الإيمانية؛ كما قال سفيان الثقفي قلت: يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدًا بعدك، قال: «**قل آمنت بالله، ثم استقم**»[(١)]

٣- استقلال شخصية القدوة:

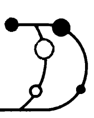
إن استقلال الشخصية ركن رئيس وسمة بارزة من سمات القدوة؛ فهو شخص متحرر من التبعية والتقليد الساذج، فيكون مؤثرًا لا متأثرًا، فلا يليق بمن هو في موقع المسؤولية والقدوة أن يكون إمعة يخضع لضغوط الجهال والسفهاء، فيميل معهم حيث مالوا.

٤- الاعتدال والتوسط في أمور الحياة:

ينهج القدوة منهج التوسط في جميع أمور الحياة مع مراعاة الآداب الشرعية، ولا سيما في اللباس والمظهر والمأكل والاقتصاد وعلاقاته الاجتماعية مع الناس،

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٢).



والتوسط يعني الاعتدال والاستقامة، مما يجعل الناس ينظرون إلىٰ هذه الشخصية المتعادلة المستقيمة نظرة إعجاب فتدخل في قلوبهم لأن مظهر القدوة وتعامله مع الآخرين ينسجم مع المنهج الذي يدعو إليه، قال تعالىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[البقرة: ١٤٣].

٥- التقوى:

التقوىٰ هي الأصل الكبير الذي تقوم عليه شرائع الدين وتوجيهاته وآدابه وأخلاقه، فالقلب الذي يستشعر مخافة الله ويستسلم لإرادته ويتبع المنهج الذي اختاره الله ويتوكل عليه وحده هو المؤهل للقيادة وأن يكون قدوة للناس.

والتقوىٰ تجعل القلب طاهرًا لا يعمل عملاً إلا وهو مراعٍ لله طالبًا رضاه؛ قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴾ [الطلاق: ٥]، ولأهمية التقوىٰ كان ﷺ يسأل ربه ذلك، كما قال ﷺ: «**اللهم إني أسألك الهدىٰ والتقىٰ والعفاف والغنىٰ**»(١)

٦- العلم:

حتىٰ يكون الداعية قدوة حسنة لمدعويه، لا بد أن تكون أعماله صحيحة موافقة لكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، وهذا لا يتأتىٰ إلا بطلب العلم منهما والحرص علىٰ تطبيقه. ولقد بوب البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ بابا هو (العلم قبل القول والعمل)(٢) لقوله تعالىٰ: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾[محمد: ١٩]، فبدأ بالعلم. وأورد ابن حجر قول ابن المنير: أراد به أن العلم شرط في صحة القول والعمل، فلا يعتبران إلا به،

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٧٢١).

(٢) صحيح البخاري ١/ ٢٤.

فهو مقدم عليهما، لأنه مصحح للنية المصححة للعمل. والخطاب وإن كان متناولا للنبي ﷺ فهو متناول لأمته، وخاصة الدعاة منهم[1]

٧- المكانة:

لا بد أن يكون للقدوة مكانة في قلوب من يقتدون به، فإذا لم يثق الشباب بقدوتهم ولم يحبوه كان الانتفاع به قليلاً إن لم يكن معدومًا. وغالبًا ما يكون الباعث لدى الشباب لتقليد شخص ما والاقتداء به هو الإعجاب بما يتميز به من صفات الكمال. والإنسان عندما يعجب بسلوك معين، أو بشخصية يجد انجذابًا نفسيًا داخليًا للاقتداء بها في عموم السلوك والأخلاق، أو في جزئيات معينة، وتجد أن الدافع لذلك هو حب التجانس مع هذه الشخصية نتيجة الإعجاب. ومن هذا المنطلق تأثر كثير من الشباب بالفنانين والرياضيين؛ لأن وسائل الإعلام دأبت على إظهارهم بصور الأبطال الفاتحين، والعظماء البارزين، فأعجب بهم الشباب، وأحبوهم وقلدوهم، بل لقد اعتبرهم البعض -للأسف الشديد- المثل الأعلى في الحياة.

٨- الأخلاق الحسنة:

كلما كانت أخلاق الداعية أقرب إلى الأخلاق النبوية الكريمة، كان أكثر نفعًا وأكثر محبة وإلفًا في قلوب المدعوين، فتتم الفائدة، وتكمل به القدوة. وبعض الأخلاق أكثر تأثيرًا في نفوس المدعوين، وأكثر جذبًا لاهتماماتهم من بعضها الآخر؛ مما يحتم على الداعية تفقد تلك الأخلاق وتمثلها.

---

(١) فتح الباري ١/ ١٦٠.

خامسًا: الوسائل المعينة للداعية على تمثل صفات القدوة:

ثمة وسائل معينة ومساعدة للداعية إلىٰ الله علىٰ تمثل صفات القدوة، هو بحاجة إلىٰ استحضارها دائمًا، وأن تكون ماثلة أمام عينيه، متذكرًا لها إبّان دعوته؛ فهي بمثابة دوافع معنوية للداعية تدفعه وتحثه علىٰ تمثل صفات القدوة الحسنة، وتمنعه من الحيد عن جادتها كلما فترت النفس وأرادت استبدال الذي هو أدنىٰ بالذي هو خير. ولعلنا نشير إلىٰ أهم هذه الوسائل:

١) الاستعانة بالله سبحانه وتعالىٰ، والإكثار من دعائه، والتضرع إليه؛ كما قال سبحانه وتعالىٰ حاكيًا دعاء عباده: ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان: ٧٤].

٢) المطالعة المستمرة في حياة السلف الصالح، والعلماء، والدعاة من القدوات السابقة الذين سطروا للأمة أروع النماذج في كل نواحي الخير.

٣) صحبة القدوات العاملة؛ فهم خير معين للثبات علىٰ الخير، والارتقاء بالنفس إيمانيًا، وخلقيًا، وعلميًا، والتزام كل نواحي الخير؛ حيث يعيش الداعية في مناخ النصيحة والتربية، والتذكير، والتواصي، ونقل الخبرات والتجارب.

٤) تذكر الأجر والحسنات لمن دل علىٰ الخير وكان سببًا في لزوم الناس للخير، مستشعرًا النصوص الربانية والنبوية في ذلك؛ كقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت: ٣٣]، وقوله ﷺ: **«من سنَّ في الإسلامِ سُنَّةً حسنةً، فعُمِل بها بعده، كُتِبَ له مثلُ أجرِ مَن عمل بها. ولا ينقصُ من أجورِهم شيءٌ، ومن سنَّ في الإسلامِ سُنَّةً سيئةً، فعُمل بها بعدَه، كُتب عليه مثلُ وِزرِ**

من عمل بها، ولا ينقصُ من أوزارِهم شيءٌ»[1]. وقوله ﷺ: **«من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا»**[2].

٥) تعلم العلم النافع وتعليمه للناس؛ فإنه خير سبيل لتمثل صفات القدوة الصالحة، مستشعرًا قوله ﷺ: **«أتيت ليلة أُسري بي على قومٍ تُقرض شفاههم بمقاريض من نار، كلَّما قرضت وَفَتْ، فقلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: خطباءُ أمتكَ الذين يقولون ما لا يفعلون، ويقرؤون كتاب الله ولا يعملون به»**[3].

٦) التأمل في نعيم الجنة وأنها درجات ورتب ومنازل، ولا شك أن للقدوات الصالحة أكبر الحظ والنصيب من تلك الدرجات العالية والرتب العلية والمنازل الرفيعة؛ وذلك لأنهم سعوا في تعبيد العباد لرب العباد، وتلك هي الغاية من الوجود الإنساني في هذه الحياة الدنيا؛ قال ﷺ: **«إنَّ أهلَ الجنَّةِ ليتَراءَونَ في الغُرفةِ كما يتَراءَونَ الكوكبَ الشَّرقيَّ أوِ الكوكبَ الغَربيَّ الغاربَ في الأُفقِ والطَّالعَ، في تفاضُلِ الدَّرجاتِ، فقالوا: يا رسولَ اللهِ أولئِكَ النَّبيُّونَ؟ قالَ: بلَى، والَّذي نفسي بيدِهِ أقوامٌ آمنوا باللهِ ورسولِهِ وصدَّقوا المُرسَلينَ»**[4].

ويقول ﷺ: **«ذَرِ الناسَ يَعملُونَ؛ فإنَّ الجنةَ مِائةُ درَجةٍ، ما بيْنَ كلِّ درَجتيْنِ كمَا بين السماءِ والأرضِ، والفِردوسُ أعْلاها درجةً وأوْسَطُها، وفوقَها عرْشُ الرحمنِ،**

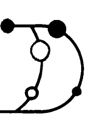
---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١٠١٧).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٦٧٤).

(٣) تقدم تخريجه ص ١٥٤.

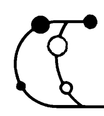
(٤) أخرجه البخاري (٦٥٥٥)، ومسلم (٢٨٣١) واللفظ له.



ومِنها تَفَجَّرُ أنهارُ الجنةِ، فإذا سألتُمُ اللهَ فاسْألُوهُ الفِردوسَ»(١). وأي عمل أعظم من أن يكون الداعية إلىٰ الله قدوة حسنة للناس؟! ولهذا متىٰ ما استشعر الداعية إلىٰ الله هذه الوسائل، واستحضر تلك الفضائل، ومنّىٰ نفسه بتلك المنازل الرفيعة، والدرجات العلية، كان مسارعًا للخيرات، مسابقًا لتمثل صفات القدوات.

●●•●●

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٧٩٠). واللفظ للترمذي (٢٥٣٠).

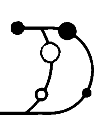


المبحث الثاني
المهمات التربوية للداعية

لا شك أن الدعوة إلىٰ الله من أفضل الأعمال وأحسنها وأقربها إلىٰ الله؛ لما فيها من تعبيد الناس لرب الناس، وإخضاع المخلوق للخالق، كما أن فيها فرصًا كثيرة للتزود من الحسنات ورفع الدرجات وتكفير السيئات؛ كما قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].
وحتىٰ يقوم الداعية بواجبه علىٰ أكمل وجه فلا بد أن يبدأ بنفسه - كما سبق في الفصل الثاني- ثم بمن يعول بدءًا من الأسرة إلىٰ المجتمع الكبير، وهذا ما سيبينه هذا المبحث في العناصر الآتية:

١ - مهمات الداعية في الأسرة:

لا يختلف اثنان أن من أهم الشرائح الدعوية المستهدفة شريحة الأسرة، وهم من أولىٰ الناس دخولاً في النصوص الواردة والمرغبة في فضل الدعوة إلىٰ الله، بل ربما دعوتهم أوجب من دعوة غيرهم؛ ولهذا جاءت النصوص الشرعية العظيمة في تعظيم حقهم من الدعوة إلىٰ الله علىٰ الخصوص، وأنهم أولىٰ الناس إنقاذًا من النار؛ كما قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]، كما أنهم أولىٰ من سيُسأل عنهم المربي أو الراعي يوم الدين، يوم يقوم الناس لرب العالمين، كما قال ﷺ:



«كلُّكم راعٍ فمسؤولٌ عن رعيتِه، فالأميرُ الذي علىٰ الناسِ راعٍ وهو مسؤولٌ عنهم، والرجلُ راعٍ علىٰ أهلِ بيتِه وهو مسؤولٌ عنهم، والمرأةُ راعيةٌ علىٰ بيتِ بعلِها وولدِه، وهي مسؤولةٌ عنهم، والعبدُ راعٍ علىٰ مالِ سيدِه وهو مسؤولٌ عنه، ألا فكلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيتِه»[1]. وليس الأبعد بأولىٰ من الأقرب، بل الأقرب أولىٰ لعظم حقه وسهولة تبليغه، ولهذا جاء في القرآن الكريم: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، وهذا وإن كان خطابًا لرسول الله ﷺ، ولكن معناه يشمل الداعية إلىٰ الله، فعليه أن ينذر الأقربين إليه، مبتدئًا بأفراد أسرته وأقاربه ومن يعرفه، ولا بد أن يعي الداعية أن مسؤوليته علىٰ أسرته تشمل القيام بشؤونهم المادية من توفير الطعام والشراب والسكن، ونحو ذلك من الأشياء المادية، كما تشمل شؤونهم الدينية؛ بتعليمهم ما يلزمهم من أمور الإسلام ودعوتهم إليه؛ قال تعالىٰ مثنيًا علىٰ نبيه إسماعيل عليه السلام: ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ ﴾ [مريم: ٥٥].

وعليه؛ فينبغي أن يستشعر الداعية إزاء أسرته أنه بين فرصة ومسؤولية؛ فالفرصة متمثلة بالأجور والحسنات المضاعفة، والدرجات العالية، والمقامات الرفيعة إزاء ما يقدمه من دعوة وإصلاح لأسرته يكون هو سببًا فيه. وفي المقابل عليه أن يستشعر أنها مسؤولية عظيمة وأمانة ثقيلة؛ لا يجوز له أن يفرط فيها ويهملها، أو لا يحملها بحقها ولا يجعلها من أولوياته وأهدافه، فما بالنا بمن هو علىٰ العكس من ذلك: يهيئ لهم سبل الفساد ويذللها لهم ولا يبالي بانحرافهم وهلكتهم؟!

ومن المهمات المنوطة بالداعية إزاء أسرته ما يلي:

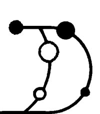
---

(١) تقدم تخريجه (ص١٦٣).

١) غرس الإيمان وتقويته في قلوبهم؛ وذلك بتقوية تعظيم الله في نفوسهم، وتحرير قلوبهم من التعلق بغير الله، وتقوية التقوىٰ في نفوسهم، وتقوية مراقبة الله تبارك وتعالىٰ، والعناية بأعمال القلوب لديهم، وحثهم علىٰ الفرائض والنوافل، وحضهم علىٰ الاعتناء بالقرآن الكريم تلاوة وحفظًا وتدبرًا وعملاً، ووعظهم وتذكيرهم بالدار الآخرة، والاعتناء بدراسة سير السلف الصالح معهم.

٢) تقوية البناء العقلي والعلمي لديهم؛ وذلك بغرس الشعور لديهم بالحاجة للتعلم، مع تعليمهم العلوم الضرورية وتفقيههم في الدين، وغرس تعظيم النصوص الشرعية لديهم، وتحقيق التكامل العلمي، وتنمية مهاراتهم العقلية؛ كالقراءة الذكية، والتعبير اللغوي السليم، والاستماع الناقد، والاستنباط السليم، كما يعلمهم أسس التفكير العلمي وطرق حل المشكلات، وينمي لديهم كذلك الاتجاهات العقلية السليمة مثل: الحياد، والموضوعية، واحترام آراء الآخرين وأفكارهم، كما يجتهد في تخليصهم من معوقات التفكير السليم؛ كالتعصب، والمبالغة والغلو، والتعميم الخاطئ، والالتزام بالأفكار الذائعة، كما يدربهم علىٰ أشكال التفكير السليم، وينمي لديهم الإبداع والابتكار والقدرة علىٰ التعلم الذاتي.

٣) تنمية الأخلاق الحسنة لديهم؛ وذلك بتنقية نفوسهم من الأخلاق السيئة، والسعي في تحقيق العفة لديهم والبعد عن الفواحش، وتربيتهم علىٰ حفظ اللسان والمنطق، كما يحرص علىٰ غرس الجدية والعزة والشجاعة والوقار ومعالي الأمور والمروءة في نفوسهم، كما يربيهم علىٰ السمت والهدي الحسن والأدب مع الأكابر، ورعاية آداب المجالس، وكذا يربيهم علىٰ الرجولة والخشونة والبعد عن الترف، كما يربيهم علىٰ العزيمة واغتنام الأوقات والبعد عن الكسل، ويحبب في نفوسهم حب



النظام في الحياة والتفكير، مع الاعتناء بدراسة شمائل النبي ﷺ معهم ودراسة أبواب الأدب والسلوك.

٤) تنمية الجانب الاجتماعي لديهم؛ وذلك بربط الأولاد بالرفقة الصالحة، وتعويدهم علىٰ تحمل المسؤولية، وإعدادهم للحياة المادية، وتنمية مشاعر البر والصلة لديهم؛ لاسيما بر الوالدين وصلة الأرحام، وتنمية القدرة علىٰ بناء العلاقات الاجتماعية الناجحة، وتنمية الشعور بالمسؤولية الاجتماعية وأهمية التعاون والعمل الجماعي، ويربيهم علىٰ الاهتمام بأحوال المسلمين ويعزز لديهم شرف الانتماء للأمة الإسلامية.

٥) تحقيق الاستقرار النفسي والصحة النفسية لديهم؛ وذلك بإشباع حاجاتهم النفسية، وتوجيه انفعالاتهم وضبطها، وتوجيه عواطفهم وضبطها، كما يحرص علىٰ وقايتهم من الانحرافات والاضطرابات النفسية، وتهذيب دوافعهم وإشباعها بالطرق المشروعة، ويسعىٰ في تقوية إراداتهم، وغرس الثقة في نفوسهم.

٢ - مهمات الداعية في مجتمعه:

ينبغي للداعية أن يستشعر عالمية الدعوة إلىٰ الله مستحضرًا قوله تعالىٰ: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقوله: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴾ [ص: ٨٧ - ٨٨]، وقوله: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان: ١]. وهذا يقوده إلىٰ عدم اختزال دعوته في أسرته والمقربين منه، بل ينبغي أن يوسع دائرة المستهدفين في دعوته بدءاً بنفسه وأسرته - وقد تطرقنا لذلك فيما سلف- ثم أقربائه وعشيرته؛ فهم من أولىٰ الناس بدعوته، متذكرًا قول ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا عندما نزلت هذه الآية: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤]: ورهطك منهم المخلصين، خرج رسول الله ﷺ حتىٰ صعد الصفا، فهتف: «**يا صباحاه**»، فقالوا: من هذا الذي يهتف؟ قالوا: محمد، فاجتمعوا إليه، فقال: «**يا بني فلان، يا بني فلان، يا بني فلان، يا بني عبد مناف، يا بني عبد المطلب**»، فاجتمعوا إليه، فقال: «**أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل، أكنتم مصدقي؟**»، قالوا: ما جربنا عليك كذبًا، قال: «**فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد**»، قال: فقال أبو لهب: تبا لك أما جمعتنا إلا لهذا؟! ثم قام فنزلت هذه السورة: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾[1]. ثم تتسع الدائرة لتسع جيرانه فلهم عليه حق في دعوتهم والإحسان إليهم، وقد قال ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره**»[2] ولا يختلف اثنان أن من أعظم إكرام الجار دعوته إلىٰ الله، والسعي في توجيهه

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٠٨).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٤٧).

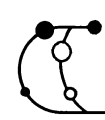
وإرشاده لما فيه صلاح الدنيا والآخرة، ثم تتسع الدائرة لتشمل المجتمع بعد ذلك بشرائحه المتعددة؛ كصحبة العمل، والأصدقاء وغيرهم.

وينبغي للداعية إزاء هذه الشرائح المتعددة أن يعيش همومهم ويحس بآلامهم؛ فيفرح لفرحهم ويحزن لحزنهم قدر استطاعته، فإذا سمع بمصيبة حلّت بأحدهم تألم لها ولو كان لديه بعض التقصير، وكذا أن يتأثر لأخطائهم وانحرافاتهم عن الدين، فيحزن لانتشار الفسق والمعاصي بينهم حزنًا لا يدفعه لاعتزالهم إنما يدفعه لأن يشعر أنه كالطبيب معهم يحاول إنقاذهم، فإن لم يدرك ذلك كله فليقلل من هذا الانحراف بقدر ما يستطيع. وهو ما يسميه أهل العلم بمعايشة الناس ومخالطتهم والصبر على أذاهم من أجل دعوتهم وتوجيههم وإرشادهم. قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الإنسان مدني بالطبع، لا بد له أن يعيش مع الناس، والناس لهم إرادات وتصورات واعتقادات، فيطلبون منه أن يوافقهم عليها، فإن لم يوافقهم آذوه وعذبوه، وإن وافقهم حصل له الأذى والعذاب من وجه آخر، فلا بد له من الناس ومخالطتهم، ولا ينفك عن موافقتهم أو مخالفتهم. وفي الموافقة ألم وعذاب إذا كانت على باطل، وفي المخالفة ألم وعذاب إذا لم يوافق أهواءهم واعتقاداتهم وإراداتهم، ولا ريب أن ألم المخالفة لهم في باطلهم أسهل من الألم المترتب على موافقتهم)(١)

وعليه فإن مخالطة الداعية لمجتمعه قد تعرضه لمشقة أو أذى، وقد بين النبي ﷺ أفضلية من يخالط الناس مخالطة يأمرهم فيها بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، ويحسن معاملتهم؛ فإنه أفضل من الذي يعتزلهم، ولا يصبر على المخالطة،

---

(١) إغاثة اللهفان ٢/ ١٩٣.



والأحوال تختلف باختلاف الأشخاص والأزمان، ولكل حال مقال، فقال ﷺ: «**المسلم إذا كان مخالطًا الناسَ ويصبر علىٰ أذاهم، خير من المسلم الذي لا يخالط الناس ولا يصبر علىٰ أذاهم**»(١). كما أن مخالطة الداعية لمجتمعه هي مخالطة دعوة وتوجيه، ونصح وتعليم، وتأليف وأخوة؛ فعندما يتلقىٰ الناس الدعوة ممن يعيش معهم واقعهم، ويشاركهم آمالهم وآلامهم، فإن ذلك أدعىٰ لاستجابتهم له، والداعية الذي آتاه الله العلم ورزقه الحكمة في الدعوة، مع الإخلاص له تعالىٰ، يعلم أن أفضل الأعمال وأحبها إلىٰ الله ما أفضىٰ إلىٰ مرضاته، ويعلم أن الدعوة إلىٰ الله تفتح له أبوابًا عديدة لتحصيل الأجر، لتعدي نفعها للناس، وذلك خير له من القيام بالعبادات التي يقتصر نفعها عليه. قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (والعالم الذىٰ قد عرف السنة والحلال والحرام، وطرق الخير والشر، مخالطته للناس وتعليمهم ونصحهم في دينهم أفضل من اعتزاله وتفريغ وقته للصلاة وقراءة القرآن والتسبيح)(٢)

كما أن مخالطة الداعية لمجتمعه ستعرفه بعاداتهم وأخلاقهم، ومواطن الضعف والقوة فيهم، وينكشف له ما يشيع بينهم من معروف ومنكر، فيتيسر له القيام بالاحتساب عليهم، ولو أنه بقي في منزله، مغلقًا بابه لما أدرك وعلم ما يشيع بين الناس من المنكرات، فمخالطته لهم تجعله يدعو علىٰ علم وبصيرة بأحوالهم، ويكون هو العنصر المؤثر في المجتمع، إضافة إلىٰ أن الناس جُبلوا علىٰ حب من يجلب لهم النفع، ويدفع عنهم الشر، دون أن تتعلق مصلحته بأي منهم، بل احتسابًا لوجه الله، ولن يتمكن الداعية من خدمة الناس وقضاء حوائجهم من خلال ترديد

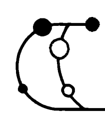
---

(١) أخرجه أحمد (٥٠٢٢)، والترمذي (٢٥٠٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٦٥١).

(٢) عدة الصابرين ص١١٥.

الكلام فحسب، بل إنه في كثير من الأحيان تَحُولُ همومُ الناس ومشاكلُهم بينهم والتلقي منه، وتصبح هذه الهموم سدًا منيعًا في وجه الدعوة، فعلىٰ الداعية حينئذ أن يبذل ما يستطيع من جهد لإزالة هذه العوائق من طريق دعوته، وذلك كله لا يتم إلا بمخالطته للناس في مجتمعه. ولقد كانت مشاركة الناس معيشتهم ومجالسهم والتحدث إليهم والسماع منهم هي ديدنه ﷺ في معظم أحواله، حتىٰ نقل الصحابة لنا أدق الأمور والتفاصيل في حياته. وبعد الفتح والتمكين استمر عليه الصلاة والسلام علىٰ المنهج نفسه، فلم يعتزل الناس، أو يغلق دونهم باب قصر أو بيت، بل إنه يخالطهم كلهم بجميع طبقاتهم، بلا إهمال لأحد منهم، أو تمييز بين غني وفقير، أو حر وعبد، فدعوته للناس كافة، بل إنه لا يستهين حتىٰ بالأطفال الصغار حين أحضرهم أهلوهم له ﷺ فمسح علىٰ رؤوسهم؛ فأطفال اليوم هم رجال الغد، ولم يهمل النساء، فهن شقائق الرجال، ولم يفرق في الدعوة بينهن والرجال، بل أفردهن ببيعة خاصة، ومجالس خاصة للتعليم.

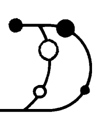
لذا، فإنه من الخطأ أن ينقطع الداعية في مسجد أو زاوية ويحبس نفسه في بيته، ويمتنع عن الخروج، ويظن أن في خروجه ومخالطته للناس تبذلاً لهم يسقطه من أعينهم، ويذهب هيبته من قلوبهم؛ فإن ذلك من كيد الشيطان ومكره، ومدخلاً واسعا لظهور الكبر والعجب في أخلاقه ونفسه مما يحبط عمله. كما أن استنكاف الداعية عن الاختلاط بالناس بحجة بعدهم عن الإسلام وكثرة انحرافاتهم سيزيد المشكلة تعقيدًا، ويوسع الهوة بين هؤلاء والإسلام، وإذا كان الناس مرضىٰ، واستنكف الطبيب عن معالجتهم، فإن المرض سوف يستفحل، وقد يقتل الطبيب نفسه، فضلا عن المريض.



٣ - موازنة الداعية بين مهماته التربوية ومسؤولياته الدعوية:

التوازن: هو إعطاء كل شيء حقه من غير زيادة ولا نقص، وهو ينشأ عن معرفة حقائق الأشياء على ما هي عليه، ومعرفة حدودها وغاياتها ومنافعها، وهو الحكمة المنوه بها في قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ٢٦٩]. والداعية إلى الله هو أولى الناس بتحقيق مبدأ التوازن في حياته بين مهماته التربوية الأسرية ومسؤولياته الدعوية؛ وذلك لأنه أولى من يمثل الإسلام وتعاليمه ومفاهيمه. ومن خصائص الدين الإسلامي أنه دين شامل؛ فالإسلام يريد من المسلم أن يبلغ الكمال المقدور له بتناسقٍ، وفي جميع شؤونه، فلا يقبل على جانب واحد -أو عدة جوانب- ويبلغ فيه المستوى العالي من الكمال، بينما يهمل الجوانب الأخرى حتى ينزل فيها إلى دون المستوى المطلوب، إنَّ مَثَله مَثَل من يقوي يديه ويترك سائر أعضائه رخوة هزيلة ضعيفة، وعلى هذا الأساس فَهِمَ الصحابة الكرام مثالية الإسلام، فلم تأسرهم عبادة، ولم تقيدهم عادة، وإنما تقلَّبوا في جميع العبادات والأحوال، وبلغوا فيها المستوى العالي من الكمال، فلم يحبسوا نفوسهم في مكان، ولا على نوع من العبادات، ولا على نمطٍ معين من الأعمال، وإنما باشروا الجميع، فعند الصلاة كانوا في المسجد يصلون، وفي حلقات العلم يجلسون معلمين أو متعلمين، وعند الجهاد يقاتلون، وعند الشدائد والمصائب يواسون ويساعدون، وهكذا كان شأنهم في جميع الأحوال.

ومن المعلوم أن حياة الداعية الحق تقوم على الموازنة الحكيمة في أموره كلها، سواء منها ما كان من أمور الدنيا أو الآخرة، فلا تشغله أمور الدنيا عن أمور الآخرة،



ولا تشغله أمور الآخرة عن أمور الدنيا، وإنما يوازن في أعماله وتصرفاته بين ما يجب عليه فعله لتستقيم أمور حياته في هذه الدنيا، وما يجب عليه فعله ليضمن الفوز في الآخرة والنجاة من النار.

ومن المساوئ التي تقع في حياة بعض الدعاة ذلك الالتباس في بعض الأمور؛ حيث يظن أن العناية بأسرته وتربيته لأولاده وتوجيههم التوجيه الإسلامي السليم من أمور الدنيا فيتساهل فيها، وهي في الحقيقة من أعمال الدنيا والآخرة معا. ومن هنا نراه يفضل علىٰ عنايته بأسرته الانصراف إلىٰ توجيه الناس ودعوتهم إلىٰ الحق، وتبيان معالمه في شتىٰ شؤون الحياة، فإذا هو داعية كبير من الدعاة، لا تكاد تراه إلا في حلقة من حلقات التوجيه، أو في مؤتمر من مؤتمرات الإصلاح، أو في اجتماع يتدارس فيه الدعاة أمور الدعوة والدعاة، ومثل هذا الداعية الصادق المندفع إلىٰ العمل في سبيل الله، لا يكاد يرىٰ زوجه وأولاده إلا وقتًا ضئيلاً لا يكفي للتعرف علىٰ أحوالهم، والوقوف علىٰ مسار تكوينهم النفسي والعقلي والفكري والاجتماعي، وحجته في ذلك أنه مشغول بأمور الدعوة، ولا وقت لديه للجلوس إلىٰ أولاده ليتفقد أحوالهم، ويعرف الكتاب الذي يقرأون، والرفيق الذي يصاحبون، والأعمال والهوايات التي يزاولون. وإذا هو يفاجأ بعد مدة تطول أو تقصر بانحراف ابنه أو ابنته، أو تقصيرهما علىٰ الأقل في واجباتهما الإسلامية، أو غير ذلك مما لا ينبغي أن يقع في بيت مسلم، علىٰ رأسه داعية عامل في سبيل الله. وقد يقع هذا الانصراف والذهول من الداعية، فترتد مساوئه وأضراره علىٰ الأولاد؛ ولاسيما البنين. وما كان شيء من ذلك ليقع غالبًا لو أن الداعية قد وقر في نفسه أن واجبه نحو أسرته أكبر من واجبه نحو الناس الآخرين، وأن مسؤوليته عن صياغة نفوس أسرته وتربيتهم التربية

الإسلامية اللائقة مقدمة علىٰ مسؤوليته عن دعوة الآخرين إلىٰ الخير وتوجيههم التوجيه السليم.

فخير الدعاة خيرهم لأهله، والداعية الحكيم هو الذي يوازن بين واجباته نحو أسرته وواجباته نحو دعوته، وذلك بإعطاء كل ذي حق حقه من الوقت والجهد والعناية والاهتمام، بحيث لا يطغىٰ جانب علىٰ جانب.

وليس هذا الأمر بالعسير إذا عرف الداعية كيف ينظم وقته، وكيف يوزع واجباته علىٰ وقته. فالتخطيط وتنظيم الوقت وتوزيع الأعمال علىٰ الأوقات من أهم ما ينبغي أن يتحلىٰ به الداعية المعاصر في هذه الأيام التي كثرت فيها الأعمال وتشعبت، وازدادت الضغوط علىٰ الإنسان وتعددت.

وإن لنا في سيرة الرسول ﷺ لأسوة كبيرة؛ فقد كان صلوات الله عليه يصدع بدعوة، ويبني أمة، وينشئ مجتمعًا، ويصوغ نفوسًا، فلا يصرفه هذا كله عن القيام بواجباته الأخرىٰ نحو أزواجه وأولاده، وأقاربه وأرحامه، دون أن يطغىٰ جانب من هذه الجوانب علىٰ جانب آخر.

وكذا أصحابه -رضوان الله عليهم- فقد رباهم ﷺ علىٰ التوازن وإعطاء كل ذي حق حقه كما حصل بين سلمان الفارسي وأبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ عن عون بن أبي جحيفة، عن أبيه، قال: آخىٰ النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء، فرأىٰ أم الدرداء متبذلة، فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعامًا، فقال: كل! قال: فإني صائم، قال: ما أنا بآكل حتىٰ تأكل، قال: فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، قال: نم، فنام، ثم ذهب يقوم فقال: نم، فلما كان من آخر الليل

قال: سلمان قم الآن، فصليا فقال له سلمان: إن لربك عليك حقًا، ولنفسك عليك حقًا، ولأهلك عليك حقًا، فأعط كل ذي حق حقه، فأتىٰ النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال النبي ﷺ: «**صدق سلمان**»(١)

●•●•●

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١٩٦٨).

المبحث الثالث
علاقة الداعية بأصناف الناس

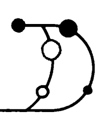
أخبرنا القرآن الكريم أن الناس علىٰ ثلاث درجات أو منازل: في الدنيا، وعند الموت، وفي الآخرة:

ففي الآخرة الناس أزواج ثلاثة؛ قال تعالىٰ: ﴿ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴾ [الواقعة: ٨ - ١٠].

وعند الموت الناس كذلك ثلاث منازل؛ قال تعالىٰ: ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴾ [الواقعة: ٨٨ - ٩٤].

أما في الدنيا، فالناس إما مسلمون، أو غير مسلمين، أو منافقون. والمسلمون ثلاثة أصناف: ظالم لنفسه، ومقتصد، وسابق بالخيرات؛ قال تعالىٰ: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [فاطر: ٣٢]. والداعية مأمور بدعوة أصناف الناس كلها، ومن ثم يستهدف هذا المبحث توضيح علاقة الداعية بأصناف الناس وواجبه نحوهم.

وفيما يلي بيان ذلك:



أولاً: الآداب الشرعية عند الخلاف مع أصناف الناس:

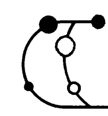
الخلاف أمر مسلم به في دنيا البشر، وهو سنة الله ﷻ في خلقه؛ فهم مختلفون في ألوانهم، وألسنتهم، وطباعهم، ومدركاتهم، ومعارفهم، وعقولهم، وأشكالهم؛ قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨-١١٩].

وإذا كان طبعيًا أن يحدث الخلاف بين الدعاة والمدعوين، فإن المهم هو أن نعرف: كيف يحصل الخلاف؟ وكيف نتعامل معه؟ فنحن اليوم نعيش في واقع متغير أبرز سماته الانفتاح؛ لا سيما مع توافر وسائل التواصل الاجتماعي التي ساعدت في توسيع المعرفة، والاطلاع علىٰ ثقافات الآخرين، وأصبحت المعلومة سهلة الوصول، بل أصبح هناك تعدد وتنوع في المعلومة الواحدة، بل تنافسٌ وتسابقٌ في طريقة إيصالها للآخرين، فعلىٰ الدعاة أن يعوا ذلك جيدًا، ويكونوا علىٰ قدر الحدث والمسؤولية.

وثمة آداب شرعية إذا اتبعها الدعاة عند خلافهم مع المدعوِّين اهتدوا بحول الله ومشيئته ورحمته إلىٰ الحق، ومن هذه الآداب ما هو عامٌ في التعامل مع الناس بكافة أصنافهم، ومنها ما يخص تعامل الداعية مع المسلمين فحسب، وسيدرك القارئ ذلك بنفسه عند مطالعته لكل أدب من هذه الآداب، ولعلنا نشير إلىٰ أهمها فيما يلي:

١) التثبت من قول المخالف:

أول ما يجب علىٰ المسلم فعله عند الخلاف: أن يتثبت في النقل، وأن يعلم حقيقة قول المخالف؛ وذلك بالطرق الممكنة؛ كالسماع من صاحب الرأي نفسه، أو قراءة ما ينقل عنه من كتبه لا مما يتناقله الناس شفاهًا. وقد أمرنا الله بالتثبت فقال



سبحانه وتعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴾ [الحجرات: ٦]، وقال تعالىٰ: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦].

٢) **تحديد محل التنازع والخلاف:**

كثيرًا ما يقع الخلاف بين المخالفين، ويستمر النقاش والردود وهم لا يعرفون بالتحديد ما نقاط الخلاف بينهم، ولذلك يجب قبل الدخول في نقاش أو جدال تحديد مواطن الخلاف تحديدًا واضحًا حتىٰ يتبيَّن أساس الخلاف، ولا يتجادلان في شيء قد يكونان متفقين عليه، وكثيرًا ما يكون الخلاف بين المختلفين في الألفاظ فقط لا المعاني، فلو استبدل أحد المختلفين لفظة بلفظة أخرىٰ لزال الإشكال بينهما. ولذا لزم تحديد محل الخلاف تحديدًا واضحًا.

٣) **لا تتهم النيات:**

مهما كان مخالفك مخالفًا للحق في نظرك فإياك أن تتهم نيته، افترض في المسلم الذي يؤمن بالقرآن والسنة ولا يخرج عن إجماع الأمة، افترض فيه الصدق والإخلاص، ومحبة الله ورسوله، والرغبة في الوصول إلىٰ الحق، وناظره علىٰ هذا الأساس، وكن سليم الصدر نحوه. لا شك أنك بهذه الطريقة ستجتهد في أن توصله إلىٰ الحق إن كان الحق في جانبك، وأما إذا افترضت فيه من البداية سوء النية وقبح المقصد، فإن نقاشك معه سيأخذ منحىٰ آخر هو: إرادة كشفه وإحراجه، وإخراج ما تظن أنه خبيئة عنده، وقد يبادلك مثل هذا الشعور، فينقلب النقاش عداوة، والرغبة في الوصول إلىٰ الحق رغبة في تحطيم المخالف، وبيان ضلاله وانحرافه.

٤) أخلص النية لله:

اجعل نيتك هي الوصول إلىٰ الحق، وإرضاء الله سبحانه وتعالىٰ، وجمع الكلمة وإصلاح ذات البين. فإذا كانت هذه نيتك فإنك تثاب علىٰ ما تبذله من جهد في هذا الصدد؛ قال تعالىٰ: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر: ٢]. وقال رسول الله ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوىٰ**»(١)

٥) اتهم رأيك:

ينبغي علىٰ المسلم أن يضع احتمال أن يكون الحق مع مخالفه -وإن كان متأكدًا من صواب رأيه- فبهذا الشعور يسهل عليه تقبل الحق عندما يلوح له.

٦) قبول الحق من المخالف حقٌ وفضيلة:

إن قبول الحق من مخالفك حق وفضيلة؛ فالمؤمن يجب أن يذعن للحق عندما يتبينه، ولا يجوز له ردُّه ؛ لأن رد الحق قد يؤدي إلىٰ الكفر كما قال ﷺ: «**لا تماروا في القرآن فإن مراء في القرآن كفر**»(٢). والمماراة معناها المجادلة ودفع دلالته بالباطل؛ لأن هذا يكون تكذيبًا لله وردًّا لحكمه، وليس تكذيبًا للمخالف، ورد الحق كبرًا من العظائم، وقد فسر النبي ﷺ الكِبْر، فقال: «**الكبر: بطر الحق وغمط الناس**»(٣)

٧) اسمع قبل أن تُجِيب:

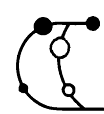
من آداب الخلاف أن تسمع من مخالفك قبل أن ترد، وأن تحدد محل الخلاف قبل أن تخوض في الموضوع.

---

(١) تقدم تخريجه (ص ٦٢).

(٢) أخرجه أحمد (١٧٥٤٢). وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٤٤٤).

(٣) أخرجه مسلم (٩١).



٨) اجعل لمخالفك فرصة مكافئة لفرصتك:

يجب علىٰ كل مختلفين أن يعطي كل منهما الآخر عند النقاش فرصة مكافئة لفرصته؛ فإن هذا أولىٰ درجات الإنصاف.

٩) لا تقاطع:

انتظر فرصتك في النقاش، ولا تقاطع مخالفك حتىٰ ينتهي من كلامه.

١٠) اطلب الإمهال إذا ظهر ما يحتاج أن تراجع فيه نفسك:

إذا ظهر لك أن أمرًا ما يجب أن تراجع فيه النفس، وتتفكر فيه لتتخذ قرارًا بالعدول عن رأيك أو إعادة النظر فيه، فاطلب الإمهال حتىٰ تقلِّب وجهات النظر، وأما إذا تحققت من الحق فبادر بإعلانه والإذعان له؛ فإن هذا هو الواجب عليك؛ فالذي يخاصمك بالآية والحديث يطلب منك في الحقيقة الإذعان إلىٰ حكم الله وحكم رسوله. وكل من ظهر له حكم الله وحكم رسوله وجب عليه قبوله فورًا؛ كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١].

١١) لا تجادل ولا تمارِ:

لا يكن دخولك في نقاش مع أخيك المسلم هدفه الجدال والمماراة، بل يجب أن يكون مقصدك معرفة الحق، أو توضيحه لمخالفك؛ لأن الجدال مذموم والمماراة مذمومة، والجدال والمماراة: أن يكون الانتصار لرأيك، وقطع خصمك وإثبات جهله أو عجزه، وإثبات أنك الأعلم أو الأفهم أو الأقدر علىٰ إثبات الحجة.

١٢) حدد مصطلحاتك واعرف جيدًا مصطلحات مخالفك:

كثيرًا ما يتجادل اثنان أو يختلف قوم ولا يكون سبب خلافهم إلا أنهم يستعملون كلمات ومصطلحات يفهمها كل منهم بمعنىٰ يختلف عما يفهمها به الآخر.

من أجل ذلك يجب عليك أن تحدد معاني كلماتك التي قد يفهمها مخالفك علىٰ صورة أخرىٰ، وكذلك المصطلحات التي تستعملها، واسأل مخالفك عن معاني كلماته ومصطلحاته حتىٰ تعرف مراده من كلامه.

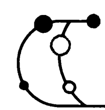
ومن المصطلحات التي يختلف في معناها الناس في الوقت الحاضر: المنهج، طريق السلف، وسائل الدعوة، أساليب الدعوة، البدعة المكفرة، الهجر، التطرف، الإرهاب، الخروج...إلخ، وكذلك يجب أن تعلم أن مخالفك يفهم هذه المصطلحات كما تفهمها أنت، أو كما هو معناها الحقيقي في اصطلاح العقيدة، الأصول، البدعة.

١٣) إذا تيقنت أن الحق مع مخالفك فاقبله، وإذا قبل منك الحق فاشكره:

لا سيما إذا كان رأيًا مجردًا، ورأيت أن الحق معه، وأن المصلحة الراجحة في اتباعه فاقبله؛ لأن المسلم رجَّاع إلىٰ الحق. وأما إذا وافقك مخالفك، ورجع عن قوله إلىٰ قولك فاشكر له إنصافه، وقبوله للحق، واحمد الله أن وفقك إلىٰ إقالة عثرة لأخيك، وبيان حق كان غائبًا عنه.

١٤) أرجئ النقاش إذا كان الاستمرار فيه يجلب الشقاق والنفور:

إذا تيقنت أن النقاش والحوار سيؤدي الاستمرار فيهما إلىٰ الشقاق والنفور والمجافاة، فاطلب رفع الجلسة، وإرجاء النقاش إلىٰ وقت آخر يكون استعداد



الطرفين فيه لقبول الحق أظهر، وتذكر حديث النبي ﷺ: **«أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقًّا»**[1].

١٥) الإبقاء على الأخوة مع الخلاف في الرأي في المسائل الخلافية أولى من دفع المخالف إلى الشقاق والعداوة:

إذا علمت من مخالفك أنه لا يبقى أخًا إلا ببقائه على ما هو عليه من أمر مرجوح ورأي مخالف للحق في نظرك، فتركه على ما هو عليه أولى من دفعه إلى الشقاق والخلاف؛ لأن بقاء المسلمين إخوة في الدين مع اختلافهم في المسائل الاجتهادية خير من تفرقهم وتمزقهم وبقائهم على خلافاتهم.

---

(١) أخرجه أبو داد في سننه (٤٨٠٠)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٧٣).

ثانيًا: علاقة الداعية بالمسلمين وواجبه نحوهم:

١) علاقة الداعية مع إخوانه الدعاة:

الواجب الأساس في تعامل الداعية مع إخوانه الدعاة هو التكامل والتعاون في المهمات الدعوية؛ والتعاون المقصود هو المساعدة على الحق ابتغاء الأجر من الله عز وجل؛ وذلك بتسخير الدعاة لطاقاتهم وإمكاناتهم وما آتاهم الله من النعم في خدمة دينه. وهو من مبادئ الإسلام وفضيلة من فضائله التي حث عليها ودعا إليها وأمر بها؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢]. يقول ابن كثير: (يأمر تعالىٰ عباده المؤمنين بالمعاونة علىٰ فعل الخيرات؛ وهو البر، وترك المنكرات؛ وهو التقوىٰ)[١]. كما أن التعاون يشيع روح الألفة والمحبة بين الدعاة ويجعلهم كالجسد الواحد كما قال ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد؛ إذا اشتكىٰ منه عضو تداعىٰ له سائر الجسد بالسهر والحمىٰ**»[٢]

والدعوة اليوم بحاجة إلىٰ تعاون أبنائها لمواجهة تيارات الكفر التي تحاول جاهدة ضرب الإسلام عن قوس واحدة كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٣] . وفي تعاون الدعاة مع بعضهم البعض وتكاملهم في المهمات بعد عن الخطأ، وسلامة بإذن الله من الانحراف والشطط، وثبات علىٰ الحق، وقد وصف الله المؤمنين في تعاونهم وتكاتفهم فقال: ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾[العصر: ٣]. ومن الخطأ أن يعتقد الداعية أنه يستطيع أن يقوم بجميع تكاليف الدعوة ومستلزماتها، ويؤدي جميع واجباتها

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ١٢.

(٢) أخرجه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦).

ومسؤوليتها بمعزل عن إخوانه، مستقلاً عنهم ومستغنيًا عن معونتهم، وهو بهذا الاعتقاد قد يكون مغرورًا؛ فحاله حال من يعتقد أنه أقوىٰ من الرسل شكيمة وأكبر منهم عزيمة؛ فقد احتاج نبي الله موسىٰ عليه السلام لأخيه لمؤازرته في دعوته -مع أنه من أولي العزم من الرسل- فقال: ﴿وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي﴾ [طه: ٢٩ - ٣٢]. فإن لم يكن ثمة غرور فهو جهل بسير الأنبياء التي فاضت الأخبار بتعاونهم مع أتباعهم في حمل لواء الدعوة ونشر بساطها؛ قال تعالىٰ: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦]، وقد قال ﷺ: **«ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره»**[1]. وكان ﷺ يقول: «**من ينصرني حتىٰ أبلغ رسالات ربي**»[2]. وأخذ البيعة مرات عديدة علىٰ نصرته ونشر ملته، فبايعه الأنصار رضي الله عنهم.

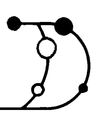
ولهذا امتن الله علىٰ رسوله بهذه النعمة فقال: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٢-٦٣].

لذا ينبغي علىٰ الدعاة أن تتسع صدورهم في التعاون فيما بينهم علىٰ دفع مسيرة الدعوة إلىٰ الله، وأن يتقاسموا المهمات والمراحل والأوقات والأماكن والأزمنة، مستشعرين الغاية العظيمة من الدعوة إلىٰ الله: وهي هداية الخلق، مستحضرين الإخلاص لله إزاء هذا التعاون، معتمدين علىٰ الله في تحقيق مرادهم المنشود. كما أن

---

(١) أخرجه مسلم (٥٠).

(٢) أخرجه أحمد (١٤٦٩٤)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٦٣).



الدعوة إلىٰ الله تحتاج لجميع الطاقات والإمكانات والمواهب والمهارات والتخصصات، وهي متفرقة في الدعاة وقليل من يجتمع عنده أكثرها. وعليه فلا بد أن يكون التعاون والتكامل بين الدعاة علىٰ أعلىٰ مستوىٰ من التنسيق والتخطيط والتنظيم، وأن تتحرك الطاقات الدعوية بجميع تخصصاتها لنصرة الإسلام والمسلمين. وليحذر الدعاة من معوقات التعاون بينهم؛ كالأنانية، والأثرة، وحب الذات، والإعجاب بالرأي والاستبداد به، والرغبة في الشهرة؛ فإنها مفسدة للنية، ومذهبة للأجر، وموغرة للصدور، ومفرقة للجمع، ومفسدة للأخوة، ومحبطة للعمل، وماحقة للبركة. ولعل أخطر ذلك كله: الإعجاب بالنفس والاستبداد بالرأي؛ فالمستبد برأيه المعجَب بنفسه شخصية يصعب التعاون معها؛ لأنه يستصغر الآخرين ويحقِّر رأيهم، ويستعظم نفسه، ولا يثق إلا برأيه، وفي ذلك الهلاك.

روىٰ الطبراني في معجمه الأوسط بإسنادٍ حسن عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال: «**ثلاث مهلكات وثلاث منجيات، وثلاث كفارات، وثلاث درجات: فأما المهلكات فشحٌّ مطاع، وهوىً متبع، وإعجابُ المرءِ بنفسه...**»[1]. ولإزالة هذا المعوق ينبغي لمن آنس في نفسه عدم الاستماع للآخرين، وكان متشبثاً برأيه، أن يتذكر خير البرية محمدًا ﷺ وكيف كان يسمع لأصحابه ويترك رأيه لرأيهم في ما ليس فيه وحي؛ كما في سماعه لرأي أم سلمة في الحديبية وأَخْذه بمشورتها في حلقه لرأسه ونحره لهديه ﷺ؛ ليقتدي به أصحابه بعد إحجامهم حزنًا علىٰ عدم إتمامهم للعمرة. وكما أخذ برأي شباب الصحابة رضي الله عنهم في الخروج لأحد وعدم مواجهة المشركين داخل المدينة، وكما أخذ برأي السعدين في الأحزاب حين أراد أن يعطي غطفان ثلثَ

---

(١) المعجم الأوسط: (٥٤٥٢)، وحسّنه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٣٩).

ثمار المدينة ويرجعوا، فقال السعدان: لا نعطيهم إلا السيف. وكما أخذ برأي الحُباب بن المنذر في الرواية المشهورة -وإن لم يكن سندها قويًا- حين أشار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بتغيير مكان نزول جيش المسلمين في بدر، وكما أخذ برأي عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين قال له: يا رسول الله، بأبي أنت، وأمي، أبعثت أبا هريرة بنعليك، من لقي يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنًا بها قلبه بشره بالجنة؟ قال: «نعم»، قال: فلا تفعل؛ فإني أخشىٰ أن يتكل الناس عليها، فَخَلِّهِم يعملون، قال رسول الله ﷺ: «فَخَلِّهِم»[1]

وقد وعىٰ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هذا الخُلُقَ عن رسول الله ﷺ، فكان مع قوَّته وشدَّته يسمع للرجال والنساء، وربما ترك رأيه لرأيهم؛ كما ورد عن عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رجلاً قال لعمر: إن فلانا يقول: لو مات أمير المؤمنين لبايعنا فلانًا، (والمعنىٰ أنهم يَثِبُون علىٰ الأمر بغير عهدٍ ولا مشاورة) فقال عمر: لأقومن العشية فأحذر هؤلاء الرهط الذين يريدون أن يغصبوهم، قلت: لا تَفْعَلْ؛ فإن الموسم يجمع رعاع الناس، يَغْلِبون علىٰ مجلسك، فأخاف أن لا ينزلوها علىٰ وجهها، فيطير بها كل مُطِيرٍ، فأمْهِل حتىٰ تقدم المدينة دار الهجرة ودار السنة، فتخلص بأصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار، فيحفظوا مقالتك وينزلوها علىٰ وجهها، فقال: والله لأقومن به في أول مقام أقومه بالمدينة[2]

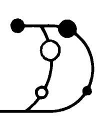
٢) علاقة الداعية بعوام المسلمين:

ينبغي للداعية أن يَفْقَهَ عمومَ دعوته إلىٰ الله، ويحرص علىٰ إيصالها لكل إنسان يستطيع الوصول إليه. ومن الأصناف والشرائح المستهدفة التي ينبغي للداعية أن

---

(١) أخرجه مسلم (٥٢).

(٢) أخرجه البخاري (٧٣٢٣).



يحرص عليها ويسعىٰ في هدايتها ونفعها: عوام الناس والجمهور الأعم، والسواد الأعظم في المجتمع؛ وذلك لأنهم أسرع من غيرهم استجابة إلىٰ الحق؛ فهم أتباع رسل الله؛ يصدقونهم ويؤمنون بهم قبل غيرهم، كما قال هرقل لأبي سفيان يوم اجتمع به في الشام لما سمع هرقل بأنه من مكة، فأراد أن يسأل عن أخبار النبي ﷺ، قال هرقل: أشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ فقال أبو سفيان: بل ضعفاؤهم، فقال هرقل: هم أتباع الرسل(١).

والواقع أنَّ أتباع رسل الله كانوا من جمهور الناس وعوامهم، ولقد قال الملأ لنوحٍ عليه السلام: ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾ [هود: ٢٧]، وكذا قال الملأ من ثمود قوم صالح عليه السلام كما حكاه الله جل جلاله عنهم: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٧٥]، وكذلك كان أتباع نبينا محمد ﷺ في مكة من الضعفاء، وقد نالهم من المشركين أذىٰ كثير. والجمهور وعوام الناس في كل وقت أسرع من غيرهم إلىٰ قبول الحق، كما قال ابن كثير في تفسيره: (ثم الواقع غالبًا أن ما يتبع الحق ضعفاء الناس)(٢). وتعليل سرعة استجابة الجمهور وعوام الناس للحق وقبولهم الدعوة إلىٰ الله - كما أشار القرطبي لذلك في تفسيره - أنَّهم خالون من موانع القبول الموجودة في بعض الأصناف والشرائح؛ فثمة موانع واهية تمنعهم من قبول الحق والدعوة؛ كحب الرياسة والتسلُّط، والأنفة من الانقياد للآخرين لكبرهم النفسي(٣). وعليه؛ فينبغي للداعية أن يستثمر مقومات نجاح دعوته المتوافرة في

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٩٤٠).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٣١٦).

(٣) انظر تفسير القرطبي (٩/ ٢٣).

جمهور الناس وعوامهم، وألا ينظر إليهم نظرة دونية؛ فهذا الذي لا يقيم له الداعية وزنًا ربما أصبح له عند الله وزن كبير بخدمته للإسلام والدعوة إليه، وهكذا كان رسول الله ﷺ يدعو كل إنسان يلقاه أو يذهب إليه؛ جاء في السيرة النبوية أنَّ الرسول ﷺ بعد أن عرض نفسه الكريمة علىٰ قبائل العرب التي وافت الموسم في مكة - وكان ذلك قبل الهجرة بنحو ثلاث سنوات - ولم يستجب له منهم أحد، لقي ستة نفر من الخزرج عند العقبة من منىٰ، وهم يحلقون رؤوسهم، فجلس إليهم رسول الله ﷺ فدعاهم إلىٰ الله، وقرأ عليم القرآن، فاستجابوا لله ولرسوله وآمنوا، ثم رجعوا إلىٰ قومهم بالمدينة، وذكروا لهم رسول الله ﷺ «ودعوهم إلىٰ الإسلام ففشا فيهم، حتىٰ لم يبق دار من دور الأنصار إلاَّ فيها ذكر رسول الله ﷺ»[1]. فرسول الله ﷺ لم يستصغر شأن أولئك الستة وهم يحلقون رؤوسهم بعد أن لم يستجب له أحد من القبائل النازلة حوالي مكة، ولم يقل في نفسه الكريمة: أيُّ أمل في هؤلاء المشغولين بحلق رؤوسهم، ثم إنَّ أولئك الستة كانوا هم الدعاة الأُوَل إلىٰ الإسلام في المدينة، فعلىٰ الداعية أن يقتدي بهدي رسول الله ﷺ، ولا يستهين بأحد فيزهد في دعوته؛ فقد يكون الخير الكثير علىٰ يد الذي لا يَرىٰ فيه خيرًا الآن.

٣) علاقة الداعية بالشباب:

تعد مرحلة الشباب من أدق المراحل في حياة الإنسان، وأطولها مدة، وأشدها تأثيرا؛ فهم يحملون نفوسًا خصبة وثَّابة، صالحة للخير والإصلاح، وقلوبًا صافية لم تقتحمها بعد عادات سيئة، ولا تقاليد ضارة متأصلة في النفوس، ولا ضروب من الأخلاق التي تتراكم عادة لدىٰ الكبار. ومن أجل هذا كانوا أسرع فئات المجتمع إلىٰ

---

(١) انظر سيرة ابن هشام (١/ ٤٢٨).

قبول النصيحة واستجابة الدعوة، إضافة إلىٰ ما فيهم من نشاط في الأبدان، وحدة في العقول، ورغبة في البذل والتضحية. وكثيرًا ما تتحرك عندهم العواطف، وتهب من ركودها بنشاط وحيوية في حب الخير، فتسعىٰ نفوسهم إليه حثيثة، وتدعو إليه جادة.

ولما كانت مرحلة الشباب هي الطور الحاسم في حياة الإنسان غالبًا، وهي الطور الذي تُبنىٰ فيه العقائد والمثل، ويتحدد الاتجاه، وتتكون فيه النفس الإنسانية؛ فإن التدين في هذه المرحلة ضروري ليضبط اتجاه الشاب ويوجهه الوجهة الإسلامية، ويدفع النفس إلىٰ السلوك النافع المفيد، ويساعد علىٰ نمو نفسي سليم، والتدين يتناول كل جوانب الحياة الإنسانية من: اجتماعية، واقتصادية، وثقافية...الخ، فهو بالتالي يحقق بالنسبة للشباب ارتياحًا نفسيًا واطمئنانًا داخليًا، ويكون علاجًا لما يواجهه الشاب من قلق وصراعات نفسية في هذه المرحلة من الحياة. يؤكد ذلك قوله ﷺ: **«سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربه... »**[1]

وخص الشاب في هذا الحديث من بقية المراحل لكونه مظنة غلبة الشهوة؛ لما فيه من قوة الباعث علىٰ متابعة الهوىٰ، فإن ملازمة العبادة مع ذلك أشد وأدل علىٰ غلبة التقوىٰ.

لذا ينبغي للداعية إزاء ذلك أن تكون علاقته بالشباب علاقة مصلحية بنائية، وأن يولي هذه الشريحة عناية خاصة، وأن يسعىٰ في تربيتهم علىٰ القيم الإسلامية، والمبادئ الإيمانية، والتصورات العقلية الصحيحة، وأعظم هذه المهمات: أن يبني فيهم الدين

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١).

القويم، ويدلهم على الصراط المستقيم، وأن ينزل إليهم ويعايشهم، ويخالطهم ويسمع همومهم وتطلعاتهم وأمنياتهم، ويشاركهم أعمالهم، ويضبط عواطفهم، ويوجه انفعالاتهم، ويساعدهم على شغل أوقات الفراغ بالنافع المفيد، كما يجتهد في تهذيب أخلاقهم، وتأديبهم بآداب الإسلام، وكذا يجتهد في اكتشاف طاقاتهم ومواهبهم، وتوجيهها الوجهة الصحيحة السليمة، التي فيها خدمة للإسلام والمسلمين.

٤) علاقة الداعية بالأطفال:

صغار اليوم هم كبار الغد، وجيل المستقبل، والأمل المنشود، والمعول عليهم بإذن الله في تغيير واقع الأمة السيئ إلى واقع طيب مزهر. وهم صنف لا غنى للداعية عن التعامل معهم؛ وذلك لكثرتهم في المجتمع وأهميتهم، فهو ابن للداعية، أو أخ له، أو قريب من أسرته أو عشيرته أو جيرانه، أو من أبناء المسلمين عمومًا.

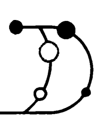
ومما ينبغي للداعية مراعاته في التعامل مع الصغار:

أ- الرحمة والرأفة بهم:

فقد كان النبي ﷺ رحيمًا رؤوفًا بالصغار، ومن مظاهر رحمته بهم أنه كان يقبل الصبيان ويداعبهم ويلاطفهم، وينبذ القاسي الذي لا يرق قلبه للأطفال؛ قال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَبَّلَ رسول الله ﷺ الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسًا، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدًا، فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: «مَنْ لاَ يَرْحَمُ لاَ يُرْحَم»[1]. وكان ﷺ يمسح على رؤوس الأطفال من باب الرحمة والمداعبة لهم؛ فعن جابر بن سمرة، قال: «صليت مع رسول الله ﷺ صلاة

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٩٧)، ومسلم (٢٣١٨).



الأولىٰ، ثم خرج إلىٰ أهله وخرجت معه، فاستقبله ولدان، فجعل يمسح خدي أحدهم واحدًا واحدًا، قال: وأما أنا فمسح خدي، قال: فوجدت ليده بردًا أو ريحًا كأنما أخرجها من جؤنة عطار»(١)

ومن مظاهر الرحمة بالطفل: الخوف عليه ومساعدته؛ ذلك أنه جاء الحسن والحسين عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران، فنزل رسول الله ﷺ من المنبر، فحملهما ووضعهما بين يديه، ثم قال: «**صدق الله: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾** [التغابن: ١٥]، **نظرت إلىٰ هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتىٰ قطعت حديثي ورفعتهما**»(٢)

ومن علامات رحمة النبي ﷺ بالأطفال أنه كان يخفف الصلاة من أجلهم؛ قال ﷺ: «**إني لأقوم في الصلاة أريد أن أطول فيها، فأسمع بكاء الصبي، فأتجوز فِي صلاتي كراهية أن أشق علىٰ أمه**»(٣)، فالنبي ﷺ يخاف علىٰ الطفل أن يكون أصابه أذىٰ، ويخاف علىٰ أمه أن يذهب خشوعها بالتفكير في ولدها.

ب- تعليمهم الإيمان والتوحيد والقرآن:

عن جندب بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنا مع النبي ﷺ ونحن فتيان حَزاوِرَة(٤)، فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن، فازددنا به إيمانًا(٥)

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٣٢٩). وجؤنة العطار: هو الوعاء الذي يوضع فيه العطر ويُحرز. انظر: النهاية لابن الأثير (١/ ٣١٨)، ولسان العرب (١٣/ ١٠٣).

(٢) أخرجه أحمد (٢٢٩٩٥)، والترمذي: ٣٧٧٤، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٧٥٧).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٧٠٧).

(٤) حَزَوِراة: جمع حَزَوَّر، وهو الغلام الذي اشتد وقوي. لسان العرب (٤/ ١٨٧).

(٥) أخرجه ابن ماجه في سننه (٦١)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٥٢).

ومن أوكد صور تعليم الأطفال: ما يرتبط بترسيخ العقيدة لديهم؛ ومن ذلك ما قاله عبدالله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كنت خلف رسول الله ﷺ يومًا، فقال: «**يا غلام إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت علىٰ أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا علىٰ أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف**»(١)

وإدراكًا من جيل الصحابة -رضوان الله عليهم- لأهمية توجيه الطفل للتعلم من الصغر قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «من قرأ القرآن قبل أن يحتلم فقد أوتى الحكم صبيا»(٢). وفي وصية للحسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لبنيه وبني أخيه: «تعلموا تعلموا؛ فإنكم صغار قوم اليوم تكونون كبارهم غدًا، فمن لم يحفظ منكم فليكتب»(٣).

ج- تربيتهم علىٰ حسن السلوك:

إذا كانت السلوكيات تتكون عند الطفل الصغير بالتدرج والاختلاط بالآخرين، فإنه من الضروري انتهاز مختلف المواقف والأحداث لتوجيهه توجيهًا مباشرًا وغير مباشر ليكتسب هذا الطفل الآداب والسلوكيات المحمودة، وخاصة تلك التي تتكرر مع الطفل في حياته اليومية.

---

(١) أخرجه أحمد (٢٨٠٣)، والترمذي (٢٥١٦). وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٣٨٢)، وصحيح الجامع (٧٩٥٧).

(٢) شعب الإيمان للبيهقي (١٧٩٨).

(٣) الكفاية في علم الرواية ص٢٢٩.

فعن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال لي رسول الله ﷺ: **«يا بني إذا دخلت على أهلك فسلم؛ يكن بركة عليك، وعلى أهل بيتك»**(١).

وفي حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: أخذ الحسن بن علي تمرة من تمر الصدقة، فجعلها في فيه، فقال رسول الله ﷺ: **«كِخْ كِخْ، ارمِ بها، أما علمت أنا لا نأكل الصدقة؟»**(٢). ومن ذلك أيضًا ما قاله الصحابي الجليل عمر بن أبي سلمة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: كنت غلامًا في حجر رسول الله ﷺ، وكانت يدي تطيش في الصحفة، فقال لي رسول الله ﷺ: **«يا غلام! سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك»** فما زالت تلك طعمتي بعد(٣)

فالنبي ﷺ يعلم الطفل لنفسه أولاً، ثم إذا خالط الناس لا يخرج عن عاداتهم وتقاليدهم المعتبرة ثانيًا، وتوجيه النبي ﷺ كان بأسلوب نبوي لم يكن فيه زجر أو غلظة في الكلام، بل كان بأسلوب محبب وسلس؛ يراعي عُمْر هذا الغلام الصغير، وهذا التوجيه ليس لهذا الصحابي الكريم وحده بل لكل الناس بعده.

د- تقديرهم واحترام حقوقهم:

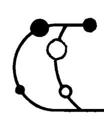
وهذه من أهم الأمور التي يحتاج إليها الطفل دائما، فقد كان النبي ﷺ يشعر الناشئة بمكانتهم وتقدير ذاتهم، وأنهم في كثير من الأمور كغيرهم من الكبار، لهم حقوق مكفولة لا يسقطها ضعفهم ولا قلة المبالاة بهم. عن سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله ﷺ أُتي بشراب فشرب منه، وعن يمينه غلام، وعن يساره أشياخ.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٩٨)، وقال: حسن غريب. وحسّنه الألباني لغيره في صحيح الترغيب (١٦٠٨).

(٢) أخرجه البخاري (١٤٩١)، ومسلم (١٠٦٩).

(٣) أخرجه البخاري (٥٣٦٧)، ومسلم (٢٠٢٢).



فقال للغلام: «**أتأذن لي أن أعطي هؤلاء؟**». فقال الغلام: لا والله، لا أوثر بنصيبي منك أحدًا. قال: فتلّه رسول الله ﷺ في يده[(١)]

كذلك كان من تقدير النبي ﷺ للأطفال تكنيتهم بأحب الكنىٰ والألقاب؛ فعن أنس بن مالك، قال: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقًا، وكان لي أخ يقال له: أبو عمير، قال: أحسبه، قال: كان فطيمًا، قال: فكان إذا جاء رسول الله ﷺ فرآه، قال: «**أبا عمير ما فعل النغير**» قال: فكان يلعب به[(٢)]

ومن مظاهر التقدير للأطفال: الرفع من شأنهم بإلقاء السلام عليهم؛ فعن أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ مر علىٰ غلمان فسلَّم عليهم[(٣)]

إن احترام الداعية لشخصية الطفل يبعث فيه الاعتماد علىٰ النفس والشعور بالراحة، وينمي مواهبه، في حين أن التعامل معه بالاستخفاف، والتقليل من مكانته، يؤدي به إلىٰ العقد النفسية والاضطراب والدونية.

٥) علاقة الداعية بالنساء:

خير الهدي هدي محمد ﷺ، وخير من تعامل مع النساء التعامل الأمثل الذي يحفظ لهن مكانتهن وكرامتهن هو القدوة المعصوم رسولنا ﷺ، فكان تعامله معهن يتسم بالرفق والحنو والرحمة؛ وذلك لما طبعه الله عليه من كريم الأخلاق والرحمة بالناس والرفق بهم -لا سيما النساء- ولما يعلمه ﷺ من ضعف النساء وقلة حيلتهن. ولذا حري بالداعية أن يتعلم كيف عاملهن ﷺ فيحذو حذوه، ويقتفي أثره؛ حتىٰ

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٥١)، ومسلم (٢٠٣٠).

(٢) أخرجه البخاري (٦١٢٩)، ومسلم (٢١٥٠).

(٣) أخرجه البخاري (٦٢٤٧)، ومسلم (٢١٦٨).

يكون علىٰ بصيرة من أمره، قائمًا بحق الله في هذه الفئة. ولعلنا نشير إلىٰ بعض هديه في التعامل مع النساء، فمن ذلك:

أ- كان ﷺ يعد النساء نظائر الرجال:

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إنما النساء شقائق الرجال**»(١) أي: نظائرهم وأمثالهم في الأخلاق والطباع؛ كأنهن شققن منهم. فهن أشباه للرجال ومساويات لهم فيما فرض الله، إلا ما استثناه الوحي بتخفيف؛ كإسقاط الجمعة والجهاد، أو بزيادة؛ كالحجاب.

ب- كان ﷺ يتعامل مع النساء برفق:

فيتعامل معهن باللين والرحمة والمحبة والعطف والرفق؛ لما في المرأة من ضعف ورقة، ولذلك كان يطلق عليهن: (القوارير)؛ فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، وغلام أسود يقال له أنجشة يحدو، وكان حسن الصوت. فقال له رسول الله ﷺ: «**يا أنجشة، رويدك سوقًا بالقوارير**» قال أبو قلابة: فتكلم النبي ﷺ بكلمة لو تكلم بها بعضكم لعبتموها عليه(٢). وفي لفظ لأحمد(٣): «**يا أنجشة ويحك: ارفق بالقوارير**»، يعني: النساء. فشبه النبي ﷺ النساء بالقوارير، والقوارير جمع قارورة، وهي الزجاجة؛ سميت بذلك لاستقرار الشراب فيها. والنساء يشبهن بالقوارير في الرقة، واللطافة وضعف البنية.

---

(١) أخرجه أحمد (٢٦١٩٥)، وأبو داود (٢٣٦). وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٣٣٣).

(٢) أخرجه البخاري (٦١٤٩، ٦٢١١)، ومسلم (٢٣٢٣).

(٣) المسند (١٢٣٥٠).

ج- كان يحثهن على الإكثار من ذكر الله تعالىٰ:

عن يسيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -وهي من المهاجرات- قالت: قال لنا رسول الله ﷺ: **«عليكن بالتسبيح، والتهليل، والتقديس واعقدن بالأنامل، فإنهن مسؤولات مستنطقات، ولا تغفلن، فتنسين الرحمة»**[1].

د- كان يحثهن على شهود مواسم الخير في الأعياد ونحوها:

عن أم عطية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: أُمرنا أن نخرج الحُيَّض يوم العيدين، والعواتق وذوات الخدور، فيشهدن الخير وجماعة المسلمين ودعوتهم، ويعتزل الحُيَّض عن مصلاهن. قالت امرأة: يا رسول الله إحدانا ليس لها جلباب. قال: **«لتلبسها صاحبتها من جلبابها»**[2]. أي: تعيرها من ثيابها ما لا تحتاج إليه.

هـ- كان يهتم بالنساء، وكان يخصص لهن يومًا لتعليمهن ووعظهن:

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاءت امرأة إلىٰ رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله ذهب الرجال بحديثك، فاجعل لنا من نفسك يومًا نأتيك فيه تعلمنا مما علمك الله. فقال: **«اجتمعن في يوم كذا وكذا، في مكان كذا وكذا»**، فاجتمعن، فأتاهن رسول الله ﷺ، فعلمهن مما علمه الله، ووعظهن وأمرهن. فكان فيما قال لهن: **«ما منكن امرأة تقدم بين يديها من ولدها ثلاثة، لم يبلغوا الحنث، إلا كان لها حجابا من النار»**. فقالت امرأة منهن: يا رسول الله، أو اثنين؟، فأعادتها مرتين. ثم قال: **«واثنين واثنين، واثنين»**[3].

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٣٥٨٣)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٠٨٧).

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٤)، ومسلم (٨٩٠).

(٣) أخرجه البخاري (١٠١)، ومسلم (٢٦٣٤).

و- كان يرفق بالأرامل منهن:

فقد أولاهن ﷺ رحمته ورفقه، وكان لا يتكبر على الأرملة ولا يأنف منها؛ عن عبدالله بن أبي أوفى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله ﷺ يكثر الذكر، ويقل اللغو ويطيل الصلاة، ويقصر الخطبة ولا يأنف أن يمشي مع الأرملة والمسكين فيقضي له الحاجه[(1)]

ز- كان ﷺ يسارع في قضاء حوائجهن:

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن لي إليك حاجة. فقال لها: «**يا أم فلان، انظري أي السكك شئت حتى أقضي لك حاجتك**». فخلا معها في بعض الطرق حتى فرغت من حاجتها[(2)]. وهذا من تواضع النبي ﷺ، ولطفه بالمرأة التي تحتاج المساعدة والرعاية منه والرفق.

٦) علاقة الداعية بالعصاة:

العصاة: هم صنف من أصناف المدعوين ويعنى بهم: مَنْ كان عندهم أصل الإيمان -وهو الإقرار بشهادة أن لا إله إلاَّ الله وأن محمدًا رسول الله- ولكنَّهم لا يقومون بحقوق هذه الشهادة؛ فهم يخالفون بعض أوامر الشرع، ويرتكبون بعض نواهيه، ومنهم المكثِر من المعاصي، ومنهم المقِلّ، ومنهم بين ذلك على درجات كثيرة جدًّا ومتنوعة جدًّا، لا يحصيها إلاَّ الله تعالى. ومما لا بد أن يدركه الداعية أن هذا الصنف هو السواد الأعظم في المسلمين؛ وذلك لأن المسلم غير معصوم من

---

(١) أخرجه النسائي في سننه (١٤١٤). وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٠٠٥).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٣٢٦).

المعصية، كما قال ﷺ: «**كل ابن آدم خطَّاء وخير الخطائين التوابون**»(١). وتعليل ذلك أنَّ نفس الإنسان قابلة لارتكاب المعصية كما هي قابلة لفعل الطاعة؛ قال اتعالىٰ: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ [الشمس: ٧ – ١٠].

ومن أسباب انكباب المسلم علىٰ المعاصي: جهله؛ فالعاصي جاهل قطعًا، فلولا جهله ما عصىٰ الله تعالىٰ؛ قال ربنا جلَّ جلاله: ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٧]. قال مجاهد وغير واحد من أهل العلم: كل من عصىٰ الله خطأً أو عمدًا فهو جاهل حتىٰ ينزع من الذنب(٢). ووجه جهل العاصي أنَّه يجهل قدر ربه، وما يجب له من طاعة لحق ربوبيته وألوهيته وعظمته وكمال إنعامه علىٰ عبده، ومن جهل العاصي: جهله بضرر الذنوب، وكان ينبغي أن ينفر منها أشد من نفرته من الحيَّات والعقارب، ومن جهله: أن يؤثر العاجلة علىٰ الآخرة، وما نسبة العاجلة وما فيها من لذائذ إلىٰ نعيم الآخرة إلاَّ كنسبة ما يعلق بالأصبع إذا غمستها في البحر إلىٰ مائه، ومن جهله: التسويف وطول الأمل وتأجيل التوبة، ولم يعلم أن الموت أقرب إلىٰ الإنسان من شراك نعله.

وإذا أدرك الداعية حال العاصي وأسباب انحرافه عن الجادة قاده ذلك إلىٰ الموقف الصحيح في التعامل معه؛ وهو: أن ينظر إلىٰ العصاة نظرة إشفاق ورحمة؛ فهو يراهم كالواقفين علىٰ حافَّة وادٍ عميق سحيق في ليلة ظلماء، يخاف عليهم من

---

(١) أخرجه أحمد (١٣٠٤٩)، والترمذي (٢٤٩٩)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٥١٢).

(٢) تفسير الطبري ٨/ ٨٩.

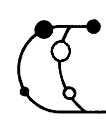
السقوط، ويعمل جهده لتخليصهم من الهلاك. وهو في سبيل هذه الغاية يعفو عن تجاوزهم في حقه إن كانت معصيتهم في حقه، ولا يعيرهم ولا يشمت بهم، ولا يحتقرهم افتخارًا بنفسه عليهم وإدلالاً بطاعته، ولا يغضب إلا إذا انتهكت محارم الله، ويوجه غضبه لهذا الانتهاك، قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: ما انتقَمَ رسولُ اللهِ ﷺ لنفسِه في شيءٍ يُؤْتَىٰ إليه حتىٰ تُنْتَهَكُ مِن حرماتِ اللهِ، فيَنْتَقِمُ للهِ[1]. ومن محارم الله التي يغضب لها المسلم: محاربة العصاة الدعوة إلىٰ الله والصدِّ عن سبيله وإلحاق الأذىٰ بالدعاة حتىٰ يمتنعوا عن القيام بواجب الدعوة، ففي هذه الأحوال ونحوها يجوز للداعي أن يسلك مع هؤلاء العصاة ما يكفّ به ضررهم عن الدعوة والدعاة بالقدر الذي يبيحه الشرع، علىٰ أن لا يتجاوز هذا القدر، وأن يتوسَّل بالأسهل فالأسهل من وسائل كفِّ ضررهم، مع رغبته التامّة في هدايتهم وصلاحهم.

٧) علاقة الداعية بالمبتدعة:

المبتدعة أصناف متفاوتون، ومنهم من يريد الحق ويقصد التقرب إلىٰ الله لكنه ضل الطريق؛ قال الله تعالىٰ: ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [الحديد: ٢٧]. لذا ينبغي للداعية أن يراعي هذا التفاوت في أصناف المبتدعة، ويدرك أن منهم من قد يظهر من التنسك أو الأحوال ما يُعبِّر عن اعتقاده الحق فيما يؤمن به. والمبتدع -ما لم يكن زنديقًا- يحكم له بالإسلام ويبقىٰ شأنه وحاله أفضل بكثير ممن قصد الكفر البواح أو الشرك الظاهر. كما ينبغي أن يعلم الداعية أن المبتدع

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٨٥٣).



أخطر شأنا على الدِّين وأهل الإسلام من الكافر والمشرك؛ لأن البدعة تفسد الإسلام وتحرف الناس عن الحق إلى مزالق لتأويله؛ ما يقسمهم شيعًا وأحزابًا. وقد أشار الرسول ﷺ في حديثه عن افتراق اليهود والنصارى وهذه الأمة إلى مدى تأثير الاختلاف في الدين على وقوع كثير من الفِرق في النار.

ومن هنا يأتي الإسلام ليرسم للداعية أحكام التعامل مع المبتدع من هذه الزاوية، فالمقصود من التعامل مع المبتدع أمران:

الأول: معالجة **المبتدع** وإخضاعه للتدابير التي من شأنها تحقيق العلاج لأهدافه.

الثاني: صيانة **المجتمع** من الآثار التي قد تلحق به دينيًا من البدعة ذاتها، فضلا عن المبتدع. وكما هي حالات المرض: يتفاوت تقويم الإسلام للبدعة وصاحبها، ومن ثمَّ يختلف تعامل المجتمع الإسلامي مع المبتدع بحسب البدعة ذاتها، وبحسب تأثير المبتدع من جهة أخرى.

وعليه؛ فينبغي للداعية أن يعلم أحكام التعامل مع المبتدع وكيف تصاغ علاقته به، ومن ذلك:

١ - بيان مخالفته للدِّين بالحجة والبرهان والدليل، وهذا ما سلكه الرسول ﷺ مع ذلك الشاب الذي أتى يستأذن الرسول ﷺ في الزنا!![1]، ومع ذلك الشخص الذي توجه إلى الرسول ﷺ بقوله: اعدل يا محمد![2].

٢ - نصح المبتدع وإظهار الشفقة به، مع بيان عظم ما وقع فيه وعظم الآثار التي ستترتب على بدعته؛ وهذا بالفعل ما قام به عبدالله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وهو يحاور

---

(١) تقدم تخريجه (ص١٥٣).

(٢) تقدم تخريجه (ص ١٤٦).

الخوارج ويلزمهم بلازم مذهبهم الذي ذهبوا إليه في شأن الفريقين المتقاتلين من الصحابة.

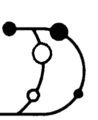
٣-الوقوف بصرامة إزاء تَحوُّل هذه البدعة إلىٰ مذهب يتلقفه الناس ويتخذونه منهجًا؛ لذا كان منهج الرسول ﷺ حازمًا وصارمًا مع من أظهروا الغلو أو أحوالاً وأقوالاً بعيدة عن سنته، وتوعَّد من اتخذ هذا المسلك، وحذَّر أمته منه؛ لكي يظل الحق الذي أنزله الله ناصعًا نقيًّا مما قد يشوبه من أهواء الناس؛ التي وإن لبَّت رغبة قوم أو ذائقتهم، أو وافقت آراءهم العقلية، إلا أنها لن توافق قومًا آخرين. أما الحق الذي أنزله الله تعالىٰ فيوافق العقول السليمة جميعًا، وذائقة النفوس البشرية كافة، ويدور في حدود طاقاتهم وقدراتهم دون تكلف وتنطع. فكم شوهت البدع -رغم نظر أصحابها إليها بالحسن- الإسلام في نظر غير المسلمين، فصرفتهم إلىٰ باطل، وزهَّدتهم في الحق!

وفي جميع الأحوال السابقة يبقىٰ للمرء حقوق الإسلام وعليه واجباته. وقد احتمل الرسول ﷺ المخالفين وأبقاهم في المجتمع لكن مع إنكاره عليهم وتحذيره مما صنعوا؛ فقد كان الرسول الكريم يعلم أن للشيطان مداخله علىٰ بعض الصالحين من جهة: تشددهم، أو فهمهم الخاطئ للدين، أو تعبُّدِهم لله بما يستحسنونه من حال أو هيئة؛ فإذا لم يُحسن إلىٰ هؤلاء تحوَّلوا إلىٰ أعداء؛ كيف وقد صبر علىٰ أعدائه من المشركين وأهل الكتاب ومنافقي المدينة! إلا أن هنا ملحظًا مهمًا: وهو أن من طبيعة المجتمعات أن تتعامل في الجانب المادي من حياتها عند وجود الضرر والأذىٰ من قبل شخص مريض أو مختل بأن يباشروا من التدابير ما يعينهم علىٰ إزالة الضرر ورفع الأذىٰ، أو -في أقل الأحوال- حصره، مع مراعاة ألاَّ يخل بحق المريض أو

المختل في الرعاية، مع إمكانية تقييد بعض حرياته أو إسقاط بعض حقوقه لمصلحة أكبر؛ هذه الصورة المادية تقابلها صورة معنوية في حال كان الشخص مجرمًا أو صاحب خلق سيء؛ حيث يأتي عوضًا عن الحجر الصحي والعلاج المادي حَجْرٌ من نوع آخر وعلاجٌ من نوع آخر؛ وهذه السُّنة الاجتماعية لا يغفلها الإسلام في المبتدع، باعتباره شخصًا (مختلاً) في جانب (الدِّين). ومن ثَمَّ، فكما أن للجوانب الأخرىٰ تدابيرها لصيانتها في حياة المجتمع يكون الدِّين أحق بهذه التدابير.

٨) علاقة الداعية بالمنحرفين فكريًا:

الانحراف الفكري: هو الميل إلىٰ غير الحق في أصول الدين فيما ينتجه عقل الإنسان من رأي. ويعد الانحراف الفكري من أخطر الانحرافات التي تقع في المجتمع المسلم؛ وذلك لما يترتب عليه في حياة الفرد والمجتمع من آثار ضارة وفساد عريض للعباد والبلاد. فقد يمرق المسلم بسببه من الدين، ويقع في كبائر من الذنوب تخرجه من الملة، ويخسر الدنيا والآخرة؛ وهو يحسب أنه يحسن صنعًا؛ خاصة أن هذا الانحراف الفكري يغزو الأفراد في أعز مراحل حياتهم: مرحلة الشباب، ويستهدف الأمة في أغلىٰ مدخراتها، والإنسان إذا خسر شبابه خسر عمره، والأمة التي يتحول شبابها للهدم لا للبناء تفقد مقومات النمو والتطور لحاضرها، وعوامل بقائها في مستقبلها؛ فهو يجعل الشباب عرضة لأفكار هادمة لمسيرة تقدم الأمة، فينتشر التشكيك في الله أو في أحكامه وشرائعه، ويظهر الإلحاد والتشبه بالكفار واتباع مذاهبهم الفكرية، ويضعف التدين والالتزام الخلقي، وينتشر في المقابل: التكفير، والتفجير، وتدمير المنشآت، وسفك الدماء المعصومة، والتعدي علىٰ الأموال والأعراض، والخروج علىٰ الجماعة والحاكم، وتفريق الكلمة، وزعزعة



الأمن، وتبديد جهود الأمة وإمكاناتها وقدراتها، وتشويه صورة الإسلام والمسلمين، وفتح الباب لعدوها المتربص بها علىٰ ضعفها، كل ذلك بسبب الانحراف الفكري عن الطريق المستقيم، والمؤسف حقًّا أن يكون بعضه بدعوىٰ الحق والجهاد في سبيل الله. لذا ينبغي علىٰ الداعية أن يسلك المسلك الصحيح في التعامل مع هؤلاء المنحرفين ؛ وذلك بمجابهتهم فكريًا، فتكون مناقشتهم، ومحاورتهم بالتي هي أحسن، وإزالة شبههم وتحصينهم بالعلم النافع الصحيح، ومن ذلك:

١) إبراز لزوم الكتاب والسنة مصدرين للتشريع يُفهمان بفهم سلف الأمة من الصحابة والتابعين.

٢) نشر الفقه السليم والتصور الصحيح للإسلام ورسالته السمحة، وإبراز مقاصده.

٣) دعوتهم للموازنة بين الحقوق والواجبات.

٤) توعيتهم بحرمة المسلم: دمه وعرضه وماله، وحرمة جماعة المسلمين.

٥) توعيتهم بحقوق غير المسلمين، والواجب تجاههم، وفقه التعامل معهم.

٦) تعليمهم فقه الأولويات، ومآلات الأمور، ومنزلة ذلك في التشريع الإسلامي.

ثالثًا: علاقة الداعية بغير المسلمين وواجبه تجاههم:

١) علاقة الداعية بالملحدين:

الإلحاد في الأصل هو: الميل والعدول عن الشيء، والظلم والجور، والجدال والمراء؛ يقال: لحد في الدين لحدًا، وألحد إلحادًا: لمن مال وعدل وماري وجادل وظلم. واللحد: الشق الذي يعمل في جانب القبر لموضع الميت؛ لأنه قد أُميل عن وسط القبر إلى جانبه. والإلحاد في الدين هو: الميل عن الحق، والانحراف عنه بشتى الاعتقادات، والتأويل الفاسد، والمنحرف عن صراط الله. وقيل المراد بالملحدين على المعنى المصطلح عليه في هذا العصر هم: من أنكروا وجود رب خالق لهذا الكون، متصرف فيه، يدبر أمره بعلمه وحكمته، ويجري أحداثه بإرادته وقدرته، واعتبار الكون أو مادته الأولى أزلية، واعتبار تغيراته قد تمت بالمصادفة، أو بمقتضى طبيعة المادة وقوانينها، واعتبار الحياة من أثر التطور الذاتي للمادة. وعليه فينبغي للداعية أن يسلك المسلك الصحيح في دعوة الملحدين؛ وذلك من خلال محاجتهم بما يلي:

أ- الأدلة الفطرية:

فمن الحكمة مع الملحدين أن يستخدم الداعية إلى الله تعالى في دعوته لهم الأدلة الفطرية؛ فيوضح ويبين لهم أن المولود يولد على نوع من الجبلة والطبع المتهيِّئ لقبول الدين، فلو تُرِكَ عليها لاستمر على لزومها ولم يفارقها إلى غَيرها، وإنما يعدل عنها من يعدل لآفة من آفات البشر والتقليد. وكل مولود يولد على معرفة الله والإقرار به، فلا تجد أحدًا إلا وهو يقرّ بأن له صانعًا وإن سماه بغير اسمه، أو عبد معه غيره.

والمقصود بفطرة الله التي فطر الناس عليها: فطرة الإسلام، والسلامة من الاعتقادات الباطلة، والقبول للعقائد الصحيحة؛ فإن حقيقة الإسلام هي الاستسلام لله وحده. قال الرسول ﷺ: «**ما من مولود إلا يولد علىٰ الفطرة، فأبواه يُهوِّدانه، أو ينصِّرانه، أو يمجِّسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جَدْعَاء**»، ثم يقول أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠][(١)]

وقال الله تعالىٰ في الحديث القدسي: «**إني خلقتُ عبادي كلهم حُنفاء، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يُشركوا بي ما لم أنزل به سلطانًا**»[(٢)]

ب- البراهين والأدلة العقلية:

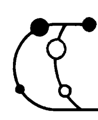
فمن الحكمة في دعوة هؤلاء إلىٰ الله تعالىٰ أن تُقدّم لهم البراهين والأدلة العقلية القطعية في التقسيم العقلي الحكيم؛ فيستدل علىٰ كل من أنكر وجود الله تعالىٰ وربوبيته بأمر لا يمكنهم إلا التسليم للحق والانقياد له، أو الخروج عن موجب العقل إلىٰ الجنون والفطر المنحرفة، فيقال لكل من أنكر ذلك: إن الأمور الممكن تقسيمها في العقل ثلاثة لا رابع لها:

١ - إما أن تُوجد هذه المخلوقات بنفسها صُدفة من غير مُحدِث ولا خالق خلقَهَا، فهذا مُحالٌ ممتنع تجزم العقول ببطلانه ضرورة، ويُعلم يقينًا أن من ظن ذلك لهو إلىٰ الجنون أقرب منه إلىٰ العقل؛ لأن كل من له عقل يعرف أنه لا يمكن أن يوجد شيء من غير مُوجدٍ ولا مُحدِثٍ، فلا بد لكل حادث من مُحدِث، ولا سبيل

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٥٨)، ومسلم (٢٦٥٨).

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٦٥).



إلىٰ إنكار ذلك؛ فإن وجود الشيء من غير مُوجد مُحالٌ وباطلٌ بالمشاهدة والحسّ والفطرة السليمة.

٢ - وإما أن تكون هذه المخلوقات الباهرة هي المحدثة الخالقة لنفسها، فهذا أيضـًا مُحالٌ ممتنع بضرورة العقل، وكل عاقل يجزم أن الشيء لا يُحدثُ نفسه ولا يخلقه؛ لأنه قبل وجوده معدوم فكيف يكون خالقًا؟!

فإذا بطلَ هذان القسمان عقلاً وفطرةً، وبان استحالتهما، تعيَّن القسم الثالث:

٣ - وهو أن هذه المخلوقات بأجمعها: علويها وسفليّها لا بد لها من مُحدث ينتهي إليه الخلق والملك والتدبير، وهو الله العظيم، خالق كل شيء، المتصرف في كل شيء، المدبر للأمور كلها؛ ولهذا ذكر الله تعالىٰ هذا الدليل العقلي والبرهان القطعي فقال: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾[الطور: ٣٥]، ولذلك تأثر جبير بن مطعم بسماعها من النبي ﷺ تأثرًا عظيمًا؛ قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٣٥ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ۝٣٦ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴾[الطور: ٣٥ - ٣٧]، كاد قلبي أن يطير، وذلك أول ما وقرَ الإيمانُ في قلبي»[(١)]

فالمخلوق لا بد له من خالق، والمصنوع لا بد له من صانع، والمفعول لا بد له من فاعل، وهذه قضايا بدهية جلية واضحة، يشترك في العلم بها جميع العُقلاء، وهي أعظم القضايا العقلية، فمن ارتاب فيها أو شكّ في دلالتها فقد برهن علىٰ ضلاله، واختلال عقله.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٠٢٣، ٤٨٥٤).

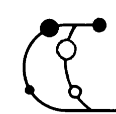
٢) علاقة الداعية بأهل الكتاب:

إن من الحكمة في دعوة أهل الكتاب إلىٰ الله تعالىٰ أن يُجَادَلُوا بالتي هي أحسن، بمزيد حسن خلق ولُطْفٍ ولين كلام، ودعوة إلىٰ الحق، وتحسينه بالأدلة العقلية والنقلية، ورد الباطل بأقرب طريق وأنسب عبارة، وأن لا يكون القصد من ذلك مجرد المجادلة والمغالبة وحب العلو، بل لا بد أن يكون القصد بيان الحق، وهداية الخلق؛ كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

وقد ختم الله تعالىٰ الشرائع كلها بشريعة محمد ﷺ، فأرسله الله إلىٰ جميع الثقلين: الإنس والجن، ونسخت شريعته جميع الشرائع السابقة؛ قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾[آل عمران: ٨٥]. وقال ﷺ: **«والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة: يهودي أو نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسلت به إلا كان من أصحاب النار»**(١). والله تعالىٰ حكيم عليم ﴿لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ﴾[الأنبياء: ٢٣]، ولا غرابة في أن يُرفَع شرعٌ بآخر مراعاة لمصلحة العباد عن علمٍ سابقٍ من علاَّم الغيوب تبارك وتعالىٰ، ولكن اليهود والنصارىٰ أنكروا نسخ الشريعة الإسلامية لجميع الشرائع السابقة، فينبغي عند دعوتهم إلىٰ الله ﷻ أن يكون المسلك الأساس في ذلك: الاستدلال بالأدلة العقلية، والأدلة النقلية علىٰ نسخ الإسلام لجميع الشرائع، وفيما يلي بيان ذلك:

---

(١) أخرجه مسلم (١٥٣).



أولاً: الأدلة العقلية:

١-ليس هنالك محظور في النسخ عقلاً، وكل ما لم يترتب عليه محظور كان جائزًا عقلاً، فالنسخ جائز عقلاً.

٢-الله تعالىٰ يأمر بالشيء علىٰ قدر ما تقتضيه المصلحة؛ فقد يأمر بالشيء في وقت، وينهىٰ عنه في وقت آخر؛ لأنه سبحانه أعلم بمصالح عباده، والطبيب الحكيم يأمر المريض بشرب الدواء، أو استعمال دواء خاص في بعض الأزمنة، وينهاه عنه في زمن آخر، بسبب اختلاف مصلحته عند اختلاف مزاجه، والملك الذي يُشفق علىٰ رعيته ينقلهم في بعض الأزمنة إلىٰ نوع من السياسة غير النوع الأول؛ لما في ذلك من المصالح، وقد يسوس الوالد الحكيم ولده في وقت باللطف، وفي وقت آخر بالتأديب، علىٰ قدر ما يرىٰ في ذلك من المصلحة، والله ﷻ: ﴿ لَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [الروم: ٢٧]، وهو سبحانه لا يفعل شيئًا إلا لحكمة بالغة؛ فهو يُحيي ثم يُميت ثم يُحيي، وينقل الدولة من قوم أعزّة إلىٰ قوم أذلّة، ومن قوم أذلة إلىٰ قوم أعزة، ويُعطي من شاء ما شاء، ويمنع من شاء: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

٣-من يقول بوقوع النسخ سمعًا وجوازه عقلاً، وأن الشارع يجوز أن يأمر عباده بأمر مؤقت ينتهي بانتهاء وقته، وأن ذلك قد وقع سمعًا؛ من يقول بذلك يلزمه أن يُجَوِّز نسخ الشريعة الإسلامية للملل السابقة.

٤-إنكار النسخ يلزم منه إنكار كل الرسالات التي جاءت بعد الرسالة الأولىٰ! فتبطل بذلك اليهودية والنصرانية وغيرهما.

ثانيًا: الأدلة النقلية السمعية: وهي نوعان:

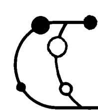
النوع الأول: ما تقوم به الحجة علىٰ منكري النسخ من اليهود والنصارىٰ الذين لم يعترفوا برسالة محمد ﷺ؛ وذلك بالأدلة الواردة في التوراة والإنجيل. والداعية المسلم إذ يُورد الأدلة من كتبهم لا يعتقد أن هذه النصوص كما أُنزلت، بل يحتمل أن تكون مما وقع عليه التحريف والتغيير؛ فإن اليهود والنصارىٰ قد غيَّروا وبدَّلوا كثيرًا من كتبهم، ولكن المسلم يقيم الحجة عليهم بما بين أيديهم من التوراة والإنجيل لا لثبوتها ولكن لإلزامهم بالتسليم، أو يعترفوا بالتحريف، ومن ذلك ما يأتي:

١ – جاء في التوراة: إن الله تعالىٰ أمر آدم أن يزوج بناته من بنيه، وورد أنه كان يولد له في كل بطن من البطون ذكر وأنثىٰ، فكان يزوج توأمة هذا للآخر، ويزوج توأمة الآخر لهذا، إقامة لاختلاف البطون مقام اختلاف الآباء والأمهات والأنساب، ثم حرَّم الله ذلك بإجماع المتدينين من المسلمين واليهود والنصارىٰ.

٢ – أمر الله إبراهيم عليه السلام بذبح ولده، ثم نسخ هذا الحكم قبل العمل به، وقد أقرّ منكرو النسخ بذلك.

٣ – الجمع بين الأختين كان مباحًا في شريعة يعقوب، ثم حُرِّم في شريعة موسىٰ عليهما السلام.

النوع الثاني: ما تقوم الحجة به علىٰ من آمن بنبوة محمد ﷺ واعترف بها؛ ولكنه جعلها خاصة بالعرب دون غيرهم، فهؤلاء متىٰ سلّموا واعترفوا برسالته ﷺ وأنه صادقٌ فيما بلغه عن الله ﷻ من الكتاب والسنة وجب عليهم الإيمان والتصديق بكل ما ثبت عنه، وما جاء به من عموم الرسالة، والنسخ الثابت بالكتاب والسنة، ومن هذا النوع ما يأتي:



١ - قال تعالىٰ: ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [البقرة: ١٠٦ - ١٠٧].

٢- وقال تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ١٠١].

٣- وقال جل وعلا: ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [الرعد: ٣٨ - ٣٩].

٤- وقال تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

٥- وقال الله جل وعلا: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

٦- وقال تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾ [الصف: ٦].

وبهذه الأدلة العقلية، والنقلية السمعية -التي دلت علىٰ جواز النسخ عقلاً ووقوعه نقلاً وسمعًا- سقطت أقوال منكري النسخ، وأقوال من أنكر عموم رسالة النبي ﷺ.

وثمة مسالك أخرىٰ يجدر بالداعية أن يدركها ويحيط بها، وهي مما تقوي حجته إزاء دعوة أهل الكتاب؛ منها:

- الأدلة القطعية علىٰ وقوع التحريف والتبديل في التوراة والإنجيل.

- إثبات اعتراف المنصفين من علماء اليهود والنصارىٰ.
- الأدلة علىٰ إثبات رسالة عيسىٰ ومحمد عليهما الصلاة والسلام.

٣) علاقة الداعية بالمشركين:

أطلق القرآن الكريم لفظ المشركين علىٰ عُبَّاد الأوثان والأصنام، وقد أصبح هذا اللفظ علمًا عليهم يميزهم عن بقية الأديان الأخرىٰ؛ قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الحج: ١٧]. وقال تعالىٰ: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٠٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا﴾ [آل عمران: ١٨٦]، وقال الله تعالىٰ: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ [المائدة: ٨٢].

ففي هذه الآيات، قد ميز القرآن أهل الكتاب -علىٰ ما فيهم من ضلال وباطل- عن عبدة الأوثان والأصنام. قال صاحب المغني: (وسائر آي القرآن الكريم يفصل بينهما، فدل علىٰ أن لفظ المشركين بإطلاقها غير متناولة لأهل الكتاب)[١]. وقال القرطبي في هذا الخصوص: (ففرق بينهم في اللفظ، وظاهر العطف يقتضي المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه)[٢].

ووصف القرآن الكريم لعبدة الأوثان والأصنام بالمشركين فيه تسفيه لعقولهم، وأن عبادتهم تلك باطلة وفاسدة؛ لأنها مبنية علىٰ الجهل والضلال. ولما كان

---

(١) المغني ٧/ ١٣٠.

(٢) تفسير القرطبي (٣/ ٦٩).

المشركون لا ينكرون وجود الله تعالىٰ، وإنما اتخذوا معه آلهة يظنون أن لها حظوة ومكانة عند الله تقربهم إليه، فقد أقام القرآن الكريم عليهم كثيرًا من الحجج والبراهين الملزمة لهم بالاعتراف بالوحدانية لله تعالىٰ، وعليه فحري بالداعية أن يَعِيَها ويستحضرها إزاء دعوته للمشركين؛ وذلك لأنها تمثل المنهجية الصحيحة في دعوتهم؛ ومن أهم ذلك:

أ- الأدلة القوية علىٰ صدق الرسول ﷺ المتمثلة في شهادة ربه تبارك وتعالىٰ له، وكفىٰ بها شهادة، وكذلك شهادة أهل الكتاب بصدقه، وشهادة المشركين أنفسهم له بالصدق والأمانة، وكان رأيهم في ذلك يعد إجماعًا منهم علىٰ كريم أخلاقه ﷺ. ولعل من أعظم علامات صدقه ﷺ أن تحداهم بالقرآن الكريم، بل تحدىٰ الإنس والجن علىٰ أن يأتوا بسورة من مثله، ولو بأقصر السور، ولم يتقدم واحد منهم إلىٰ الميدان، علىٰ الرغم من أنهم أئمة الفصاحة والبيان، وفرسان البلاغة في هذا الشأن.

ب- استجواب المشركين عن أمور لا يمكنهم إنكارها؛ كالرزق والحواس، وأحوال الموت والحياة، وشئون التدبير، والاستقلال بالملك والتصرف في الكون، وما فيه من سائر صنوف المخلوقات؛ لأنهم عند ذلك لا يجدون محيدًا عن الجواب الصحيح؛ وهو أن ذلك كله بيد الله، ومن هنا فإنه يلزمهم الاعتراف بأن الذي ابتدأ الخلق والإيجاد والإبداع، هو المستحق للعبادة وحده.

ج- وكذلك إلزامهم بتقرير وحدانية الله تعالىٰ، باعترافهم بأن الخالق لكل ما في الكون من: سماء وأرض، وشمس وقمر، وليل ونهار، وسحاب وأنهار، وحيوان ونبات هو الله تعالىٰ وحده؛ لأنه إذا كان الله تعالىٰ هو رب كل شيء ومليكه، وهو الخالق الرازق وحده، فلماذا يعبدون غيره؟! وكذلك فإن الله الخالق الرازق

المتصرف لم يأذن لهم في اتخاذ الوسائط بينهم وبينه -سبحانه وتعالىٰ - فلماذا يفتئتون عليه بلا إذن منه؟!

د- وألزمهم أيضا بإقرارهم بتوحيد الله عند الشدائد، وعند شدة الكرب والفزع في البر والبحر -حيث ثبت أنهم لا يتوجهون في تلك اللحظات إلىٰ صنم، ولا إلىٰ كوكب، ولكنهم يتوجهون إلىٰ الله وحده مخلصين له الدين سرًا وجهرًا- فذلك يوجب عليهم الإقرار بتوحيده في الأمن والرخاء.

هـ- ودعاهم القرآن الكريم عن طريق السؤال والجواب في آن واحد، حتىٰ لا يسأموا من الدعوة إلىٰ التوحيد، وفي الوقت نفسه كان هذا إلزامًا لهم بالحجة الواضحة التي لا يمكنهم إنكارها.

و- وفي مجال ضرب البراهين العقلية: دعاهم القرآن إلىٰ النظر والتدبر فيما يشاهدونه من خلق السماوات والأرض، وما فيهما من إبداع، وليس لآلهتهم في صنعها يد، فلا بد أن تكون العبادة لمن خلق كل ذلك.

ز-وضرب لهم الأمثال للتذكير والوعظ والاعتبار، وتصوير الشرك في صورة محسوسة، ليكون ذلك أقرب إلىٰ الأنظار، وأثبت في الأذهان، وأدعىٰ إلىٰ الامتثال.

ح- وجادلهم القرآن الكريم سالكًا معهم في الاستدلال علىٰ وحدانية الله تعالىٰ مسلكين:

١- **دليل التمانع**؛ وذلك أنه لو كان مع الله شركاء في كونه لما قبل أحد منهم أن يكون في مركز أدنىٰ، ولسَعَىٰ لمنافسة الآخرين في كل شيء، وعند ذلك يفسد الكون بين رغبات الشركاء، ولكن ثبت انتظام الكون وسلامته من الخلل والتصادم والفساد، فعلم أن الله واحد ليس له شريك.

٢- التركيز علىٰ إبطال معبودات المشركين، ومناقشتهم فيها مناقشة واضحة صريحة، وبيان أنها لا تقدر علىٰ خلق ذبابة، ولا تستطيع أن تدفع عن نفسها ضرًّا، ولا تجلب لنفسها نفعًا، فضلا عن نفع غيرها أو إلحاق الضرر به.

ط- وطالبهم القرآن الكريم علىٰ وجه التعجيز أن يأتوا بدليل عقلي أو نقلي يقر عبادتهم، ولما كان صريح العقل حاكمًا بأنه لا يجوز إسناد جزء من أجزاء هذا العالم إلىٰ معبودات المشركين، وإن كان ذلك الجزء أقل الأجزاء، ولا يجوز أيضًا إسناد الإعانة إليها في أقل الأفعال وأذلها، وكذلك فإن إثبات ما يعتقدونه عن طريق أي نقل أمر محال، ولأنه قد علم بالتواتر الضروري إطباق جميع الكتب علىٰ المنع من عبادة غير الله تعالىٰ؛ فلما بطل الكل ثبت أن الاشتغال بعبادةِ الأصنام عمل باطل واعتقاد فاسد.

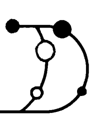
ي- واشتمل مسلك القرآن الكريم علىٰ كثير من التوجيهات والتحذيرات التي تدعو المشركين إلىٰ الإيمان بوحدانية الله تعالىٰ وانضوائهم تحت لواء الإسلام؛ من أهمها ما يلي:

١- دعوتهم بالأمر الجازم بعبادة الله وحده، والنهي عن عبادة ما سواه.

٢- مطالبتهم بأن يحاكموا تقاليدهم وعقائدهم الجاهلية الموروثة إلىٰ ميزان العقل، إن كانت لديهم عقول.

٣- استعمال أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة في دعوتهم، وعدم سب آلهتهم لئلا يسبوا الله تعالىٰ بسبب جهلهم وعدم علمهم.

ك- واستعمل معهم أسلوب القصة لتقرير التوحيد بأبلغ أسلوب، وأقوىٰ حجة، ونفي الشرك بأوضح بيان.



ل- دعوتهم إلىٰ التأمل في مصير المكذبين من الأمم السابقة، لأخذ الدرس والعبرة بسنن الله في الخلق؛ لأن السعيد من اتعظ بغيره، وتعلم من أخطاء الآخرين.

م- بيان ضلالهم حول بعض المسائل الغيبية، سواء ما يتعلق بالملائكة أو البعث، أو ما يتعلق بأمر الشفعاء والأولياء، وبيان الحق في ذلك، وإيضاحه التام.

ن- وكذلك فند القرآن جميع الشبهات التي يثيرها المشركون عن الرسالة؛ سواء ما يتعلق منها بالقرآن، أو بصاحب الرسالة عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

٤) علاقة الداعية بالباحثين عن الحق:

توجه بعض الدعاة لدعوة غير المسلمين إلىٰ الإسلام، وهدايتهم إلىٰ طريق النجاة في الدنيا والآخرة، واتخذ من الأساليب ما يتوافق مع ما يحتاجه هذا السبيل، واستعمل الأدوات المناسبة لهذا الميدان، فهدىٰ الله علىٰ أيديهم من أراد له الهداية والسعادة، وبقي آخرون علىٰ أبواب الهداية؛ يحول بينهم وبينها ريبٌ وترددٌ من بقايا ماضيهم المعتم، وأخلاطٌ مما كانوا فيه من شبهات الضلال، وهم يتحرَّون من يرفع عنهم غم هذه الغيوم بإجابات شافية ومعلومات كافية؛ لا سيما وهم يشاهدون ما في أديانهم من ازدواجية واضطراب وتناقض وضلال.

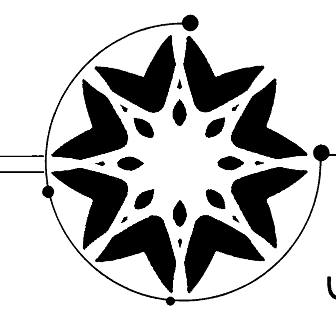
وهنا تبرز أهمية الداعية إلىٰ الله؛ فيبين لهم حاجتهم إلىٰ الإسلام، ويشرح لهم باختصار ووضوح أصول الإسلام الاعتقادية، وما في هذا الدين من المزايا والمحاسن، وما فيه من النبع الروحي العظيم الذي يروي ظمأ هذه القلوب والأرواح العطاش إلىٰ النور الصافي؛ نور الإسلام. كما ينبغي عليه أن يزيل عنهم الشبه المتعلقة بالإسلام التي ألصقها به أعداء الإسلام، وأن يبين لهم ضلال أديانهم وتناقضات كتبهم وكذب علمائهم. وأعظم ما يقوم به هو نفض الغبار عن أصل الفطرة لديهم، فيبين أن الفطرة

السليمة هي فطرة الإسلام والسلامة من الاعتقادات الباطلة، والقبول بالعقائد الصحيحة، وأنها لا محالة ستقود الحائر والمتردد للإيمان بالله العظيم وتصديقه.

٥) علاقة الداعية بالمعاندين:

الأصل في دعوة الناس أن تكون باللين والرفق؛ كما قال تعالىٰ لموسىٰ عليه السلام: ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [طه: ٤٣-٤٤]. والقول اللين هو الكلام الدال علىٰ معاني الترغيب والعرض واستدعاء الامتثال؛، بأن يظهر المتكلم للمخاطب أن له من سداد الرأي ما يؤهله لتقبل الحق والتمييز بينه والباطل، مع تجنب أن يشتمل الكلام علىٰ تسفيه رأي المخاطب أو تجهيله. كما يلزم أن تكون الدعوة بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة؛ كما قال تعالىٰ: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل: ١٢٥].

فإذا عاند المدعو ولم يُجدِ ذلك معه شيئًا، بل جحد وأنكر وتكبر ، انتقل الداعية بعد ذلك إلىٰ أسلوب الغلظة معه؛ كما قال تعالىٰ في حق اليهود: ﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ٩٤-٩٦]، بل قد ينتقل بعد ذلك لأسلوب المباهلة؛ كما قال تعالىٰ في حق النصارىٰ: ﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [آل عمران: ٦١]. ويراعي في ذلك كله المصلحة الراجحة.



الفصل الرابع: الداعية المربي.. الكفايات والمهارات

أهداف الفصل:

يهدف الفصل بصفة عامة إلىٰ تزويد القارئ بالكفايات (المعارف والقيم والمهارات) اللازم توفرها في الداعية المربي. ولأن ممارسة المربي للمهارات الشخصية بشكل صحيح وواعٍ يستلزم الوعي بجوانبها المعرفية والقيمية، فإن الأهداف التفصيلية -المتوقعة بعد قراءة هذا الفصل- تتمثل في توعية الداعية المربي بالكفايات اللازمة؛ والكفايات المهارية منها بصفة خاصة، لتطوير رسالته التي يقوم بها، وذلك من خلال اكتساب ما يلي:

١) مهارات تطوير الذات.

٢) مهارات إدارة الوقت.

٣) مهارات التعلم والتفكير.

٤) مهارات الاتصال الفعال.

٥) مهارات الحوار والإقناع.

٦) مهارات التعامل مع الآخرين.

٧) مهارات تعديل السلوك.

٨) مهارات استخدام وسائل التواصل الاجتماعي في التربية والدعوة.

كما يهدف الفصل إلىٰ نقد الذات في ضوء الأنشطة الآتية:

أنشطة إثرائية للعصف الذهني:

١) هل يمكنك تأصيل الأهداف السابقة في ضوء النصوص الشرعية؟

٢) كيف تخطط لجدول أعمالك وفق أولوياتها؟

٣) تحكم عملية تواصل الداعية مع غيره عدة عناصر: (مرسل/ مستقبل/ رسالة/ تغذية)، فما معايير كل عنصر من هذه العناصر؟

٤) تعد وسائل التواصل الاجتماعي الإلكتروني سلاحًا ذا حدين: وضح المزايا أو العيوب التي قد تجنيها الدعوة من استخدام مثل هذه التقنيات.

٥) كتب عمرو بن عتبة إلىٰ أحد معلمي ولده[١]:

(ليكن أول إصلاحك لولدي إصلاحك لنفسك؛ فإن عيونهم معقودة بعينك؛ فالحسن عندهم ما صنعت، والقبيح عندهم ما تركت، علِّمهم كتاب الله، ولا تُملَّهُم فيه فيكرهوه، ولا تتركهم فيه فيهجروه، رَوِّهِم من الحديث أشرفه، ومن الشعر أعفه، ولا تنقلهم من علم إلىٰ آخر حتىٰ يُحكموه؛ فإن ازدحام الكلام في القلب مشغلة للفهم، وعلِّمهم سنن الحكماء، وجنبهم محادثة النساء، ولا تَتَّكِل علىٰ عذر مني لك، فقد اتكلت علىٰ كفاية منك).

في ضوء هذه الوصية، استخلص ما يلي: منظومة القيم (الأهم فالمهم) التي يجب علىٰ المربي غرسها في نفوس المتربين، أساليب غرس القيم، مناهج تعليم القيم، خطوات تعديل السلوك.

---

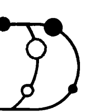
(١) تذكرة الآباء وتسلية الأبناء، (٥٦).

٦) لو اعترضك أحد المستمعين في أثناء إلقاء خطبة أو ندوة أو درس، وخطَّأك فيما تقول، أو أيَّدك فيما تقول، سواء أكان ذلك بأسلوب حسن، أو فظ، فماذا ستفعل في هذه المواقف؟ وما الأسلوب الذي ستتبعه في كل موقف؟

٧) لو أراد منك داعية زميل مساعدته في رصد قائمة بالشواهد القرآنية والنبوية التي تعبر عن كل من القيم: الروحية، العقلية، الخلقية، الاجتماعية، السياسية، الاقتصادية، الجمالية، الصحية،...إلخ، فما أول الشواهد التي ستأتيك مع كل نوع من هذه القيم؟

٨) تنتشر هذه الأيام بين الشباب المسلم الكثير من السلوكيات الخاطئة المنحرفة والبعيدة عما ارتضاه الله لنا في دينه القيم الحنيف؛ مثل: التهاون في أداء العبادات -خاصة الصلاة- عقوق الوالدين، الانتحار، التحرش الجنسي، تعاطي المخدرات والمسكرات، كثرة حوادث الاعتداء، ارتفاع نسب الطلاق، التفحيط بالسيارات، وغير ذلك من السلوكيات غير المسؤولة، حاول عمل ندوة أو لقاء دعوي مع الشباب حول إحدىٰ هذه السلوكيات مبينًا فيها الآتي:

- رصد بعض الأمثلة المؤيدة لهذا السلوك غير المرغوب فيه.
- أكثر تلك المظاهر تأثيرًا في ضعف القيم.
- أسباب انتشار هذا السلوك السيء.
- الآثار المترتبة علىٰ فعل هذا السلوك علىٰ كل من الفرد والمجتمع.
- أنجع الأساليب المناسبة لعلاج هذا السلوك وتعديله.



٩) لو طُلب منك إنشاء صفحة خاصة بك على مواقع التواصل الاجتماعي بهدف الدعوة إلى الله والتربية على القيم، فما الخطة: (الأهداف، المحتوى، البرامج، الأنشطة، القيم، الأساليب، الوسائط، الفئة المستهدفة، المدة الزمنية، التغذية الراجعة) التي ستحددها لتطويع الاستفادة من هذه الصفحة في خدمة الدعوة والتربية؟

●●•●●

تمهيد:

الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ هي رسالة الأنبياء والمرسلين، ومن اتبع سبيلهم، وما قام إصلاح مجتمعي إلا كانت الدعوة طريقه، ولا هلكت أمة في الأرض إلا حين أعرضت عن الدعوة وقصرت في حقها؛ قال تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ١٤]، وقال تعالىٰ: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴾ [هود: ٥٠]، وهكذا مع سائر الأنبياء والمرسلين.

فالدعوة رسالة لها بداية، ولها غاية، وبينهما مراحل ينبغي أن تقطع بأناة وروية حتىٰ يتحقق الهدف المنشود من عمارة الأرض بدين الله الرب المعبود؛ إنها الدعوة إلىٰ التوحيد في شمول وتكامل، ثم التأني في جميع مراحل الدعوة -وإن طال الدرب- حتىٰ تزول غربة الإسلام، وتكبر قاعدته، ويتسع نطاق العاملين للإسلام علىٰ الوجه الصحيح.

وبداية ينبغي التسليم بعدة أمور أو شروط تخص قضية الدعوة، حتىٰ يزول التخبط وتتضح الرؤية وتتحد الرايات حولها:

أول هذه الأمور: هو أن الأمة كلها يقع عليها عبء الدعوة إلىٰ الله؛ فلا ينبغي أن يتخلف أحد من المسلمين عن هذا الميدان، ولا ينبغي أن يزدري المرء نفسه ويظن أنه أقلّ من أن يدعو ويعمل؛ قال الله تعالىٰ: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨]، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية

في مجموع الفتاوىٰ: (والدعوة إلىٰ الله واجبة علىٰ من اتبع الرسول ﷺ -وهم أمته- وقد وصفهم الله بذلك؛ كقوله تعالىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ﴾ إلىٰ قوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[الأعراف: ١٥٧]؛ فهذه في حقه ﷺ، وفي حقهم قوله: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقوله: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾[التوبة: ٧١]؛ ....فجميع الأمة تقوم مقامه في الدعوة....وإذا تنازعوا في شيء ردوه إلىٰ الله ورسوله ﷺ)(١)

وثاني هذه الأمور: أنَّ كل مسلم عليه أن يدعو إلىٰ الله تعالىٰ حسب طاقته وقدرته؛ فليست الدعوة مقتصرة علىٰ اعتلاء المنابر وإلقاء الدروس والمحاضرات، ولكن الأمر أيسر وأوسع إذا تمثل كل مربٍّ وداعية قول النبي شعيب عليه السلام: ﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [هود: ٨٨].

وعلىٰ من أراد أن يقتفي أثر الأنبياء في دعوتهم ويقتدي بسلوكهم أن يراعي عدة أمور؛ أهمها:

الإخلاص: فالدعوة إلىٰ الله عبادة، وتكتسب الأعمال قيمتها في النفس من بواعثها لا من نتائجها، وجزاء المرء في العبادة التي أدّاها لا في النتائج التي أحرزها، ولأن الإخلاص عزيز فيحتاج الداعية دومًا إلىٰ تمحيص النية، ودوام اللجوء إلىٰ الله والاستعانة به علىٰ آفات نفسه.

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٢٠/ ٨).

ومن الأمور التي يجب أن يراعيها أيضًا: أن يكون الكتاب والسنة -بفهم سلف الأمة- هما المرجعية الأساس للداعية المربي؛ حتىٰ لا يقع في درك الشطحات والأقوال الشاذة، التي لم تخرج في الأمة إلا بسبب عدم التقيد بهذا القيد اللازم.

كما أن عليه أن يراعي فقه الواقع وفهمه؛ فالتحديات والتغيرات والمشكلات التي تواجه المجتمع المسلم المعاصر - علىٰ كافة المستويات- لم يُعهد مثلها من قبل، وفي ظل تلك الأجواء فلا بد من وجود الداعية الرباني المربي الذي يفقه الواقع الذي يعيشه، حتىٰ يستطيع تبصير المسلمين بالحقيقة، حتىٰ تعود الأمور إلىٰ نصابها.

وعلىٰ الداعية أيضًا: التزام آداب العمل الجماعي وشروطه؛ فهو ينأىٰ عن الأهواء والخلافات الشخصية، ولا يترتب علىٰ إنكاره لمنكر منكراتٌ أشدّ، ولا تسبب دعوته ضررًا لطرف آخر، فليس في الدعوة تعصب لشخص أو حزب، ولكنها دعوة إلىٰ منهج؛ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية[1]: (فالواجب علىٰ كل مؤمن أن يحب ما أحب الله ورسوله، وأن يبغض ما أبغضه الله ورسوله مما دل عليه في كتابه؛ فلا يجوز لأحد أن يجعل الأصل في الدين لشخص إلا لرسول الله ﷺ، ولا بقول إلا لكتاب الله عز وجل، ومن نصب شخصًا -كائنًا من كان- فوالىٰ وعادىٰ علىٰ موافقته في القول والفعل فهو: ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾[الروم: ٣٢]، وإذا تفقه الرجل وتأدب بطريقة قوم من المؤمنين -مثل اتباع الأئمة والمشايخ- فليس له أن يجعل قدوته وأصحابه هم المعيار؛ فيوالي من وافقهم ويعادي من خالفهم، فينبغي للإنسان أن يعود نفسه التفقه الباطن في قلبه، والعمل به، فهذا زاجر.

---

(١) مجموع الفتاوىٰ، (٢٠/ ٨).

وكمائن القلوب تظهر عند المحن، وليس لأحد أن يدعو إلىٰ مقالة أو يعتقدها لكونها قول أصحابه، ولا يناجز عليها، بل لأجل أنها مما أمر الله به ورسوله؛ أو أخبر الله به ورسوله؛ لكون ذلك طاعة لله ورسوله. وينبغي للداعي أن يقدم فيما استدلوا به من القرآن؛ فإنه نور وهدىٰ؛ ثم يجعل إمام الأئمة رسول الله ﷺ، ثم كلام الأئمة) أ. هـ

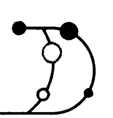
ثم علىٰ الداعية: بذل النصيحة لكل مسلم؛ فهو بهم رفيق، وإن تجاوزوا وتعدوا فلن يُعدم فيهم الخير، فالنصيحة هي عماد الدين وقوامه، وكلما كان النصح في السر دون العلن كان أفضل.

ومن أهم الشروط اللازمة للدعوة إلىٰ الله في هذا العصر: التخصص؛ فتكثيف الجهد في تخصص معين ينبغ فيه الداعية من شأنه أن يتباعد عن السطحيات، ويسد الثغرات؛ فهذا في ميدان الفقه، وآخر في العقيدة، وآخر في السنة، وآخر في علوم القرآن، وهذا في الطب، وآخر في الاقتصاد، وآخر في الهندسة، وهكذا نجد نوعيات مختلفة بثقافات مختلفة يجمعها منهج واحد، أهدافهم واضحة، وأدواتهم راسخة، أصحاب رؤية واقعية، صادقون في دعوتهم، ملتزمون بضوابط المنهج، لهم شخصيات متميزة مستقلة، لا توالي إلا في الله، ولا تعادي إلا في الله، يبذلون جهدهم في نصيحة عباد الله بأفضل وسيلة.

كل هذه الشروط وغيرها يجعلنا نتساءل: إلام ندعو؟ ومن ندعو؟ وكيف ندعو؟ وكيف نطور دعوتنا؟... إلىٰ غير ذلك من التساؤلات التي يسعىٰ هذا الفصل إلىٰ الإجابة عنها تفصيلاً، من خلال مباحثه الخمسة الآتية:

- المبحث الأول: تطوير الذات.
- المبحث الثاني: مهارات الاتصال.
- المبحث الثالث: مهارات التعامل مع الآخرين.
- المبحث الرابع: التربية علىٰ القيم والأخلاق ومهارات تعديل السلوك.
- المبحث الخامس: الكفايات التقنية للداعية المعاصر.





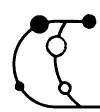
المبحث الأول
تطوير الذات

تعني الذات: قيم الشخص واتجاهاته عن نفسه؛ بما يشمله ذلك من عقل الإنسان وروحه وقلبه وجسده، وتطوير الذات - بناءً على ذلك - منهج يعمل على التنمية واكتساب المعلومات والقيم والمهارات أو السلوكيات التي تعين الإنسان على تحقيق أهدافه وتوطيد علاقته مع الآخرين والتعامل مع أي عائق يمنعه من ذلك، وبذلك فتطوير الذات عملية تغيير النفس الإنسانية إلى نفس أفضل في شتى المجالات؛ حتى يشعر الإنسان بالرضا والسعادة في حياته كلها.

ولقد أكد الإسلام على ذلك مرارًا وتكرارًا؛ حيث حث المسلم دائمًا على إصلاح نفسه وتطهيرها؛ قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٧-١٠]. والداعية المربي يسعى دائمًا إلى الارتقاء بنفسه والتسامي بها إلى أعلى منازلها؛ فالنفس لها ثلاث درجات أو منازل على النحو الآتي:

- **النفس الأمارة**: التي يتحكم فيها الهوى؛ وإن كان هواها في غير ما فيه رضا الله؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ﴾[يوسف: ٥٣].

- **النفس اللوامة**: التي تلوم صاحبها وتحاسبه على ما صدر منه من قبائح وعيوب؛ قال تعالى: ﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾[القيامة: ٢].



- **النفس المطمئنة:** التي اطمأنت إلىٰ وعد الله الذي وعد به أهل الإيمان في الدنيا من الكرامة، وفي الآخرة فصدّقت بذلك؛ قال تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴾[الفجر: ٢٧ - ٢٨].

وتدل نصوص كثيرة علىٰ ضرورة الوصول إلىٰ هذه الدرجة وأهميتها، منها: قول الرسول ﷺ: «**إن الله يحب معالي الأمور وأشرافها، ويكره سفاسفها**»[1].

وحتىٰ يتمكن الفرد من تطوير ذاته، فإنه من الضروري أن يتعرف علىٰ: كيفية اكتشاف ذاته وتفعيلها، تحديد أهدافه، إدارة الوقت، تطوير مهارات التعلم والتفكير. وفيما يلي إلقاء الضوء علىٰ ذلك:

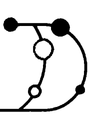
أولا: اكتشاف الذات وتفعيلها:

تتحدث بعض النصوص الإسلامية في القرآن والسنة حول مسائل النهوض بالإنسان وترقية حاله، وتهيئة الأجواء والبيئات التي تعينه علىٰ ذلك؛ مما يدل دلالة واضحة علىٰ أن المنهج الرباني الأقوم -الذي ارتضاه اللطيف الخبير بأحوال خلقه- يستهدف الإنسان علىٰ نحو رئيس، فإذا صلُح: أمكنه أن يُصلح كل ما حوله، وإذا فسد: أفسد كل ما حوله.

وقد انتشر في السنوات الأخيرة وتواتر مفهوم تنمية الموارد البشرية، وتكوين رأس المال البشري، والتنمية التعليمية والعقلية، وغير ذلك من المفاهيم التي تؤكد أن الإنسان هو محور التنمية، وفاعلها، ومنظمها، ومطورها، ومجددها. وهكذا يعد الإنسان -بصفته غاية وهدفًا ووسيلة ونتيجة في ذات الوقت- المعيار الجوهري في

---

(١) أخرجه الطبراني (٣/ ١٣١) (٢٨٩٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٨٩٠).



تقويم الجهود الإنمائية؛ فالتنمية تكون لذات الإنسان، وفي ذاته، ومن أجله، ومن خلاله.

ولعل مكانة الإنسان من التنمية هي التي جعلت البشر من أهم الموارد التي يمتلكها أي مجتمع وأغلاها؛ وذلك إذا أُحسنت تربيتها وتعليمها واكتشاف مكنوناتها، حتىٰ يمكنهم الاضطلاع بمهماتهم المجتمعية، والأخذ بالمبادئ والمقومات المطلوبة للتنمية الشاملة للمجتمع. ويتضح لنا من هذا السياق، أن أمة الإسلام تملك أهم شيئين -إذا أُحسن استثمارهما أصبحا عامل الرجحان والغلبة في موازين التنمية والإصلاح والتغيير العالمي- وهما: (أ) المنهج الرباني، (ب) الثروة البشرية.

فإذا استطاعت التربية الإسلامية أن تُشيع في الأمة ثقافة تنمية الذات وتفعيلها، وشحذ الهمم، وبرمجة الشخصية المسلمة وفق ما أراد الله -سبحانه وتعالىٰ- فإننا نكون قد أوجدنا الأساس الضروري لجعل المسلم دائمًا في الطليعة الخيرة والمنتجة. وبمعنىٰ آخر: إذا تعلّم كل مسلم كيف يتشبث بمبادئه وأصوله وقيمه الإسلامية، وتعلّم كيف يكتشف ذاته، وكيف ينمي إمكاناتها ومهاراتها باستمرار، فإنه بذلك قد استطاع تطويرها وتقديرها؛ لأن أسوأ أحوال الإنسان تظهر عند مقارنته بأحوال السبّاقين من أهل الصلاح والنجاح الذين نخالطهم أو نقرأ عنهم، كما أن أفضل أحوال الإنسان تظهر عند اكتشافه أحواله الخاصة، والوقوف علىٰ إمكاناته الكامنة، وتحديد المشكلات التي يعاني منها، والمصاعب التي تواجهه.

وإن خلاصة القول هي أنَّ: من عرف نفسه عرف ربَّه، وعرف أيضًا كيف يتعامل مع الناس برّهم وفاجرهم، فالسؤال الآن هو: هل تعرف نفسك جيدًا؟ أو هل تستطيع اكتشاف ذاتك حتىٰ تطورها؟ أم أنك تجهل ذاتك؟

إن من أشد أنواع الجهل خطورة: جهل الإنسان بنفسه، أو الجهل بأنه جاهل، أو ادعاء العلم والمعرفة دون أن يمتلكهما؛ لأن مثل ذلك يسبب له الكثير من الارتباك، ويشوه تعامله مع الله جل وعلا، ومع الناس، كما يحرمه من الفرص المتاحة له، ويعرضه للكثير من الأخطار التي تهدده.

وفي سبيل تحديد الإجابة عمَّا سبق، تعرَّف جيدًا علىٰ ما يلي:

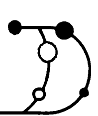
١) ما مؤشرات اكتشاف الذات؟

هل تستطيع كتابة قصة حياتك أو سيرتك الذاتية في ورقة واحدة؟ إذا لم تستطع فأنت لا تعرف ذاتك، وإذا كانت كتابتك مقتضبة جدًا فأنت تعيش علىٰ هامش الحياة، وإذا كانت كتابتك تصوِّر ذاتك بما تحمله من مواهب وقدرات وإمكانات، وكذلك الأسرار، وربما أوجه القصور والعيوب، فإنك حينئذ تستطيع اكتشاف ذاتك، وبالتالي تطوير ما فيها من محاسن ودعمها، وتلافي ما فيها من مساوئ.

ولاكتشاف الذات والتعرف عليها أدوات عديدة؛ ومن ذلك: اختبارات الشخصية، الاختبارات العقلية، مواقف الحياة والتجارب العملية، سؤال الآخرين، التأمل الذاتي في النفس.

وعند الأخذ بهذا الأسلوب، ينبغي علىٰ المرء أن يسأل نفسه دائمًا الأسئلة الآتية كي يكتشف ذاته:

- ماذا كان وضعي في السابق؟ وأين أنا الآن؟ وكيف وصلت إلىٰ ذلك؟
- ما الهدف من حياتي؟ وما طموحاتي؟ وماذا أنجزت من ذلك؟
- لماذا أحب الحياة؟ وما مسؤولياتي فيها؟



- ماذا لديَّ من معارف وقيم ومهارات ومواهب وطاقات؟
- ما ميولي واهتماماتي؟ ماذا أحب؟ وماذا أكره؟
- ما الميزات التي أتمتع بها؟ وما المساوئ التي أتصف بها؟
- ما التحديات والمشكلات التي أواجهها؟ وكيف أتعامل معها؟
- ما الذي يُشغل تفكيري باستمرار؟ وكيف أقضي وقتي في أثناء العمل أو الفراغ؟
- ما مدىٰ ثقتي بنفسي أمام نفسي وأمام الآخرين؟
- ما علاقتي بما يحدث من حولي من تغيرات مجتمعية علىٰ المستويين المحلي والعالمي؟

٢) معوقات اكتشاف الذات وتطويرها:

- عدم وجود أهداف أو خطط.
- التكاسل والتأجيل.
- عدم تنظيم الوقت.
- التعود علىٰ عدم إكمال الأعمال وعدم إنجازها.
- سوء فهم الآخرين، أو سوء الظن بهم.
- عدم الرغبة أساساً في التطوير.
- سرعة اليأس من المحاولة.
- الانطواء علىٰ الذات.
- كثرة الشكوىٰ والاعتراض دون تقديم حلول أو بدائل مناسبة.

٣) مراحل تطوير الذات:

لتطوير الذات ثلاث مراحل أساس، هي:

المرحلة الأولىٰ: تعرَّف علىٰ احتياجاتك وحدد أهدافك:

- اسأل نفسك: ماذا أفعل في هذه الحياة؟

- صنِّف اهتماماتك إلىٰ أبواب؛ مثل: علاقتك بـ(ربك، نفسك، عائلتك، عملك، مجتمعك، أمتك).

- اكتب الأهداف التي تريد أن تحققها في كل مجال لمدة محددة من الزمن، مثل: (في مجال علاقتي بربي أريد أن أحفظ عشرة أجزاء من القرآن خلال سنة من الآن).

المرحلة الثانية: اعرف نفسك:

- تذكَّر كافة النشاطات التي قمت بها في حياتك، بداية من طفولتك حتىٰ الآن.

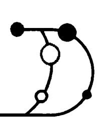
- اكتب هذه النشاطات علىٰ ورقة.

- صف باختصار ما قمت به في كل نشاط.

- استخدم أفعالاً تصف نشاطاتك؛ مثل: (كتبتُ، أنجزتُ، شرحتُ، نظمتُ، ربحتُ).

- اكتشف المهارات التي استخدمتها أو تعلمتها في كل نشاط؛ مثل: (مهارات الاتصال، حل المشكلات، التخطيط).

- صنِّف نفسك في جمل، مثل: (تعلمت النظام من اصطفافي في الصلاة).



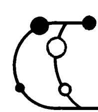
المرحلة الثالثة: قوِّم نفسك (SWOT):

- حدِّد نقاط **القوة** لديك (**Strength**).
- حدِّد نقاط **الضعف** لديك (**Weakness**).
- حدِّد **الفرص** المتاحة لديك والتي تميزك عن غيرك (**Opportunities**).
- حدِّد **التهديدات** التي يمكن أن تعيقك عن تحقيق أهدافك (**Threats**).

٤) ملامح تطوير الذات:

للناجحين القادرين علىٰ تطوير ذواتهم ملامح وعادات يتَّسمون بها، يمكن لكل فرد التحقق من مدىٰ توفرها في ذاته للحكم عليها بالتطوير أم عدمه؛ ومن هذه الملامح والعادات أنهم:

- لا يتورطون أبدًا في عادات رتيبة ضارة بهم.
- لديهم أهداف واضحة ومحددة.
- يرحبون بالنقد البناء والنصائح المفيدة.
- لا يهدرون الكثير من الوقت أو الجهد في معارك مع خصومهم.
- يسعدون بالاعتراف بأي نقص أو عيب.
- لديهم القدرة علىٰ الإصلاح الذاتي وتحسين سلوكهم وأدائهم باستمرار.
- لا يزعجهم نجاح الآخرين أو سعادتهم.
- يظهرون الود والثقة تجاه الآخرين مهما اختلفوا معهم.
- يقومون بالأعمال التي لا يحبونها أولاً.



- لديهم القدرة على تقدير الذات وضبط السلوك في الأزمات والمواقف المحرجة.

- يحبون العمل مع الآخرين، وفي كل مجالات الحياة، تبعًا لقدراتهم.

٥) عوامل تسهم في تنمية الذات وتفعيلها:

- التعامل مع القيم والمبادئ والاقتناعات الكبرى بحذر وأناة وروية؛ فليست القيم ثيابًا نلبسها ونخلعها متى شئنا.

- الرقي الحقيقي ليس الرقي في العمران، وإنما هو الرقي الروحي الأخلاقي الذي ينبع من الإحساس بحلاوة التقرب إلى الله تعالى، ومن نشوة الانتصار على الأهواء والمغريات والشهوات والمصالح الذاتية.

- تزكية أحوال القلب والروح؛ فعلى المربي: إخلاص النية لله تعالى، وحب الله تعالى، والأنس به، والشوق إلى ذكره ومناجاته، والتفكر في نِعَم الله تعالى وآلائه وفضله وعظمته، والرضا بما يقضيه الله تعالى، وحمده على ما جرت به المقادير.

- تنمية الأحاسيس والمشاعر الحسنة والبناءة؛ وذلك من خلال التفاؤل برؤية الجوانب المشرقة في حياتنا، وعدم الاستغراق في الندم والتحسر على ما فات.

- عدم التكاسل في العمل الصالح؛ لأن العمل هو البرهان الحقيقي على صدق الإيمان وحيويته.

- تعلُّمُ كيفية التخلص من العادات السيئة، وإحلال العادات الحسنة محلها للارتقاء بالنفس، وهذا التغيير بلا شك ليس سهلاً على النفس بل ينطوي على قدر من المشقة. ومثال ذلك: المسلم الذي يذهب كثيرًا للصلاة في المسجد متأخرًا، أو

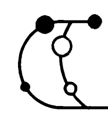
عند سماع الإقامة للصلاة، فهل يستطيع التغلب علىٰ ذلك بالمحافظة علىٰ صلاة الجماعة بالذهاب إلىٰ المسجد عند الأذان علىٰ أن يدرك الصلاة من بدايتها وفي الصف الأول؟ وهكذا مع باقي أمور العبادة والحياة.

- الاستعانة علىٰ الكلام بالصمت، وعلىٰ الاستنباط بالفكر.

- حُب القراءة والعلم والمعرفة؛ فسلطان العلم هو الذي يُمكِّن الإنسان من اكتشاف المنهج الأكثر ملاءمة لحل مشكلاته والنهوض به وتقدمه، ومع أهمية ذلك فعلىٰ المرء أن يعتقد أنه ليس المقصود من العلم حمله وحفظه وتخزينه وسرده وعرضه (مثل الحاسب الآلي)، بل المطلوب هو التعامل مع المعلومات المكتسبة في هيئة: منهج، ونظام، ونماذج إرشادية، وعلاقات ارتباطية، وتوجهات ومبادئ وحقائق أساس.

- البحث عن الطرق الجديدة لاكتساب المعارف وتوظيفها في تحقيق النهضة والتنمية الشاملة.

- السعي إلىٰ استيضاح الرؤية المستقبلية عن طريق تخطيط المناشط والأعمال والعلاقات المختلفة.



ثانيًا: وضوح الأهداف وتحديدها:

إن التعريف الواضح والمحدد للأهداف هو المطلب الأساس الأول من أجل التنفيذ الناجح لأي مشروع أو برنامج تربوي من ناحية، ومن ناحية أخرىٰ تثير الأهداف الواضحة والمحددة من وجهة نظر العلاقات الإنسانية دافعية المسؤولين عن تحقيقها، وتسهل المشاركة والتنسيق فيما بينهم.

ولكن قد تجد أناسًا يمارسون العمل الدعوي دون منهج وغاية؛ فتجدهم يهتفون بالشعارات، ويتشدقون بالعبارات الإنشائية، ولا يمارسون ما يقولون، وربما يكون لدىٰ أحدهم رؤية ويسعىٰ لتحقيق أهداف كبرىٰ تحتاج إلىٰ وقت ليس بالقصير، ولكن مع غياب المنهج والغاية، ومع مرور الوقت يتسلل إلىٰ النفوس الشعور بالفشل والإحباط.

لذا، فإن السبيل الصحيح للداعية المربي هو وضوح أهدافه وتحديدها، وحتىٰ لا يتعثر المسلم في طريق دعوته عليه كتابة أهدافه وتحديدها علىٰ النحو الآتي:

١) تحديد الأهداف الكلية والجزئية:

فإذا كان الداعية يحلم بإصلاح المجتمع، فهو حينئذ يحدد هذه الغاية الكبرىٰ لتكون نصب الأعين، ثم يحدد أهدافًا جزئية يسعىٰ كل منَّا لتحقيقها، وقد يكون هذا الهدف الجزئي دعوة الزوجة أو الزوج، دعوة الأب أو الأم، دعوة الأخ أو الأخت، دعوة الصديق أو الجار، دعوة زملاء العمل أو رفقاء السفر. لكن يتبقىٰ سؤال مهم في هذا الصدد ألا وهو: إلام ندعو؟ ما الغاية الكبرىٰ والأهداف الخاصة أو الجزئية التي ندعو إليها؟

يقول الأصوليون: إن المقاصد العامة للشريعة الإسلامية خمسة؛ هي: حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ العِرض، وحفظ العقل، وحفظ المال، وأن ثمة مقاصد جزئية يتحقق بها المقصد الكلي، ومن ثم، فإذا كان الهدف الأم هو نشر دين الله تعالىٰ في شتىٰ بقاع الأرض، فإن هذا لا يتحقق إلا بثلاثة أهداف فرعية هي:

أ -التوحيد أولاً:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (كان المقصود بالدعوة: وصول العباد إلىٰ ما خُلقوا له من عبادة ربهم وحده لا شريك له. والعبادة أصلها عبادة القلب المستتبع للجوارح؛ فإن القلب هو الملك والأعضاء جنوده، وهو المضغة التي إذا صلحت صلح لها سائر الجسد، وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد - وإنما ذلك بعلمه وحاله - كان هذا الأصل الذي هو عبادة الله بمعرفته ومحبته هو أصل الدعوة في القرآن؛ قال تعالىٰ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦])[1]

ب -اتباع النبي محمد ﷺ وصحبه رضوان الله تعالىٰ عليهم:

وهنا تأتي قضية الالتزام بسنة النبي محمد ﷺ، ومحاربة البدع، ومحاربة التيارات الإلحادية التي تسعىٰ من حين لآخر للنَّيْل من السنة، وينبغي أن تشهد الساحة الدعوية مزيدًا من التكثيف لنشر السنة، والتزام هدي السلف الصالح؛ لأنها بمنزلة التطبيق العملي الذي يشكل النموذج القدوة الذي يضعه الناس في كل زمان أمامهم ليرشد مسيرتهم ويهدي خطاهم.

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٢/ ٦).

ج -تزكية النفوس:

من الأهداف التي تحتاج إلىٰ مزيد عناية من الدعاة قضية: تزكية النفوس؛ فلا يكفي مطلقًا تركيز الدعاة علىٰ المادة العلمية الشرعية، أو بعض المواعظ، مع الابتعاد عن الجانب الأخلاقي السلوكي النفسي؛ فما أكثر العلماء والدعاة في الأمة الذين خرَّجوا جيلاً من المتعالمين ومن أنصاف طلبة العلم، لكن السؤال الأهم هو: أين العلماء والدعاة المربون؟

فهذه هي الدعوة التي جاء النبي محمد ﷺ بها: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الجمعة: ٢]، فكل مقصد من هذه المقاصد التي ذكرتها الآية له وسائله، وينبغي السعي في إيجاد هذه الوسائل لتتحقق الأهداف.

٢) تحديد مَنْ ندعوه إلى الله:

الناس أصناف عدة فمنهم:

- الغافل الذي يحتاج إلىٰ الموعظة.
- والجاهل الأمي الجافي.
- والمكابر المغرور المجادل.

وكل صنف من هذه الأصناف الثلاثة يحتاج إلىٰ فقه عالٍ في التعامل معه، ولهذا كان من شرط الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر: أن يكون حكيمًا فيما يأمر وفيما ينهىٰ؛ إذ إن الحكمة هي وضع الأمور في نصابها. كذلك ينبغي أن يراعي الداعية المربي فقه الحال والتبصر بواقع الأمور.

٣) البدء بالأهم فالمهم:

في صحيح البخاري عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه إلىٰ اليمن: «**إنك ستأتي قومًا أهل كتاب، فإذا جئتهم، فادعهم إلىٰ أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فتُرَدُّ علىٰ فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فإياك وكرائم أموالهم، واتّقِ دعوة المظلوم؛ فإنه ليس بينه وبين الله حجاب**»(١)

فالنبي ﷺ يعلم معاذًا -رسوله وداعيته إلىٰ اليمن- أن يتدرج معهم، وهذا ما يسمىٰ بفقه الأولويات؛ بأن نقدم الواجبات الأولىٰ فالأولىٰ، ونراعي أن نقدم الفرض علىٰ المندوب، والنهي عن المحرمات قبل المكروهات. والتدرج لا يعني بحال تقسيم الدين إلىٰ قشور ولباب كما قد يفهم البعض، بل دين الله تعالىٰ كله واحد. ولكي يصل الداعية إلىٰ هذا ينبغي أن يكون فقيهًا فيما يأمر وفيما ينهىٰ، يعرف كيف يبدأ بما يناسب الناس، فيراعي أخلاقياتهم وأعمارهم وأوقاتهم وأعمالهم.

٤) تطوير طرق الدعوة:

لا بد من مراعاة الطرق المعروفة مع أهل الزمان حتىٰ تكون أكثر وقعًا وتأثيرًا في النفوس والقلوب؛ فلا مانع من استخدام الدعابة المهذبة الجميلة، لكن دون إفراط يذهب بوقار العلم، ولا مانع من استخدام الأسلوب القصصي في عصر أدمن فيه الناس

---

(١) البخاري (١٤٩٦).

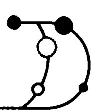
مشاهدة الأفلام، فلماذا لا نقدم لهؤلاء القصص القرآني والنبوي بأسلوب شيق ونستخرج منها الفوائد ليتعلم الناس أمر رشد لا ضلال فيه؟

وينبغي أن نستخدم كل وسيلة شرعية ممكنة من: الكتب، والرسائل، ووسائل التواصل الاجتماعي الإلكتروني، ووسائل الإيضاح من لافتات ونحوها، لكن لا يجوز بحال أن نستخدم وسائل غير شرعية؛ كالغناء والموسيقى، والاختلاط؛ فليس المقصود هو التجميع فحسب، فنتنازل عن أمور شرعية من أجل أهواء الناس وإرضاءً لهم.

٥) التعرف على مواصفات الهدف الفعال:

بعد أن تحدد هدف رسالتك، يتبقى لك أن تعرف مواصفات صياغة الهدف الفعال وكيفيته؛ وهي:

- أن يكون الهدف واضحًا غير مبهم.
- أن يكون حقيقيًا غير متوهم ولا زائف.
- أن يُقاس أو يسهل قياسه.
- أن يمثل تحديًا يمكن تحقيقه.
- أن يرتبط ببرنامج زمني محدد.
- أن يرتبط الهدف بموضوع واحد.
- أن يرتبط الهدف بنتيجة وليس بنشاط وقتي.
- أن يكون الهدف مشروعًا غير ممنوع.



ثالثًا: مهارات إدارة الوقت:

يقصد بإدارة الوقت: الطرق والوسائل التي تعين المرء علىٰ الإفادة القصوىٰ من وقته في تحقيق أهدافه، وخلق التوازن في حياته ما بين الواجبات والرغبات والأهداف؛ فإدارة الوقت إدارة للذات، وإذا لم نُحسن إدارته فإننا لن نُحسن إدارة أي شيء، ولعل عدم إدارة الوقت جهلاً أو عمدًا هو أحد أسباب التأخر والتخلف؛ لأن قضية التنمية هي في الواقع قضية استثمار للإمكانات والأوقات، وما أعظم الإسلام الذي ربط كل العبادات فيه بالوقت، بل إن المولىٰ جل في علاه أقسم كثيرًا بالوقت في غير ما موضع، إلىٰ غير ذلك من أمور عديدة تبرز قيمة الوقت في حياة الإنسان، ومسؤوليته عن فراغه، ويكفينا في ذلك قول الله عز وجل: ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴾ [الشرح: ٧].

والمسؤولية علىٰ الداعية المربي أجلُّ، ومن ثم كان التعرف علىٰ مهارات إدارة الوقت لزامًا لكل باحث عن تطوير الذات وتحقيق الأهداف والغايات التي من أجلها خُلق. وتتمثل مهارات الوقت في: التنظيم، تحديد الأهداف، التخطيط، تحديد الأولويات، المتابعة، الاستعانة بالوسائل المساعدة في إدارة الوقت. وفيما يلي توضيح تلك المهارات:

١- تنظيم الوقت: إذ إن له أثرًا كبيرًا في توسيع الوقت لأداء المهام بصورة كاملة، والتنظيم يتطلب تحليلاً مسبقًا لكيفية قضاء الداعية لوقته، ومن ثم التخطيط لبرنامجه اليومي أو الأسبوعي، بشرط الالتزام الجيد بهذا التخطيط.

٢- تحديد الأهداف: فكثيرًا ما يستهلك الإنسان وقته في غير أهدافه؛ وذلك لأنه غير واضح في تحديد الأهداف، فإذا وضع الإنسان أهدافه المستقبلية والآنية، ووضع

خططًا لهذه الأهداف المناسبة، مع تحديده وتخطيطه لوقته اليومي؛ فإنه يستطيع أن يحتوي الكثير مما يتلف من وقته ويضيع.

٣-**الوقت سيضيع من غير تخطيط واضح،** وسوف يجد المرء نفسه منجذبًا نحو عمل الأشياء السهلة. لذا كان لا بد من الالتزام بأهداف سنوية للتطوير الشخصي، والأهداف السنوية تقسم إلىٰ أهداف شهرية وأسبوعية. ومن المفيد هنا أن يخصص المرء عشرين دقيقة في مطلع كل أسبوع، وخمس دقائق في مطلع كل يوم لكتابة قائمة بالأعمال التي سينجزها، والعمل الذي لا يتمكن أحدنا من إنجازه يبقيه في القائمة؛ ليضاف إلىٰ قائمة أعمال اليوم التالي.

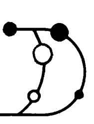
٤ - **تحديد الأولويات ومعرفة الأهم من المهم في حياتنا؛** إذ إن الهامشيات والجانبيات تلتهم الكثير من الوقت وتضيعه، فعندما نحدد الأولويات ونلتزم بالأهم ونترك المهم جانبًا فإن هذا يوفر الكثير من الوقت، فمن اشتغل بغير المهم ضيّع الأهم.

٥- **كثيراً ما يذهب الوقت في تجزئة العمل وتشتيته؛** فكثير من الناس يبدؤون عملاً ثم يقفزون إلىٰ غيره قبل إتمامه، ثم يعودون للأول وهكذا، ولذا فإن النصيحة هنا أن يحاول الواحد منا ألا يركز اهتمامه في أكثر من عمل في وقت واحد، وإذا بدأ في عمل، فلا يتركه حتىٰ ينهيه. وهذا في الحقيقة يحتاج إلىٰ الصبر والعزيمة والمثابرة.

٦- **أما الوسائل المساعدة في إدارة الوقت فتنقسم إلى قسمين:**

أ - الوسائل التقنية:

مثل الحاسبات الآلية،الهاتف الجوال، آلات تصوير المستندات، أجهزة الفاكس والماسح الضوئي، الانترنت والبريد الإلكتروني، المفكرة الإلكترونية؛ فكل جهاز من



هذه الأجهزة إن أُحسن استخدامه فإنه يفيد ويضبط عملية إدارة الوقت، وآلة تصوير المستندات توفر تكرار الطبع والجهد الكتابي أثناء توزيع القرارات المهمة، وكذلك الإنترنت والبريد الإلكتروني فإنه يساعد علىٰ تقريب المسافات وبالتالي تقليص الوقت، كما يتسم الحاسب الآلي بإمكانية القيام بعدة أعمال بشكل سريع ودقيق أكثر مما يقوم به الشخص العادي. فوسائل الاتصالات هذه سلاح ذو حدين؛ فهي قد توفر الكثير من الوقت والجهد، وقد تكون عائقًا لإدارة الوقت؛ كالاتصالات الكثيرة غير الضرورية.

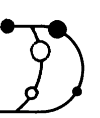
ب-الوسائل الشخصية:

مثل: الاعتماد علىٰ شخص آخر أو تفويضه في تنفيذ بعض المهام، وإعداد مفكرة مكتبية يومية أو أسبوعية، الذاكرة الشخصية، حجب المكالمات الهاتفية غير الضرورية.

ومما لا شك فيه أنك إذا اتبعت هذه المهارات، فإنك ستجني فوائد عديدة، أهمها: الشعور بالتحسن بشكل عام في حياتك، قضاء وقت أكبر في التطوير الذاتي، إنجاز أهدافك وأحلامك الشخصية، تحسين إنتاجيتك بشكل عام، التخفيف من الضغوط -سواء في العمل أو ضغوط الحياة المختلفة أو الضغوط النفسية- قضاء وقت أكبر مع العائلة أو في الترفيه والراحة.

ولنختم هذه الفوائد بمثال يسير يوضح أهمية إدارة الوقت؛ فلو قلنا مثلاً أنك تقضي عشر دقائق في طريقك من البيت إلىٰ العمل، ومثلها من العمل إلىٰ البيت، أي أنك تقضي عشرين دقيقة يوميًا في التنقل بين البيت والعمل، ولنفرض أن عدد أيام العمل في الأسبوع خمسة أيام؛ أي ٨٨ ساعة تقريبًا في السنة الواحدة، فماذا نحن قائلون عن هذا الوقت الذي نظنه ضائعًا أو مهدرًا؟! لذا:

- فكر في أهدافك، وانظر في رسالتك في هذه الحياة.
- حدد الأهداف التي تريد تحقيقها، ثم رتبها حسب أهميتها ومواعيد إنجازها.
- ضع قائمة يومية بالمهام التي تريد إنجازها لتحقيق الأهداف.
- رتب هذه المهام حسب درجة أهميتها واستعجالها.
- حدد الوقت اللازم لأداء هذه المهام بكفاءة وبدون توتر.
- بعد الانتهاء من الخطة توقع أنك ستحتاج إلىٰ إدخال تعديلات كثيرة عليها، لا تقلق ولا ترمِ بالخطة؛ فذلك شيء طبعي.
- الفشل أو الإخفاق شيء طبعي في حياتنا، لا تيأس، وكما قيل: أتعلم من أخطائي أكثر مما أتعلم من نجاحي.
- اعلم أن النجاح ليس بمقدار الأعمال التي تنجزها، بل هو بمدىٰ تأثير هذه الأعمال بشكل نافع ومفيد علىٰ المحيطين بك.
- نفذ، وهنا حاول أن تلتزم بما وضعت من أهداف في أسبوعك، وكن مرنًا أثناء التنفيذ؛ فقد تجد فرصًا لم تخطر ببالك أثناء التخطيط، فاستثمرها ولا تخشَ من أن جدولك لم ينفذ بشكل كامل.
- حاول أن تستمتع بكل عمل تقوم به.
- تفاءل وكن مبادرًا.



رابعاً: مهارات التعلم والتفكير:

بالإضافة إلىٰ الاهتمام بتنمية الإنسان: جسدًا وروحًا وقلبًا، تسعىٰ التربية أيضًا إلىٰ ترقية عقله عن طريق إكسابه المعلومات والخبرات والمهارات اللازمة للتفاعل مع الكون المحيط. وحين استخلف الله الإنسان في الأرض، فقد سخر كل ما في الكون لخدمته، وزوده بأدوات العلم والتعلم، وأرسل إليه الرسل ليبين له طريق الهداية من الضلال، وأنزل مع الرسل الكتب التي تعلمه عالم الغيب الذي لا يستطيع إدراكه بعقله، وتوضح له عالم الشهادة من خلال إعمال العقل بالاعتبار والتأمل والتفكير، لذا، فإن العالم الداعية المربي في أمس الحاجة إلىٰ تطوير مهارات التعلم والتفكير في ذاته حتىٰ يستطيع القيام بما استخلفه الله فيه.

وفيما يلي بعض القواعد والمهارات الأساس الخاصة بالتعلم والتفكير -في جوانبها الثلاثة (معرفية، أدائية مهارية، وجدانية) - والتي يتوقف نجاح المربي علىٰ توافرها لديه:

١) قواعد التعلم والتفكير:

١. تقديم النص علىٰ العقل؛ وقد أوضح القرآن الكريم أن سبب طرد إبليس من رحمة الله أنه قدم العقل علىٰ الوحي عندما قال: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾[الأعراف: ١٢].

٢. فهم القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة بفهم السلف الصالح.

٣. التكامل بين الوحي والعقل، وعدم ضرب أحدهما بالآخر؛ فحين انفصل العقل عن الوحي جنح العقل إلىٰ الاستبصار بالسحر، وقراءة الكف، والتنجيم، والطالع، وضرب الحصىٰ، واللجوء إلىٰ السحرة والعرافين والمشعوذين والدجالين، وعاد العقل

إلىٰ الفلسفة العقيمة، وانحط إلىٰ الأساطير، وحين طرح العقل منفصلاً عن الوحي كانت الحلول والتنبؤات لمشكلات العصر ذات نتائج خاطئة وآثار مدمرة، وتداعت مساوئ العلم المجرد من الإيمان، فشقي الإنسان بالعلم وانتهت الحضارة إلىٰ السقوط.

٤ . النهي عن اتباع الظن الكاذب المذموم الذي لا أمارة عليه؛ قال تعالىٰ: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [النجم: ٢٨].

٥ . البعد عن كل ما يفسد العقل إفسادًا ماديًا (كالمسكرات)، أو إفسادًا معنويًا (كالتعصب الأعمىٰ والتقليد البليد واتباع الهوىٰ).

٦ . الابتعاد عن الكبر (إعجاب المرء بنفسه واستكباره)، وبطر الحق (عدم قبوله)؛ قال تعالىٰ: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٧ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٨ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [الجاثية: ٧-٩].

٢) مهارات التعلم والتفكير:

١ . مهارة القدرة علىٰ التفكير والعمل المستقل.

٢ . مهارة القراءة الذاتية المعتمدة علىٰ الاستيعاب.

٣ . مهارة القراءة الصامتة السريعة.

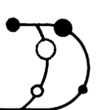
٤ . مهارة استخلاص المعنىٰ من المقروء، واستنباط أهم الأفكار وتلخيصها.

٥ . مهارة فهم المعلومات.

٦ . مهارة القدرة علىٰ اتخاذ القرارات المتعلقة بالعمل.

٧ . مهارة تحصيل المعرفة من مصادرها المختلفة.

٨ . مهارة التفاعل مع المعلومات المحصلة والمجموعة.



٩. مهارة الملاحظة وتسجيلها.

١٠ مهارة الاقتباس.

١١ مهارة الشرح.

١٢ مهارة الاختصار.

١٣ مهارة استخلاص النتائج.

١٤ مهارة تحقيق الذات والثقة بالنفس.

١٥ مهارة ممارسة التقويم الذاتي.

١٦ مهارة تحديد المشكلات والصعوبات في المواقف التربوية.

١٧ مهارة البحث عن إجابات للأسئلة دون مساعدة.

١٨ مهارة التخطيط للعمل.

١٩ مهارة مشاركة المعلومات.

٢٠. مهارة التعامل مع الآخرين.

٢١. مهارة التوافق مع المواقف الجديدة.

٢٢. مهارة تقبل أفكار الآخرين.

٢٣. مهارة تأكيد الذات مع المجموعة.

٢٤. مهارة التعلم من خلال الإنصات أو الإصغاء.

وفيما يلي تفصيل لبعض هذه المهارات:

١ - مهارة التفسير: لا ينبغي أن يقف المربي عند مجرد الوصف؛ بل يجب أن يتعدىٰ ذلك إلىٰ التفسير، فإذا كان الوصف يجيب عن سؤال: ماذا هناك؟ فإن التفسير يجيب عن سؤال: كيف يحدث؟ أو: لماذا يحدث علىٰ هذا النحو؟ أي أن مهارة التفسير تتخطىٰ مجرد وصف لظاهرة ما إلىٰ البحث عن الأسباب التي تؤدي إلي وقوعها؛ فهي تمثل مسعىٰ عقليًا نحو فهم الظاهرة، ويحصل ذلك من خلال ربط الحقائق والمعلومات وتنظيمها، ثم محاولة فرض تنظيم عقلي لها يفسر العلاقات بينها، هذا التنظيم العقلي الذي يحصل خلال التفسير يرتقي ويحول الملحوظات والبيانات المفككة إلىٰ صور عقلية تسمىٰ التعميمات. وبهذا، فإن التفسير يشير إلىٰ مضمونين: الأول: يتمثل في قدرة الفرد علىٰ استخدام معرفته السابقة لإضفاء معنىٰ أو مغزىٰ علىٰ تلك المعرفة، الثاني: يتمثل في قدرة الفرد علىٰ التعليل؛ مثل التوصل إلىٰ أسباب وقوع الأحداث والظواهر. وعليه ينبغي أن يقوم الداعية المربي بما يلي:

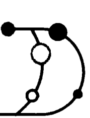
أ- معرفة ما يتضمنه الموضوع من معلومات وأفكار.

ب- الربط بين علاقات المعلومات والأفكار بعضها ببعض.

ج- شرح هذه العلاقات في شكل ذي معنىٰ يفسر الموضوع ويدلل علىٰ الفهم.

٢- مهارة الاستنتاج: الاستنتاج هو عملية تفكير منطقية تعني التحرك من المبادئ العامة (المقدمات) إلىٰ الحالات الخاصة (النتائج)، فالاستنتاج مهارة عقلية يستخدم المربي فيها مجموعة من المقدمات المعطاة له للتوصل إلىٰ نتيجة منطقية صحيحة.

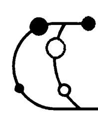
٣ - مهارة الاستدلال: يطلق الاستدلال علىٰ امتدادات الملحوظات وتفسيرها، بمعنىٰ أن الملحوظة الدقيقة تسمح للفرد بجمع ذخيرة كبيرة من البيانات والمعلومات بهدف الوصول إلىٰ حلول تقاربية، والاستدلال نوعان:



أ- استدلال استنباطي: ويقصد به الوصول من العام إلىٰ الخاص أي استخدام الكليات للوصول إلىٰ الجزئيات.

ب- استدلال استقرائي: ويقصد به الوصول من الخاص إلىٰ العام في صورة اكتشاف القاعدة أو المبدأ في مادة معينة.



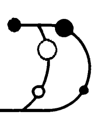


المبحث الثاني
مهارات الاتصال

الاتصال عملية ضرورية ولازمة في حياتنا اليومية، وعليها نبني الكثير من قراراتنا؛ لذا كان لزامًا على كل داعيةٍ ومربٍ التعرف على: مكونات الاتصال، وأصوله، ومعوقاته، ومهاراته؛ حتى يطور ذاته وينمي نفسه؛ كي يحقق الهدف من رسالته أو مهنته. وإذا كان الاتصال يهدف في الأساس إلى نقل الأفكار أو المعاني أو المعلومات -عبر وسيلة أو بطريقة ما- إلى طرف آخر، على النحو الذي أراده الطرف الأول؛ فقد أكد القرآن الكريم على ضرورة الاهتمام بالكلام الذين تفوه به لخطورة آثاره؛ حيث يقول المولى عز وجل: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق: ١٨]، وكذلك أكد على أهمية الاستماع الجيد للقول؛ حيث قال: ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [الزمر: ١٨]. وفيما يلي تناول ذلك بالتفصيل:

١) أهمية الاتصال:

- يسهم الاتصال الجيد في إزالة اللبس وسوء الفهم، ويقلل المشكلات والخلافات.
- نجاح الإنسان في عمله مرهون بقدرته على الاتصال الفعال.
- يعمل الاتصال على تهيئة بيئة محفزة للنجاح في المؤسسة التربوية.
- الاتصال وسيلة لتحفيز العاملين للقيام بالمهمات المطلوبة منهم.



- نجاح الإنسان في عمله يعتمد بنسبة ٨٥٪ على براعة الاتصال، و١٥٪ على مهاراته المهنية.

- الاتصال وسيلة هادفة لضمان التفاعل، وتقوية العلاقات، وبناء الثقة، والتعاون والتبادل المشترك.

- يعمل الاتصال الجيد على إنجاز الخطط في مواعيدها.

- يؤدي الاتصال الجيد إلى توفير الوقت والجهد.

- يعد الاتصال الجيد أساسًا للعمل الجماعي الجيد.

- يُظهر الاتصال الجيد تقديرنا للآخرين، واحترامنا لوجهات نظرهم.

- يحقق الاتصال الجيد مبادئ الحوار المثمر.

- يسهم الاتصال الجيد في توفير معلومات دقيقة عن الموقف، وفي تفهم نواحي الموضوع، وإدراك متطلبات التعامل معه.

٢) عناصر الاتصال:

للاتصال ثمانية عناصر؛ هي:

١. **الهدف**: ويقصد به الغرض من الاتصال أو الغرض من نقل الرسالة للمستقبل، ويجب أن يكون الهدف واضحًا ومصاغًا بأسلوب يجعل المرسل يوفر كافة الوسائل لتحقيقه.

٢. **المرسل**: هو الشخص الذي يحدد الهدف من الاتصال، وله حاجة للاتصال من أجل التأثير على الآخرين.

٣. **المستقبل**: هو الشخص الذي يستقبل الرسالة من المرسل.

٤. **الرسالة:** هي الناتج المادي والفعلي للمرسل.

٥. **قناة الاتصال:** هي حلقة الوصل بين المرسل والمستقبل، والتي ترسل عبرها الرسالة.

٦. **التغذية الراجعة:** هي المعلومات الراجعة من المستقبل، والتي تسمح للمرسل بتكوين حكم نوعي حول فاعلية الاتصال.

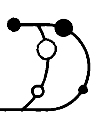
٧. **الاستجابة:** هي ما يقرر أن يفعله المستقبل تجاه الرسالة إما رديئًا كتجاهل الرسالة، أو حسنًا بالتفاعل معها وتكوين موقف حسن منها.

٨. **بيئة الاتصال:** وهي الوسط الذي يحدث فيه الاتصال بكل عناصره المختلفة.

وتأسيسًا علىٰ ما ذُكر، فالدعوة إلىٰ الله عز وجل من وجهة النظر الحديثة هي عملية اتصال تحصل بين طرفين هما: الداعية والمتلقون. ومما تتفرد به عملية الاتصال الدعوي أنها عملية دائرية؛ أي ليست في اتجاه واحد؛ فالداعية وجمهور المتلقين يتبادلان المواقع؛ فيصبح الداعية مرسلاً ومستقبلاً في وقت واحد، وكذلك جمهور المتلقين، ويستثنىٰ من ذلك حالة واحدة هي حالة خطبة الجمعة؛ فالداعية فيها يمثل موقف المرسل، والجمهور يمثل موقف المستقبل.

ولكي يضمن الداعية استجابة الجمهور لرسالته عليه مراعاة ما يلي:

- ينبغي أن تصمم الرسالة بحيث تحتوي علىٰ مثيرات تجذب انتباه المستقبل، وتضمن استمرار تشوقه لمتابعة الرسالة، وهذا الأمر يتحقق باستخدام عدة أمور، من أهمها: الأسلوب القصصي. ولا شك في أن إقبال الناس علىٰ القصص وتعلقهم بأحداثها يعمق مضامينها في نفوسهم، ويمكنهم من الاستيعاب الجيد، والتأثر بالأحداث.



- مدىٰ حاجة المستقبل إلىٰ رسالتك.
- اختيار الظرف المناسب لاستقبال الرسالة: زمانًا ومكانًا ووقتًا وحالاً.
- أن يصوغ المرسل رسالته صياغة تناسب المستقبل.
- أن تثير الرسالة في المستقبل شعوره بحاجته إلىٰ توضيح الرسالة.
- معرفة حاجات من توجه إليهم الرسالة واهتماماتهم.

٣) طرق الاتصال وأنواعه:

الاتصال أربعة أنواع: شفهي، ومكتوب، وحركي، ورمزي:

أ- الاتصال الشفهي أو اللفظي: هو ذلك الاتصال الذي يستخدم الألفاظ المنطوقة المشتملة علىٰ كلمات أو جُمل أو عبارات دالة علىٰ معنىٰ مفيد.

ب- الاتصال الكتابي: يتمثل في التقارير التي تستهدف كتابة الأفكار والمعلومات باستخدام الكلمات أو الرموز، وتوزيعها للعاملين في المؤسسة، سواء أكان ذلك مناولة باليد، أو البريد، أو عن طريق التقنيات الحديثة.

ج- الاتصال الحركي: وهو الاتصال الذي لا يستخدم الكلمات للدلالة علىٰ المعاني، بل يستخدم الإشارات وتعابير الوجه وحركات الجسد، مثل: تعبيرات الوجه، حركة العينين والحاجبين: اتجاه النظر وطريقته، وضع اليدين والكفين وحركتهما، وضع الرأس وحركته، وضع الأرجل وحركتها، وضع الشفاه والفم واللسان وحركتهما، وضع الجسم...إلخ.

د- الاتصال الرمزي: وهو ما يؤثر علىٰ توصيل القيم والأحاسيس للمتلقي، مثل: اللحية، الشارب، الحلاقة، تسريحة الشعر، الوشم والرسومات، الجواهر والحلي،

نوع الملابس وألوانها، نوع السيارة وطرازها، نوع المنزل وموقعه، المقتنيات؛ كالجوال واللابتوب وأجهزة العرض، مكان الجلوس، المسافة بينك وبين الآخرين،...إلخ.

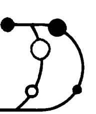
٤) قواعد الاتصال الفعال:

لكي تكون عملية الاتصال جيدة ينبغي أن تتسم عناصرها بصفاتها المطلوبة:

أ- **فالمرسل:** يجب أن يتصف مثلاً بالآتي: التعبير عن الأهداف بدقة، اختيار أسلوب العرض المناسب، التحضير الجيد والإلمام بالموضوع والتمكن من المادة العلمية، سهولة اللغة ووضوحها، تنظيم الأفكار بوضوح وبشكل مثير، استخدم حقائق وأدلة كافية، الانتباه إلىٰ ردود الفعل وملاحظة ما يطرأ علىٰ المستقبل من تغيرات، إظهار الاهتمام بالمستقبل وتشجيعه وإيجاد الثقة بالنفس، يأخذ في اعتباره تحيزات المستقبل واتجاهاته ومدىٰ قدرته علىٰ الفهم، مراعاة الفروق الفردية بين الأفراد ومخاطبتهم علىٰ قدر عقولهم، التفاعل في عرض الموضوع. ومن السمات التي ينبغي كذلك اتصاف المرسل بها: تقبل آراء الآخرين، الثقة في النفس، تقمص المواقع والمهمات بصورة جيدة، رحابة الصدر، الواقعية، الإبداع والابتكار، التلقائية.

ب - أما المستقبل: عليه أن: يتوقع أولاً موقف المرسل ورسالته، وأن يبحث عن الأفكار الرئيسة للمرسل، ويحلل هدف المرسل، ويكون متجها نحو المرسل، ثم يأخذ بالاعتبار أحقية المرسل في التحدث بحسب موقعه، ويُقوِّم الحقائق التي يذكرها المرسل ويحاول الربط بين الأدلة والاستنتاجات، ويتجنب تحيزاته وهو يحاول فهم موقف المرسل، ولا بد أن يكون منتبهًا ويقظا؛ يحلل اللغة في إطار ما يعنيه المرسل.

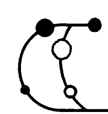
ج- أما الرسالة: فيجب أن تتسم بالوضوح، والتكامل، والإيجاز، والتحديد، والصحة، والدقة.



وكـذلك ينبغـي أن تكـون وسـيلة الاتصـال مناسـبة غيـر قابلـة لتشـويه الرسـالة قدر المستطاع.

وبالإضافة إلىٰ ما سبق، فهناك العديد من المبادئ السلوكية والقواعد الأولية التي تضمن فعالية عملية الاتصال، ولكن -للأسف- يتجاهلها أو يغفلها الكثير من الناس في غمرة رتابة العمل اليومي. ولعل أهم هذه المبادئ:

- توخي الصدق وحسن الظن عند مزاولة عملية الاتصال.
- مراعاة الأمانة في تسلم المعلومات وتسليمها ونقلها دون نقص أو زيادة.
- تشجيع الآراء البناءة.
- تنمية مهارات الإصغاء ومهارات الحديث.
- إتقان العمل بإخلاص من خلال الاعتماد علىٰ بيانات صحيحة.
- شورية الاتصال، من حيث إعطاء الآخرين حق النقد البناء.
- عدالة توزيع المعلومات علىٰ الأفراد، دون محاباة.
- عدالة تفسير المعلومات دون تمييز، أو اتجاهات شخصية.
- تطابق العمل مع القول، عندما يقارن القول بالعمل.
- توخي الموضوعية والحقيقة، مع الابتعاد عن السطحية في معالجة الأمور.
- الخصال الحميدة والسمات الجيدة تعد عنصرًا مهمًا في مزاولة الاتصال.
- الاعتماد علىٰ الاتصال ذي الاتجاهين نظرًا لفاعليته واستدعائه للمعلومات، وتيسير الاستفادة منها.



- حسن الاستفادة من وسائل التقنية الحديثة فيما يتعلق بوسائل الاتصال وأساليبه.

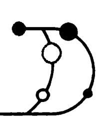
كما يُضاف لذلك القواعد الخاصة بكل مهارة من مهارات الاتصال، التي سيأتي تفصيلها عند عرض مهارات الاتصال.

٥) عوائق الاتصال:

كثيرًا ما تبرز بعض المعوقات التي تعد حائلاً أمام تحقيق الهدف من الاتصال، ويمكن تصنيف هذه العوائق حسب عناصر عملية الاتصال كما يأتي:

أ - عوائق ترتبط بالمرسِل، ومنها:

- الاعتقاد بأن رأيه هو الصواب وغيره على خطأ.
- الاعتقاد بأن الدوافع لا تؤثر في طبيعة المعلومات وحجمها.
- الاعتقاد بأن سلوكه يتصف بالموضوعية.
- الاعتقاد بأن قِيَمَهُ ومعتقداته لا تؤثر في شكل المعلومات لديه.
- الاعتقاد بأن المستقبِل يدرك تمامًا ما يقوله هو من كلمات ومصطلحات.
- الاعتقاد بأن رسالته وصلت للمستقبِل في وقت مناسب دون التأكد من ذلك.
- استخدام العبارات التقريرية أو التخصيصية التي تفيد الحسم أو الهجوم على الطرف الآخر.
- استخدام أسئلة الاستدراج أو التعليقات الساخرة والتهكمية التي تُشعر مستقبِليها بالتآمر والغضب، مما يؤدي إلى فقدان ثقة الآخرين، وعدم اتفاقهم فيما يديه المتحدث من آراء وحلول.



- مقاطعة الآخرين، مما يسبب لهم الارتباك، وبالتالي تكون النتيجة قليلاً من المعلومات وكثيرًا من الضوضاء، فضلاً عن الأثر النفسي الذي ينتاب الآخرين؛ فهي تعني لهم عدم الاكتراث بهم، وعدم الاهتمام بأفكارهم.

- عدم الاهتمام بردود فعل الآخرين.

- التناقض بين الاتصالين اللفظي وغير اللفظي: الحركي والرمزي والمكتوب.

- حب الاستئثار بالحديث.

- الاضطراب والسرعة في العرض.

- التعالي والفوقية.

- التقديم الخاطئ.

- قصور القدرة علىٰ الصياغة الواضحة للرسالة.

- ضعف القدرة علىٰ التفاعل مع الآخرين وإقامة الصلات معهم.

- التحيزات والأحكام المسبقة تجاه المستمع: قد تكون هذه التحيزات عائلية، قبلية عشائرية، أو مذهبية، أو إقليمية، أو عرقية، أو للمصلحة الشخصية.

- قصور تخطيط الاتصال؛ إذ لابد من التخطيط لعملية الاتصال؛ وذلك لإيجاد أكبر قدر ممكن من التأثير علىٰ المستمع.

- انخفاض درجة الحساسية لإرجاع الأثر، يجب علىٰ المتحدث مواصلة الاتصال مع الطرف الثاني؛ وذلك لفهم ردود الفعل.

ب - عوائق ترتبط بالمستقبل، ومنها:

- عدم الإنصات الجيد.

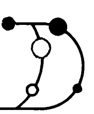
- وضع افتراضات مسبقة على المرسل للرسالة.
- التسرع في استنباط النتائج.
- الاقتصار على ما يريد من المعلومات وإهمال غيرها.
- الشرود وعدم الانتباه.
- التسرع في التقويم، مما يؤدي إلى إصدار التعليقات غير المفيدة والأحكام غير الناضجة.
- التركيز على الأخطاء.
- المجادلة والمراء.
- الرغبة في إظهار الذات وتفوقها من خلال الإشارة إلى نقاط الضعف في وجهة نظر الشخص الآخر.
- الاندماج التام والذوبان في شخصية المرسل وأفكاره، مما يضعف الفكر الناقد لديه.

ج - عوائق ترتبط بالرسالة، ومنها:

- أن يكون الهدف غير محدد.
- أن يكون المحتوى غامضاً.
- أن تكون الرموز أو الكلمات غير مفهومة.

د - عوائق ترتبط بالوسيلة، ومنها:

- أن تكون وسيلة الاتصال غير مناسبة لموضوع الاتصال.



- أن تكون وسيلة الاتصال غير مناسبة للوقت المتاح للاتصال.

- أن تكون وسيلة الاتصال غير مناسبة للأفراد القائمين بالاتصال.

- أن تكون وسيلة الاتصال غير مناسبة للإجراءات الرسمية للاتصال.

وبالإضافة إلى هذه العوائق المرتبطة بعناصر الاتصال، فإن هناك عوائق أخرى، هي:

هـ - معوقات تنظيمية، مثل:

- معوقات ناشئة عن نوع شبكات الاتصال: وجود المركزية المفرطة وطغيان الاتصالات ذات الطابع الصاعد والهابط واختفاء الاتصالات الأفقية.

- معوقات ناشئة عن سوء استعمال أدوات الاتصال: مثل نقص خطوط الهاتف، تعطيل شبكات الإنترنت أو محدوديتها، التأخير في طباعة التقارير، سوء نظام حفظ المعلومات واسترجاعها.

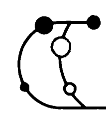
- معوقات فنية تتعلق بكافة آلات الاتصال وفعالية استخدامها: مثل تشوش القناة، انقطاع الخط، تداخل المكالمات أو محطات الإذاعة، ضوضاء عالية في الإطار المكاني، تشويش من الناس الآخرين.

و - معوقات ثقافية اجتماعية، مثل:

- معوقات اجتماعية داخلية: مثل طغيان العلاقات الشخصية على العلاقات الرسمية.

- تدني مستوى الوعي الثقافي في المجتمع مما يعرقل كيفية استخدام أدوات الاتصال.

- تدني المستوى التعليمي في المجتمع.



- حواجز الاتصال الثقافية بين الجماعات؛ مثل: التباعد الاجتماعي، تحيز جماعة ضد الأخرىٰ.

- طقوس الاتصال؛ أي الأساليب الخاصة والمحددة لضبط عمليات التفاعل والتواصل بين الجماعات.

٦) مهارات الاتصال:

للاتصال مهارات عديدة، أهمها: مهارة التحدث والإلقاء، مهارة الحوار والإقناع، مهارة التعامل مع الآخرين، مهارة الإنصات، مهارة الكتابة، مهارة القراءة السريعة، مهارة عرض البيانات. ولكل مهارة مبادئ أو قواعد، وآداب أو سمات، ولتحقيقها خطوات، وكذلك معوقات. وسوف تقتصر هذه الفقرة علىٰ بيان أكثر هذه المهارات استخدامًا من قبل كل داعية ومربٍّ؛ وهما: مهارة الحديث والإلقاء، ومهارة الحوار والإقناع.

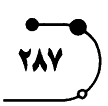
أولاً: مهارة الحديث والإلقاء:

تعد مهارة التحدث إحدىٰ أوجه الاتصال اللفظي، وهي عبارة عن رموز لغوية منطوقة تنقل أفكارنا ومشاعرنا إلىٰ الآخرين؛ وذلك عن طريق الاتصال المباشر؛ كالمناقشات وغيرها، وعبر وسائل اتصال مختلفة. ولهذه المهارة أربعة عناصر أساس، هي:

١) المعرفة (معرفة الموضوع قبل التحدث فيه).

٢) الإخلاص (إيمان المتحدث بموضوعه).

٣) التفاعل (أن يكون المتحدث تواقًا للحديث عن الموضوع، وقادرًا علىٰ نقل هذا التفاعل بأهمية الرسالة إلىٰ المستمع).



٤) الممارسة (فتطبيق ما يُقال يُكسب المتحدث مزيدًا من الثقة التي تنعكس في درجة تأثيره في الآخرين).

ولكي تكون مهارة الحديث والإلقاء مهارة اتصال جيدة وفعالة، فإن هناك مجموعة من السمات ينبغي أن تتوفر في المتحدث، هذه السمات: شخصية، وصوتية، وإقناعية، وهي كما يلي:

١) السمات الشخصية، ومنها:

- **الموضوعية**: وتعني قدرة المتحدث علىٰ السلوك والتصرف وإصدار أحكام غير متحيزة لعنصر أو رأي، والعدالة في الحكم علىٰ الأشياء، والتحدث بلسان المصلحة العامة وليس المصالح الخاصة.

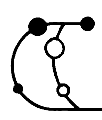
- **الصدق**: ويعني أن يعكس الحديث حقيقة مشاعر المتحدث وأفكاره وآرائه، كما يعني أن تتطابق أحوال المتحدث مع أفعاله وتصرفاته.

- **الوضوح**: ويعني القدرة علىٰ التعبير عن الأفكار بوضوح، من خلال: اللغة السهلة، والمادة المنظمة والمتسلسلة منطقيًا.

- **الدقة**: وتعني التأكد من أن الكلمات التي يستخدمها المتحدث تؤدي المعنىٰ الذي يقصده بعناية.

- **الاتزان الانفعالي**: ويقصد به أن يظهر المتحدث انفعاله بالقدر الذي يتناسب مع الموقف، وأن يكون متحكمًا في انفعالاته.

- **التحكم في المظهر**: ويعنىٰ أن يعكس مظهر المتحدث مدىٰ رؤيته لنفسه، كما يحدد الطريقة التي ينظر بها الآخرون إليه ويبنون بها أحكامهم عنه، ويضم:



المظهر العام، النظافة والأناقة الشخصية، والملبس والمظهر المناسب للحالة، وكذلك الصحة النفسية والبدنية.

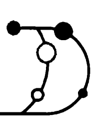
- **التحكم في النظرات:** توزيعها بصورة عادلة ومنتظمة.
- **التحكم في لغة الجسد:** القدرة على التعبير الحركي.

٢) السمات الصوتية، ومنها:

- نطق اللغة بطريقة صحيحة.
- وضوح الصوت.
- مراعاة السرعة في الحديث.
- مراعاة فواصل الكلمات ومواقع التوقف.
- استخدام نغمة سهلة مناسبة لموضوع الحديث، وبإيقاع سهل وغير رسمي.

٣) السمات الإقناعية، ومنها:

- القدرة على التحليل والابتكار.
- القدرة على العرض والتعبير.
- القدرة على الضبط الانفعالي.
- القدرة على تقبل النقد.
- استخدام النماذج والأمثلة.
- القدرة على الإجابة عن الأسئلة حول الموضوع.



وبالإضافة إلىٰ هذه السمات، فثمة **قواعد وخطوات** ينبغي مراعاتها حتىٰ يؤتي الحديث والإلقاء ثماره، وهي:

١) قواعد ينبغي مراعاتها قبل الإعداد للحديث، ومنها:

- معرفة صفات المستمعين: متوسط أعمارهم، ومستوىٰ تعليمهم، واتجاهاتهم نحو موضوع الحديث، وحجم هذا الجمهور، فبمعرفة أعمار الجمهور يستطيع المتحدث مخاطبة الناس علىٰ قدر عقولهم؛ لأن التحدث للأطفال يختلف عن الشباب أو المسنين، وهكذا.

- تحديد هدف الحديث وظروفه: (الموعد، المكان، الموضوع).

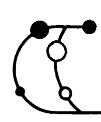
- جمع المعلومات المناسبة للموضوع، وتنظيم محتوىٰ الحديث في: مقدمة، ومتن، وخاتمة؛ فالمقدمة ينبغي أن تكون جذابة تُفتتح بعبارات مؤثرة أو ما شابهها، أما متن الحديث -وهو صلبه- فيُقدم فيه النقاط الرئيسة، المدعَّمة بالشواهد والتفاصيل، والمرتبة حسب الأهمية، أما خاتمة الحديث وخلاصته، فقد يفيد فيها التذكير بأهم النقاط، مع الاستشهاد بالاقتباسات المهمة، أو بأقوال شخصيات مؤثرة.

- تحديد طريقة إلقاء الحديث: ومن الطرق:

١. القراءة: ومن مساوئها الرتابة التي تفقد الاهتمام بالحاضرين، وتفقد الاهتمام منهم.

٢. الاستظهار: أي حفظ الحديث، ومن مساوئها أنها تُنسي المتحدث نقاطًا قد تكون مهمة، كما تصرف اهتمامه عن معايشة كلامه والحماس له إلىٰ محاولة التذكر.

٣. الارتجال: ومن عيوبه إهمال بعض النقاط، وضعف السيطرة علىٰ زمام الحديث بالتشعب.



٤. الارتجال المعزّز: وهي صورة وسط بين قراءة حديث مكتوب والارتجال المطلق؛ إذ أنه لا يُكتب كاملاً، وإنما تكتب نقاطه الرئيسة، والكلمات أو الجمل المفتاحية التي يبدأ بها في كل نقطة.

٢) قواعد ينبغي مراعاتها في أثناء الحديث، ومنها:

١. الوقوف في مكان ومساحة مناسبين أمام الحضور.

٢. استخدام لغة الإشارة التي تتناسب مع الحاضرين، ومع موضوع المحاضرة.

٣. الاهتمام بجميع الحاضرين، وتوزيع النظرات عليهم باعتدال.

٤. الحرص على جذب انتباه الآخرين.

٥. التأكد من فهم الحاضرين ومشاركتهم لما تقول.

٦. قيادة اللقاء.

٧. استخدام الدعابة والمرح، مع مراعاة عدم الدخول في حدود السخرية.

ثانياً: مهارة الحوار:

أكّد القرآن الكريم على الحوار في العديد من الآيات الكريمة؛ قال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ [النحل: ١٢٥]. والمتأمل لكتاب الله عز وجل يجد أن كلمة الحوار وردت ثلاث مرات، ووردت قصص الحوار أكثر من ٥٠٠ مرة، وهذا يدل على مكانة الحوار، وكونه وسيلة من أعظم وسائل الدعوة إلى الله عز وجل، وقد حفلت سيرة النبي ﷺ بحوارات كثيرة مع كافة الناس حتى الكفار -بكافة أصنافهم- بغية إيضاح الحق لهم واجتذابهم إلى معسكر الإيمان، أو تحييدهم في بعض الأحيان،

حتىٰ يكف بأسهم عن المسلمين، ألم تر إليه ﷺ حين أمهل عتبة بن ربيعة -وهو المشرك الكافر- حتىٰ انتهىٰ! ثم خاطبه بألطف عبارة، فقال: «**أفرغت يا أبا الوليد؟**»(١).

ولعظم مكانة أسلوب الحوار في الدعوة والتربية نفرد له العناصر الآتية:

١) مفهوم الحوار، وما يرتبط به من مفاهيم أخرىٰ:

الحوار والمحاورة مصدر حاور يحاور، ومعناه لغة: الجواب والمجادلة، وأصله من الرجوع؛ كأن الحديث يذهب ويرجع بين المتحاورين، قال ابن منظور: (وهم يتحاورون؛ أي: يتراجعون الكلام، والمحاورة مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة)(٢).

والحوار كلمة تستوعب كل أنواع التخاطب وأساليبه، سواء كانت منبعثة من خلاف بين المتحاورين أو عن غير خلاف؛ لأن الحوار لا يكون إلا بين أطراف متكافئة تجمعها رغبة مشتركة في التفاهم والمجاوبة والمراجعة في المسألة موضوع التخاطب، وبعبارة أخرىٰ: فإن الحوار أعم من الاختلاف والجدل وغيرهما.

وإذا كانت مادة **الحوار** وردت في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع: (سورة الكهف: ٣٤، ٣٧)، (المجادلة: ١)، فقد ورد لفظ **الجدل** ومشتقاته في القرآن الكريم في تسعة وعشرين موضعًا. **والجدل** هو: عنف الخصومة في المناقشة، وأكثر استعماله في صراع الآراء والأفكار؛ حيث يحاول كل مجادل أن يحكِّم رأيه ويناضل عنه صلابة. وقد ورد الجدل والمجادلة في القرآن الكريم بمعان عديدة، منها: المخاصمة

---

(١) السير والمغازي (٢/ ٢٠٧). وصححه الألباني في صحيح السيرة النبوية (ص ١٥٩).

(٢) لسان العرب، (٤/ ٢١٨).

(كما في سورة الكهف: ٥٤)، **المحاجة أو المدافعة عن النفس بدفع التهم الموجهة إليها** (كما في سورة النحل: ١١١)، **المراجعة** (كما في سورة المجادلة: ١).

أما لفظ الاختلاف ومشتقاته فقد ورد في القرآن الكريم تسعًا وثلاثين مرة، والاختلاف بين البشر حقيقة فطرية، وقضية واقعية، وآلية تعامل الإنسان معها تكون بالحوار الذي يكشف عن مواطن الاتفاق ومثارات الاختلاف؛ لتكون محل النقاش والجدل بالتي هي أحسن لمعرفة ما هو أقوم للجميع.

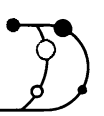
وقد أكَّدَ القرآن هذا المبدأ بطرق عديدة؛ فعرض القرآن لحوار الله ﷻ مع خلقه بواسطة الرسل، وكذا مع الملائكة ومع إبليس، كما أنَّ دعوات الرسل كلها كانت محكومة بالحوار مع قومهم، بل إن القرآن شجب موقف رفض الحوار والإصرار علىٰ عدم ممارسته: ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٧ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٨ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [الجاثية: ٧-٩].

فالاختلاف لا يحمل معنىٰ المنازعة، وإنما المراد منه: أن تختلف الوسيلة مع كون الهدف واحدًا، وهو مغاير للخلاف الذي ينطوي علىٰ معنىٰ الشقاق والتباين في الرأي دون دليل، ومن الفروق بين الاختلاف والخلاف:

- **الاختلاف هو أن يكون الطريق مختلفًا، والمقصود واحدًا، والخلاف هو أن يكون كلاهما -أي الطريق والمقصود- مختلفين.**

- **والاختلاف: ما يستند إلىٰ دليل، والخلاف: ما لا يستند إلىٰ دليل.**

- **والاختلاف من السعة وآثار الرحمة، والخلاف: شر ومن آثار النقمة.**



٢) **الحوار والمتحاورون: الأنواع والأنماط:**

أ) **الحوار البنَّاء:** وله ثلاثة مستويات:

المستوىٰ الأول: الحوار مع النفس ومحاسبتها وحملها علىٰ الجادة وطلب الحق؛ ويكون هذا في شكل حوار داخلي مستمر بين النفس الأمارة بالسوء والنفس اللوامة، حتىٰ يصل الإنسان إلىٰ النفس المطمئنة الراضية المرضية.

المستوىٰ الثاني: الحوار بين أفراد المجتمع الإسلامي وفق اجتهاداتهم المختلفة.

المستوىٰ الثالث: الحوار بين المسلمين وغير المسلمين الذين يشتركون معًا في إعمار الكون، وهو حوار يجرىٰ وفق مبدأ المدافعة الذي يمنع الفساد وينمِّىٰ عوامل الخير.

والبعض يرىٰ تقسيما آخر للحوار البناء؛ ومن أمثلة ذلك:

١ - الحوار بين المسلمين المختلفين في الشؤون الشخصية.

٢ - الحوار بين المختلفين في القضايا الاجتماعية.

٣ - الحوار بين الفقهاء.

٤ - الحوار العقَدي.

٥ - الحوار بين الأديان.

٦ - الحوار بين الحضارات.

ب) **الحوار الهدام:** ومن ألوانه السائدة والمنتشرة:

١ الحوار العدمي التعجيزي: وفيه لا يرىٰ أحد طرفي الحوار أو كليهما إلا المساوئ والأخطاء والعقبات، وهكذا ينتهي الحوار إلىٰ عدم الفائدة، ويترك هذا

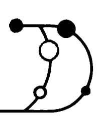
النوع من الحوار قدرًا كبيرًا من الإحباط لدىٰ أحد الطرفين أو كليهما؛ حيث يسد الطريق أمام كل محاولة للنهوض.

٢. حوار المناورة (الكر والفر): ينشغل الطرفان أو أحدهما بالتفوق اللفظي في المناقشة؛ بصرف النظر عن الثمرة الحقيقية والنهائية لتلك المناقشة، وهو نوع من إثبات الذات بشكل سطحي.

٣. الحوار المزدوج: وهنا يعطىٰ ظاهر الكلام معنىٰ غير ما يعطيه باطنه؛ لكثرة ما يحتويه من التورية والألفاظ المبهمة، وهو يهدف إلىٰ إرباك الطرف الآخر، ودلالاته أنه نوع من العدوان الخبيث.

٤. الحوار السلطوي (اسمع واستجب): نجد هذا النوع من الحوار سائدًا علىٰ كثير من المستويات؛ فهناك الأب المتسلط، والأم المتسلطة، والمدرس المتسلط، والمسؤول المتسلط؛ وهو نوع شديد من العدوان؛ حيث يلغي أحد الأطراف كيان الطرف الآخر، ويعتبره أدنىٰ من أن يُحاوَر، بل عليه فقط السماع للأوامر الفوقية، والاستجابة دون مناقشة أو تضجر، وهذا النوع من الحوار فضلاً عن أنه إلغاء لكيان طرف وحريته لحساب الطرف آخر، فهو يلغي ويحبط القدرات الإبداعية للطرف المقهور؛ فيؤثر سوءًا علىٰ الطرفين، وعلىٰ الأمة بأكملها.

٥. الحوار السطحي (لا تقترب من الأعماق فتغرق): حين يصبح التحاور حول الأمور الجوهرية محظورًا، أو محاطًا بالمخاطر، يلجأ أحد الطرفين أو كلاهما إلىٰ تسطيح الحوار طلبًا للسلامة، أو كنوع من الهروب من الرؤية الأعمق بما تحمله من دواعي القلق النفسي أو الاجتماعي.



٦ حوار الطريق المسدود (لا داعي للحوار فلن نتفق): يعلن الطرفان، أو أحدهما، منذ البداية تمسكهما، أو تمسكه، بثوابت متضادة تغلق الطريق منذ البداية أمام الحوار؛ وهو نوع من التعصب الفكري المذموم، وانحسار مجال الرؤية.

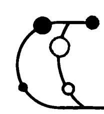
٧. الحوار الإلغائي أو التسفيهي (كل ما عداي خطأ): يصر أحد طرفي الحوار على ألا يرى شيئًا غير رأيه، وهو لا يكتفي بهذا بل يتنكر لأي رؤية أخرى ويسفهها ويلغيها، وهذا النوع يجمع كل سيئات الحوار السلطوي وحوار الطريق المسدود.

٨. حوار البرج العاجي: ويقع فيه بعض المثقفين حين تدور مناقشتهم حول قضايا فلسفية، أو شبه فلسفية، مقطوعة الصلة بواقع الحياة اليومي وواقع مجتمعاتهم، وغالبًا ما يكون ذلك الحوار نوعًا من الحذلقة وإبراز التميز على العامة دون محاولة لإصلاح الواقع.

٩. الحوار المرافق (معك على طول الخط): وفيه يلغي أحد الأطراف حقه في التحاور لحساب الطرف الآخر؛ إما استخفافًا، أو خوفًا أو تبعية حقيقية؛ طلبا لإلقاء المسؤولية كاملة على الآخر.

١٠. الحوار المعاكس (خالف تُعْرف): حين يتجه أحد طرفي الحوار يمينًا ويحاول الطرف الآخر الاتجاه يسارًا، والعكس بالعكس؛ وهو رغبة في إثبات الذات بالتميز والاختلاف، ولو كان ذلك على حساب جوهر الحقيقة.

١١ حوار العدوان الصامت (صمت العناد والتجاهل): يلجأ أحد الأطراف إلى الصمت عنادًا وتجاهلاً، ورغبة في مكايدة الطرف الآخر بالصمت دون التعرض لخطر المواجهة.



يبدو مما سبق أن كل أنماط الحوار السيِّء تعد سلوكيات خاطئة في الحوار ينبغي تجنبها. وفيما يلي أمثلة أخرىٰ علىٰ السلوكيات الخاطئة في الحوار:

- الحوار حول موضوع لا يعلمه جميع الأطراف، أو لا يعلمه أحدهم، أو لا يتخصص فيه.
- عدم وجود مبادئ متفق عليها مسبقًا، أو فرضيات مسلمة يرجع إليها المتحاورون.
- التحايل علىٰ الطرف الآخر، أو مماطلته، أو جداله العقيم، ويعد ذلك من قبيل:
  - إبهام العبارة حتىٰ لا يفهمها الطرف الآخر.
  - الاحتيال عليه حتىٰ يخرجه عن محل تساؤله.
  - توجيه كلام السائل إلىٰ وجوه محتملة.
- الحقد، والحسد، والبغي، والعدوان، وحب الانتصار والسيطرة والشهرة، والاستكبار عن الحق، والرياء، وغير ذلك من أمراض القلوب التي تصيب أحد أطراف الحوار.
- اللجوء إلىٰ جو التهويل، أو ما يسمىٰ بتأثير العقل الجمعي؛ فيفقد الحوار جوه المطلوب، ولن يوجد فيه معنىٰ للاستدلال المنطقي الهادئ الحكيم.
- أن يكون الحوار فيما ليس له أثر عملي أو فكري؛ فلا معنىٰ للحوار حول افتراضات تجانب الواقع.

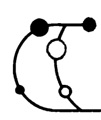
٣) الحوار: القواعد والمرتكزات:

تنطلق رحلة الحوار في الإسلام من قواعد ومرتكزات عدة ترسم للمتحاورين الحقوق والواجبات التي يسيرون عليها حتىٰ الوصول إلىٰ المراد، ومن تلك القواعد:

١ امتلاك الحرية الفكرية: لكي يبدأ الحوار، فلا بد أن يمتلك أطرافه القدرة عليه، وحرية الفكر المستقل، والثقة بالنفس؛ لذلك أمر الله رسوله ﷺ أن يحقق ذلك ويوفره لمحاوريه: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾[الكهف: ١١٠]، ﴿ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[الأعراف: ١٨٨].

٢. الانطلاق من القواسم المشتركة: لا بد لإنجاح الحوار من الانطلاق من المشتركات، أو من الرؤىٰ والأفكار التي يتفق عليها المتحاورون، لتكوين أرضية مشتركة يستطيع الجميع من خلالها التفاهم والتعايش معًا في ظل الأخوة الإنسانية، والتمتع بحقوق المواطنة بالعدل؛ قال تعالىٰ: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[آل عمران: ٦٤].

٣. تحديد منهج الحوار وتحرير موضوعه: من الأهمية بمكان تحرير محل الحوار؛ فأول ما يُناقش فيه هو منهج الحوار الفكري وموضوعه الذي لا يرتبط بالقضايا الشخصية أو الاجتماعية أو النفسية قال تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٠]. ولهذا يكون عدم تحرير محل الحوار مضيعة للوقت إذا تبين للمتحاورين بعد مدة أن حديثهما يركز علىٰ محورين مختلفين، أو وجهتين



متفاوتتين، ولذا كان لزامًا البدء بتحرير محل النزاع، وتشخيص نواحيه؛ ليكون الاستدلال منتجًا.

٤. الابتعاد عن الأجواء الانفعالية: من عوامل نجاح الحوار أن يحصل في الأجواء الهادئة؛ ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ [سبأ: ٤٦]، اعتبر القرآن اتهام النبي ﷺ بالجنون خاضعًا للجو الانفعالي العدائي لخصومه؛ لذلك دعاهم إلىٰ الانفصال عن هذا الجو والتفكير بانفراد وهدوء.

٥. الموضوعية أو التسليم بإمكانية صواب الخصم: يخاطب القرآن الكريم الرسول الكريم ﷺ -وهو القمة في الإيمان واليقين- بأن يدخل في الحوار بروح موضوعية هادفة ليقول: ﴿ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[سبأ: ٢٤]، ثم يجعل صاحب الحق اختياره هو بمرتبة الإجرام - علىٰ الرغم من أنه هو الصواب - بغية حمل الطرف الآخر علىٰ القبول بالحوار: ﴿ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[سبأ: ٢٥]،ليقرر في النهاية أن الحكم النهائي لله عز وجل: ﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[سبأ: ٢٦]. وبذلك ينبغي البدء بالحوار بعد التخلي عن كل الاقتناعات السابقة، والسعي لطلب الحق أينما كان.

٦ التعهد والالتزام باتباع الحق: لا بد من تعهد طرفي الحوار والتزامهما باتباع الحق إن ظهر علىٰ يدي الطرف الآخر، حتىٰ ولو كان التعهد باتباع ما هو باطل أو خرافة إذا افترض أنه ثبت وتبين أنه حق: ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴾ [الزخرف: ٨١].

٧. الانضباط بالقواعد المنطقية في مناقشة موضع الاختلاف: بعد الالتزام بالأسس السابقة، ينبغي أن ينطلق الحوار معتمدًا على قواعد: العقل، والمنطق، والعلم، والحجة والبرهان، والحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن؛ فما أكثر ما يرد في القرآن: ﴿ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ ﴾ [البقرة: ١١١، الأنبياء: ٢٤، النمل: ٦٤، القصص: ٧٥]، ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ [آل عمران: ٦٦].

٨. ختم الحوار بهدوء مهما كانت النتائج: إذا سار الحوار جادًّا وفق المنهج المذكور من قبل جميع الأطراف؛ فلا بد أن ينتهي الحوار بهدوء كما بدأ دون حاجة إلى التوتر والانفعال، حتى إذا رفض المحاور الحجج العقلية - كأن لم يقتنع بها - فإنه بذلك يمارس حقًّا أصيلاً كَفَلَه له رب العزة، وسيكون مسؤولاً عن ذلك أمام الله سبحانه وتعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴾ [هود: ٣٥] .

٩. التأكيد على استقلالية كل من المتحاورين ومسؤوليته عن فكره: قبل الانفصال بين المتحاورين يؤكِّد كل منهما على استقلاليته ومسؤوليته عن نفسه ومصيره: ﴿ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الأنعام: ١٣٥].

١٠ الإشهاد على المبدأ وعدم تتبع الأخطاء الناتجة عن الانفعال في أثناء الحوار: وفي آخر الحوار يُشهِّدون على المبدأ والتمسك به: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٦٤].

٤) آداب الحوار وأخلاقياته:

لكي يساعد الحوار على بناء السلوك وتكوين العلاقات والنهوض بالفرد والمجتمع والأمة، وتعايش الجميع في سلام وأمن ووئام، فإنه من الضروري أن يكون هذا الحوار صحيًا موضوعيًا فيرى الحسنات والسيئات في ذات الوقت، ويرى العقبات ويرى أيضًا إمكانات التغلب عليها، كما ينبغي أن يكون حوارًا متفائلاً، صادقًا عميقًا، واضح الكلمات واقعيًا متكافئًا، يعطي لكلا الطرفين فرصة التعبير والإبداع الحقيقي، ويحترم الرأي الآخر، ويعرف حتمية الخلاف في الرأي بين البشر وآداب الخلاف وتقبله، وهو فوق كل هذا حوار تسوده المحبة والمسؤولية والرعاية وإنكار الذات.

وفي ضوء ما سبق، يمكن القول: إن للحوار آدابًا وأخلاقًا ينبغي التزام كافة أطراف الحوار بها، وأهمها:

١ احترام الآخر: إذا أردت أن تحاور طرفًا ما، فإن ذلك يقتضي بأن تؤمن بأن له وجودًا وكيانًا؛ إذ إنه من الاستهانة أن تتعامل مع فرد أو جهة على أساس أنها تمثل ثقلاً معينًا، وأنت تشعر في قرارة نفسك بعكس ذلك، ومهما حاولت إخفاء ذلك الشعور الرديء، فسوف يبرز بشكل إرادي أو غير إرادي، وعند ذلك سيؤدي إلى ردة فعل سيئة من الطرف الآخر، وربما يؤدي إلى القطيعة، فضلاً عن أن التعامل مع الناس بهذا الأسلوب يتنافى مع مبادئ الأخلاق الإسلامية، وفي هذه الحالة يصبح عدم التعامل مع الجهة التي لا نؤمن بجدوى التعامل معها خيرًا من أن نبدي لها اهتمامًا لا نشعر به حقًا تجاهها، على أنه ينبغي التنبيه على أن الاعتراف بكيان الآخر ليس معناه التسليم بمبادئه ومواقفه.

٢. التعرف علىٰ الآخر: إن من مقتضيات الحوار والتواصل أن تتعرف علىٰ من تريد محاورته؛ لأن سعيك للتعارف يحقق مجموعة من المصالح تدعم قضية الحوار وتحقق ثمرته؛ فالتعارف من جانبك يشعر الطرف الآخر باهتمامك به، وبالتالي بتواضعك وعدم تعاليك علىٰ من تحاوره.

٣. أن يكون الكلام هادفًا إلىٰ الخير؛ يقول تعالىٰ: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤]. فالكلام الطيب العفّ له ثماره الحلوة، فهو مع الأصدقاء يحفظ مودتهم، ويستديم صداقتهم، ويمنع كيد الشيطان أن يفسد ذات بينهم، وأمّا مع الأعداء فيقارعهم الحجة القوية.

٤. البعد عن عبارات المدح للنفس أو للآخرين إلا لمصلحة وبالضوابط الشرعية: قال تعالىٰ: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾[النجم: ٣٢].

٥. الإنصاف: نقل البخاري في صحيحه عن عمار قال: «ثلاث من جمعهنَّ فقد جمع الإيمان: الإنصاف من نفسك، وبذْلُ السلام للعالم، والإنفاق من الإقْتار»[(١)]. فالإنصاف خلق عزيز يقتضي أن تنزل الآخرين منزلة نفسك في الموقف.

٦ الصبر والرفق واحتمال الأذىٰ ومقابلة السيئة بالحسنة: بهذا استمال النبي ﷺ قلوب أعدائه، وعالج قسوتها، حتىٰ لانت وانقادت وقبلت الحق؛ فالكلمة الطيبة، والابتسامة الصادقة الصافية، والإحسان إلىٰ الآخرين بالقول والفعل؛ كل ذلك من أسباب زوال العداوة وتقارب القلوب. ومن ذلك أيضًا: عدم العتاب والمحاسبة، وعدم الانتقام والتشفي أو الانتصار للنفس.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب إفشاء السلام من الإسلام، قبل ح ٢٨ (١/ ١٥).

٧. عدم التعصب للمذهب أو الطريقة أو الشيخ أو الجماعة أو الطائفة أو الحزب: ولهذا قيل: (حُبكَ الشيء يعْمِي وَيُصِمُّ)، إن المتعصب أعمىٰ، لا يستطيع أن يميز الحق من الباطل.

٥) مهارات الحوار:

حتىٰ يكون الحوار بناءً مثمرًا ينبغي علىٰ المتحاورين الالتزام بأصول الحوار وآدابه السابق ذكرها، ومنها يمكن تحديد أهم مهارات الحوار في الآتي:

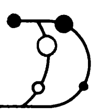
أ- قبل الحوار:

- **التهيؤ النفسي للحوار والمناقشة:** وهذا يتطلب من المتحاورين ما يلي: التغلب علىٰ الخوف والخجل، تعزيز الثقة بالنفس، تجنب الحساسية المفرطة.

- **تحديد أهداف الحوار:** فيسعىٰ كل طرف إلىٰ تحديد الإجابة عن الأسئلة الآتية: ما الغاية من الحوار؟ ما الأهداف التي أريدها من هذه المحاورة؟ كيف أحققها؟

- **الإعداد الجيد للحوار:** فيهيئ كل محاور ما يلزمه من أسئلة، ويحدد عناصر الحوار، والمصادر التعليمية، والوسائل التوضيحية التي سيستخدمها، ومراعاة المدة المخصصة لكل خطوة، وهكذا.

- **تهيئة بيئة حوارية مناسبة:** ويتطلب هذا إشاعة الحرية الفكرية، والتقدير والاحترام المتبادل، وعدم الاستهزاء أو السخرية من آراء الآخرين وأفكارهم، وغير ذلك من خطوات تنظيمية تؤسس للمتحاورين القواعد والآداب التي ينبغي أن تسود في جلسة الحوار.



ب- أثناء الحوار:

- **التمهيد الجيد لموضوع الحوار من خلال:** سرد قصة مثيرة للاهتمام، أو إثارة مشكلة معينة، أو طرح عدد من الأسئلة، أو مشهد تمثيلي مختصر، أو غير ذلك، على أن يكون مرتبطًا بالموضوع.

- **البدء بالقضايا الكلية المتفق عليها** قبل الجزئية، والاتفاق على الأصول قبل مناقشة الفروع.

- **التدرج في الحوار** حتى الوصول إلى الحق؛ كما في حوار سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام مع النمرود.

- **وضوح الكلام وسهولة اللغة وحسن الخطاب:** فلا تعقيد للألفاظ، ولا غموض في اللغة، ولا تكلف في العبارات.

- **التحديد الدقيق للمصطلحات** وبيان مدلولها بوضوح.

- **التفكير قبل الكلام:** ثم القول بالتي هي أحسن، ولين الكلام الذي لا يحمل إلا حسن النية.

- **حسن الإنصات للقول الآخر:** والتركيز فيما يقول، وعدم المقاطعة أثناء الكلام.

- **احترام الوقت وحسن إدارته.**

- **عدم الغرور والتعالي على الآخرين.**

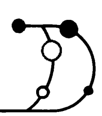
- **الالتزام بالموضوعية والصدق،** والاعتراف بالخطأ وتجنب الانفعالات والتحدي.

- **توظيف لغات الاتصال المختلفة لتعميق الحوار:** (إشارات، لغة جسد، رموز، الاتصال البصري). ومن هذه اللغات: الصوت؛ إذ ينبغي اعتدال صوت المحاور، وموافقته للأحوال والظروف، بما يجعله مطابقًا للمعاني التي يصورها بالألفاظ، ويمثلها بالصوت، كما أن عليه أن يهتم بتوافق طبقة الصوت واللفظ مع هيئة الوجه وحركات الجسم؛ لبيان ما في النفس وتصوير ما في الخاطر. ومن هنا ينبغي علىٰ الداعية المربي أن يروض نفسه علىٰ تصوير المعاني، وأن يجعل لنغمات صوته -ارتفاعًا وانخفاضًا- دلالاتٍ أخرىٰ فوق دلالة الألفاظ، وأن يكون صوته ناقلاً بصدق لمشاعر نفسه، وأن يمرنه علىٰ أن يكون حاكيًا لمعاني الوجدان.

ج- بعد الحوار:

- التوصل إلىٰ مجموعة من الاستنتاجات والحلول النهائية.
- تقويم درجة تحقق أهداف موضوع الحوار.
- تقبل الرأي الموافق للحق ولو كان يخالف اعتقاد أحد أطراف الحوار.





المبحث الثالث
مهارات التعامل مع الآخرين

تختلف الدوافع باختلاف عقائد الناس ونظرتهم للحياة؛ فدوافع المسلم مختلفة -بلا شك- عن غير المسلم الذي قد يكون دافعه المصلحة الشخصية التي يحتاجها، أو الخوف من المضرة أو العقاب، أما المسلم فتحركه دوافع أخرىٰ؛ مثل:

تحقيق الخيرية في نفسه؛ بأن يكون من خير الناس أو خيرهم؛ باتباعه أحسن الأخلاق انطلاقًا من قول الرسول ﷺ: «**خير الناس أحسنهم خلقًا**»(١).

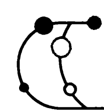
ثم تتجسد هذه الأخلاق في المعاملة الحسنة مع الآخر التي أمر الله عز وجل بها في قوله: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل: ١٢٥].

لكن التدريب علىٰ التعامل مع الآخرين معاملة حسنة يحتاج إلىٰ مدة من الزمن حتىٰ يتخلص المرء من طبع سيء يكرهه الناس، أو يكتسب طبعًا طيبًا يحبه الناس.

وفيما يلي الإشارة إلىٰ بعض القضايا التي توضح مهارات التعامل مع الآخرين:

---

(١) أخرجه أحمد (١٨٤٥٦)، والطبراني (٤٧٨). وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٨٣٧).



١) الشخصية: السمات، والأنماط:

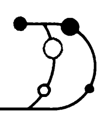
يقصد بالسمات الشخصية: الخصائص والصفات السلوكية شبه الدائمة التي تميز الفرد، والتي تكونت لديه نتيجة عمليتي التنشئة والتفاعل الاجتماعي والثقافي. وهذا المعنىٰ امتداد لمفهوم الشخصية والذي يعبر عن: التنظيم المتفاعل المتكامل لخصائص الفرد: النفسية، والعقلية، والخلقية، والاجتماعية، التي تحدد سلوكه وفكره المميزين عندما يعبر عن نفسه أمام الآخرين في مظاهر الأخذ والعطاء في الحياة الاجتماعية.

وعلىٰ الداعية أن يعلم أن المدعوين أصناف وأقسام: فمنهم الملحد، ومنهم المشرك الوثني، ومنهم اليهودي، ومنهم النصراني، ومنهم المنافق، ومنهم المسلم الذي يحتاج إلىٰ التربية والتعليم، ومنهم المسلم العاصي، ثم هم أيضًا يختلفون في قدراتهم العقلية والعلمية والصحية، ومراكزهم الاجتماعية؛ فهذا مثقف، وهذا أميٌّ، وهذا رئيس، وهذا مرؤوس، وهذا غني، وهذا فقير، وهذا صحيح، وهذا مريض، وهذا عربي، وهذا أعجمي.

أما شخصيات الناس فتتعدد أنماطها، وسمات كل نمط، بين الآتي:

١. نمط الشخصية الانبساطية (اجتماعي ويتفاعل جيدًا مع العالم الخارجي) وسماته:

- يحب العمل.
- جيد في الترحيب بالناس.
- يحب الأعمال البطيئة والطويلة.



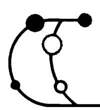
- يهتم بكيفية أداء الآخرين لأعمالهم.
- يتحدث كثيرًا.
- يحبذ وجود الناس بقربه في بيئة العمل.
- يفضل الاتصال اللفظي على الكتابة.
- يحب مناقشة الآخرين.

٢. نمط الشخصية الانطوائية (يحب أن يكون بمفرده) وسماته:

- يحب الهدوء للتركيز.
- يجد مشكلة في تذكر الأسماء والوجوه.
- يستطيع العمل لمدة طويلة بلا انقطاع.
- يكره المقاطعات في الحديث.
- يعمل بمفرده ويستمتع بذلك.
- يفضل الاتصال بالكتابة أو القراءة أكثر من التحدث أو التجربة.

٣. نمط الشخصية الحدسية (يعتمد على التوقع) وسماته:

- يدرك التحديات والإمكانات الجديدة.
- يركز على كيفية تطوير الأشياء.
- يكره تكرار الشيء.
- يحب تعلم مهارات جديدة.
- يعمل بطاقة هائلة وبحماس.



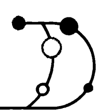
- يقفز إلى الخاتمة بسرعة.
- يكره ضياع الوقت في الأمور الدقيقة.
- يُهوِّل ويصعب ويعقد المهام التافهة.

٤. **نمط الشخصية الحسية (يعتمد على حواسه) وسماته:**

- يركز على العمل الحالي.
- يحب تطبيق ما يتعلمه.
- يصل إلى الحقيقة خطوة بخطوة.
- يحرص على معرفة الحقائق.
- يجيد الأعمال الدقيقة.
- يسهل ويبسط الأعمال الشاقة.
- يقبل الاستثناءات ويتعامل معها.

٥. **نمط الشخصية الشعورية (يعتمد على مشاعره في الصواب والخطأ) وسماته:**

- يحب الانسجام والتآلف ويعمل من أجله.
- يستجيب لقيم الناس وأفكارهم.
- يحتاج للثناء والتقدير.
- يكره أخبار الناس السيئة.
- يستمتع بالتعامل مع الناس المسرورين.



- يهتم بالناس المفكرين والعمليين.
- يميل إلىٰ أن يكون عاطفيًا.

٦. **نمط الشخصية المفكرة (يعتمد على النظرة المجردة) وسماته:**

- يضع الأشياء في وضعها المنطقي.
- يستجيب لأفكار الناس أكثر من مشاعرهم وعواطفهم.
- يتوقع النتائج المنطقية لاختياراته.
- يحب التعامل بعدل وموضوعية.
- يؤنب الناس ويتشاجر معهم عند الضرورة.
- يجرح مشاعر الناس بدون وعي.
- لديه القدرة علىٰ تحليل المشكلة.

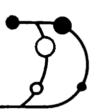
٧. **نمط الشخصية الملاحظة (يحب الحياة تسير بتلقائية) وسماته:**

- لا يمانع في ترك الأمور مفتوحة للتغيرات الحالية.
- يتأقلم جيدًا مع الأحوال المتغيرة.
- لديه مشكلة في صنع القرار.
- يبدأ خططًا متعددة معًا، ولديه صعوبة في إنهائها.
- يؤجل الأعمال الشاقة.
- يريد معرفة كل شيء عن العمل الجديد.

٨. **نمط الشخصية الحاكمة (ينظم حياته بناءً على خطة معينة) وسماته:**

- يخطط للعمل بجد.
- يحب الحصول على الأشياء الجاهزة.
- يقرر الشيء بسرعة.
- يكره أن تقطع خططه أو مشاريعه بأمور أخرى.
- يحب الحكم على الأوضاع أو الأشخاص.
- يريد الأساسات فقط لبدء العمل.
- يستخدم قوائم لجدولة العمل.

وبعد معرفة أصناف الناس، وسمات شخصياتهم وأنماطها، ينبغي للداعية أن يكون كالطبيب الحاذق الذي يشخص المرض، ويعرف الداء ويحدده، ثم يعطي الدواء المناسب على حسب حال المريض وضعفه، وتحمله للعلاج، وقد يحتاج المريض إلى عملية جراحية فيشق بطنه، أو يقطع شيئًا من أعضائه من أجل استئصال المرض طلبًا لصحة المريض. ومن ثم، فإنه يجب على الداعية المربي الحاذق الماهر أن يخاطب كل صنف أو نوع بالخطاب الذي يفهمه ويناسبه.



٢) قواعد التعامل مع الآخرين:

١. عدم النصيحة في العلن:

قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

تعمــدني بنصــحِك في انفــرادِ	وجنبنــي النصــيحة في الجماعــة
فــإن النصــح بــين النــاس نــوع	مــن التــوبيخ لا أرضــىٰ اســتماعه
فــإن خــالفتني وعصــيت قــولي	فــلا تجــزع إذا لــم تُعــط طاعــة

٢. البعد عن الأمر بالأسلوب المباشر:

فالناس -كل الناس- لا يحبون أن تقال لهم الأوامر مباشرة: افعل كذا، لا تفعل كذا؛ حيث إن طبيعتهم تأبىٰ ذلك. وقد كان دأب النبي ﷺ تشويق الناس لما سوف يأمرهم به، ومن ذلك لما قال في غزوة خيبر: «**لأعطين الراية غدا رجلا يفتح علىٰ يديه، يحبُّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله**»(١). فصار كل فرد يتمنىٰ أن يكون ذلك الرجل.

وقارن بين رجل يقول لزوجته عند قدوم ضيوف: اطبخي كذا، وآخر يقول: إن ضيوفًا سوف يأتون إلينا، ونريد أن تبيضوا وجوهنا، ولا تنسوا أن قضية الطعام هي انعكاس لأهل البيت، فتشعر الزوجة عندئذ أن المسألة قضية شخصية، وأن إتقان العمل انعكاس لوضعها في البيت، فيكون ذلك أدعىٰ إلىٰ الإتقان والنشاط في العمل.

٣. عدم التركيز على المساوئ دون الحسنات:

لا يَسْلَم أحدٌ من العيوب؛ فلا توجد زوجة بلا عيوب، ولا صديق بلا عيوب، ولا رئيس ولا مرؤوس بلا عيوب؛ يقول سعيد بن المسيب: «ليس من شريف ولا عالم

---

(١) أخرجه البخاري (٤٢١٠)، ومسلم (٢٤٠٦).

ولا ذي فضل إلا فيه عيب، ولكن من الناس من لا ينبغي أن تذكر عيوبه؛ من كان فضلُه أكثر من نقصِهِ وُهِبَ نقصُه لفضلِهِ»[(١)]؛ قال الشاعر:

لا يزهـــدنك في أخ	لـــك أن تـــراه زلَّ زلَّـــة
مـــا مـــن أخ لـــك لا يعيـــب	ولـــو حرصـــت الحـــرص كُلَّـــه

٤. عدم تذكير الناس بزلاتهم:

الناس يبغضون من لا ينسىٰ زلاتهم ولا يزال يذكِّر بها ويمُّن علىٰ من عفا عنه، والله يمدح العافين عن الناس: ﴿وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

٥. عدم التعامل مع الناس باستعلاء:

الناس يكرهون من يعاملهم باحتقار واستعلاء، مهما كان هذا الإنسان، حتىٰ لو كان من كان -داعية، عالمًا، معلمًا- لأنهم لا يحبون من ينظر إليهم نظرة استعلاء؛ قال هارون بن عبدالله الحمال: (جاءني أحمد بن حنبل بالليل، فدَّق عليَّ الباب، فقلت: من هذا؟ فقال: أنا أحمد (ولم يقل الشيخ أحمد). فبادرت أن خرجت إليه فمسَّاني ومسَّيته. قلت: حاجة يا أبا عبد الله؟ قال: نعم، شغلت اليوم قلبي. فقلت بماذا يا أبا عبدالله؟ قال: جزتُ عليك اليوم وأنت قاعدٌ تحدث الناس في الفيء (الظل) والناس في الشمس بأيديهم الأقلام والدفاتر. لا تفعل مرة أخرىٰ؛ إذا قعدت فاقعد مع الناس)[(٢)].

٦. عدم التسرع في التوبيخ والتأنيب:

الناس يكرهون من يؤنب ويوبخ في غير محل التأنيب، ومن غير تأنٍ، ودون السؤال والاستفسار؛ حيث يظن البعض أن الصواب في أن يقابل من يعتبره مقصرًا

---

(١) رواه الخطيب بإسناده في «الكفاية في علم الرواية» (ص ٧٩).

(٢) تاريخ بغداد، (١٦/ ٣١).

باللوم الشديد بقوله: لماذا لا نراك؟ طالت المدة! سنتان لا نراك! وينسىٰ أنه مساوٍ له في الفعل، وأن اللوم يمكن أن يُوجه إليه أيضًا.

٧. عدم الافتخار بالنفس:

الناس يكرهون دائمًا من ينسب الفضل والنجاح لنفسه، وإذا حدث إخفاق أو خطأ ألقىٰ بالتبعة علىٰ الآخرين، والذي يفعل ذلك يكون منبوذًا؛ سواء كان زوجًا أو رئيسًا أو صديقًا.

٨. إظهار الاهتمام بالناس:

الناس يحبون من يهتم بهم، ويعرف ما يشغلهم وما اهتماماتهم واحتياجاتهم، وإظهار الاهتمام بأحوال الناس هو أسهل طريق لكسب ودهم ومحبتهم.

٩. حسن الإنصات إلى حديث الآخرين:

الناس يحبون من يستمع إلىٰ حديثهم لا أن يحدثهم عن نفسه، بل يستمع إليهم ويشجعهم علىٰ أن يحدثوه عن أنفسهم، وهذا ما يطلق عليه: المتحدث اللبق، وقديمًا قالوا: إنك إن أردت أن تكون متحدثًا لبقًا فكن مستمعًا لبقًا.

١٠. البعد عن الجدل:

حيث يقول النبي ﷺ: **«أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقًا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا وببيت في أعلىٰ الجنة لمن حسن خلقه»**[1]

---

(١) تقدم تخريجه، (ص ٢٠٧).

١١. تقدير الناس واحترامهم:

الإنسان بطبعه يحب من يحبه ويحترمه ويقدره، فإن لم ير تقديرًا ولا احترامًا فلا يقدر ولا يحترم بغض النظر عن المستويات؛ فالصغير يقدر الكبير إذا قدره الكبير.

١٢. الشكر والتشجيع:

الناس يحبون التشجيع، ويحبون من يشكرهم، والدعاء بالخير نوع من المدح والثناء، بل هو أبلغ الثناء؛ كما قال ﷺ: **«من صُنِع إليه معروف فقال لفاعله: جزاك الله خيرًا فقد أبلغ في الثناء»**(١).

وينبغي ملاحظة الفرق بين الشكر والمدح الذي ذمه الشرع؛ كمدح من يخشىٰ عليه الفتنة بتطرق الكبر والرياء إلىٰ قلبه، أو ترك العمل اتكالاً علىٰ ما مُدح به، ومنه حديث: سمع النبي ﷺ رجلاً يثني علىٰ رجل ويطريه في المدحة فقال: **«أهلكتم أو قطعتم ظهر الرجل»**(٢). ومن المدح المذموم أيضًا: مدح الشخص بأشياء لا يطلع عليها إلا الله من: صدق الإيمان، والتقوىٰ والخشية، ونحو ذلك مما يتعلق بالقلوب ولا يطلع عليه إلا علاَّم الغيوب؛ ومنه قوله ﷺ : **«إن كان أحدكم مادحًا لا محالة فليقل: أحسب كذا وكذا، إن كان يرىٰ أنه كذلك، وحسبه الله، ولا يُزكِّي علىٰ الله أحدًا»**(٣).

١٣. تصحيح الأخطاء دون جرح المشاعر:

الناس يحبون من يصحح الخطأ دون أن يجرح المشاعر؛ كأن تقول: أنا أوافق المتحدث في كذا وكذا، ولكن النقطة الأخيرة لي عليها ملحوظات، فيبدأ بالحسنات،

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٠٣٥) وقال: حسن جيد غريب. وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٣٦٨).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٦٠)، ومسلم (٣٠٠١).

(٣) أخرجه البخاري (٦٠٦١).

ثم يصحح، فيكون ذلك أدعىٰ أن يتقبل المتحدث الملحوظات دون الدخول في جدل لا طائل من ورائه.

١٤. دعاء الناس بأحب أسمائهم:

الناس يحبون أن يُنادوا بأحب الأسماء إليهم؛ يا أحمد يا صالح، يا أبا فلان. وكان الرسول ﷺ ينادي أصحابه بأحب الأسماء إليهم، حتىٰ الأطفال الصغار كان يكنيهم أحيانًا، يقول ﷺ: «**يا أبا عُمَيْرٍ ما فعل النُّغَيْرُ؟**»[1]. وأبو عمير هذا طفل صغير. فحِفْظُ أسماء الناس ومناداتهم بأحب أسمائهم له أثر كبير عليهم.

والمهم في كل ذلك أن يتدرب المربي علىٰ هذه القضايا تدريبًا عمليًا جادًا لكي يمارسها، وتتحول عنده إلىٰ مهارات اجتماعية عملية.

---

(١) تقدم تخريجه (ص ٢١٩).

٣) أساليب كسب قلوب الآخرين وفنونه:

طُبعت القلوب على حب من أحسن إليها، والنفور ممن آذاها وأساء إليها، وصدق الشاعر حيث قال:

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم	فطالما استعبد الإنسانَ إحسانُ
وإن أساء مسيء فليكن لك في	عروض زلته صفح وغفران
وكن على الدهر معوانًا لذي أمل	يرجو نداك فإن الحر معوان

فمن رغب في نصرة الله عز وجل له، وفي استمالة قلوب الناس وكسبها إلى الله، فليلتزم بتعاليم الإسلام في التعامل مع الآخر؛ فهي تحرص على كسب القلوب ومودتها، وعلى صفائها والبعد عن تنافرها وتباعدها وتحاسدها. ومما أكده الإسلام في هذا الباب: إكرام الكبار، رحمة الضعفاء، إفشاء السلام، التواضع للناس، توقير الوالدين، احترام الصغير، التعاون على البر والخير، النهي عن الإثم والعدوان، الدعاء للآخرين، حسن الظن، أداء حقوق الأخوة في الدين، الإحسان إلى الآخرين ولو كانوا الخصوم والأعداء، مقابلة السيئة بالحسنة، التبسم في وجوه الناس، إلى غير ذلك من مبادئ وقيم إسلامية حث عليها الإسلام، وكسب بها القلوب كما تكسب الحجة والبرهان العُقول.

وينبغي التأكيد هنا على أن رأس الأمر لكسب القلوب هو النية الصالحة، والدعوة بالتي هي أحسن، والرفق واللين والود والرحمة؛ فقد علَّم الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ أن لن يكسب قلوب البشر إلا بذلك؛ فقال: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾[آل عمران: ١٥٩].

ومن دواعي كسب القلوب: الورع، وصدق السريرة، والإخلاص، ومحبة الله؛ فإن الداعية مهما كان قوي الحجة، حاضر البديهة، فإن حجته وبديهته تعجز أمام عدم التوفيق والرضا من الله عز وجل؛ لأن الأصل في هذا هو أنه إذا رضي الله تعالىٰ عن العبد أرضىٰ العباد عنه، وفي هذا قال النبي ﷺ: **«إذا أحب الله العبد نادىٰ جبريل: إن الله يحب فلانا فَأَحْبِبْهُ، فَيُحِبُّهُ جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلانا فأَحِبُّوهُ، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القَبُول في الأرض»**(١)

ومن أسباب كسب القلوب: عدم منازعة الناس في دنياهم، أو منافستهم في المناصب، والإيثار علىٰ النفس مع وجود الخصاصة. كما قال تعالىٰ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[الحشر: ٩]، قال السعدي: (ومن أوصاف الأنصار التي فاقوا بها غيرهم، وتميزوا بها علىٰ من سواهم: الإيثار؛ وهو أكمل أنواع الجود، وهو الإيثار بمحاب النفس من الأموال وغيرها، وبذلها للآخرين مع الحاجة إليها، بل مع الضرورة والخصاصة، وهذا لا يكون إلا من خلق زكي، ومحبة لله تعالىٰ مقدمة علىٰ محبة شهوات النفس ولذاتها)(٢)

ومن فنون كسب القلوب أيضًا: التهادي، الابتسامة؛ فهما من أهم فنون التواصل والاتصال بين الناس، وصدق رسول الله ﷺ حيث قال: **«تبسمك في وجه أخيك لك صدقة»**(٣)

---

(١) تقدم تخريجه، (ص ١٣٢).

(٢) تفسير السعدي، (١/ ٨٥٠).

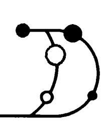
(٣) أخرجه الترمذي (١٩٥٦) وقال: حسن غريب، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

٤) صفات الشخصية المقنعة:

لقد خلق الله تعالىٰ الإنسان وجَبَلَه علىٰ حب الجدل وحب الاقتناع، ولا يقتنع الإنسان غالبًا إلا إذا اقترن الأمر بالدليل، لا سيما إذا كان الأمر مخالفًا لمسلماته وثوابته؛ فأهم ما يُنجح الحوار التواصلي هو: **الدليل الصحيح المقنع**، وكما قيل: إن كنت ناقلاً فالصحة، أو مدعيًا فالدليل، ولا يَحسن بالمحاور أن يستدل بأدلة ضعيفة أو حجج واهية، فدليلان قويان لا يمكن الرد عليهما أفضل من سَوقهما مع ثلاثة أدلة أخرىٰ يمكن الأخذ والرد فيها؛ إذ ربما يستغلها الطرف الآخر، فيضعف الفكرة ويسيء إلىٰ موقف صاحبها بسبب الأدلة الضعيفة.

وقد صرَّح القرآن الكريم بأن الإنسان مجادل بطبعه رغم وجود الحجج والبراهين الدامغة، والآيات الساطعة، والأمثلة المتعددة؛ كما قال تعالىٰ: ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴾ [الكهف: ٥٤]؛ أي خصومة ومماراة بالباطل؛ ﴿ يُجَـٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ ﴾ [الأنفال: ٦]، لذا، كانت الحاجة ماسة لوجود الشخصيات المقنعة القادرة علىٰ تقديم الحجج والبراهين الموصِّلة للحق المزهقة للباطل.

وتلك السمة هي أهم صفات الشخصية المقنعة، وأهم مقومات التواصل الاجتماعي الناجح. وفي هذا وصف الله تعالىٰ نبيه محمدًا ﷺ بأنه برهان، وبه الناس يهتدون، وبهديه يقتنعون؛ فقال تعالىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَـٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾ [النساء: ١٧٤]. كذلك يعلمنا الله ﷻ كيفية الإقناع والاقتناع؛ وذلك بطلب الحجة والبراهين، حتىٰ لو كان الأمر مما يُجادَل فيه. فقد خاطب الله عز وجل الكفار والمشركين -رغم علمه سبحانه بكذبهم وادعائهم- أربع مرات قائلاً: **(قل هاتوا**



برهانكم)؛ وذلك في قوله تبارك تعالىٰ: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١]، ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٤]، ﴿أَمَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [النمل: ٦٤]، ﴿وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓاْ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ [القصص: ٧٥].

ففي هذه النصوص: يأمر الله عز وجل رسوله محمدًا ﷺ بأن يطالب المشركين بتقديم برهانهم علىٰ ما يدَّعون سواء أكان هذا البرهان عقليًا أم نقليًا، وفي هذا إشارة إلىٰ ضرورة الالتزام بالطرق المنطقية السليمة التي تقتضي: تقديم الأدلة المثبتة أو المرجحة للأمور المدعاة، وإثبات صحة النقل للأمور المنقولة المروية.

وهذان الأمران هما المقصودان بالقاعدة القائلة: (**إن كنت ناقلاً فالصحة، أو مدعيًا فالدليل**).

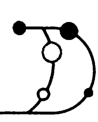
وفي المقابل، عاب القرآن الكريم علىٰ من يرىٰ الدليل ولا يقتنع عنادًا وكفرًا؛ قال تعالىٰ: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الأنعام: ٢٥]، فهؤلاء يستمعون إلىٰ الدعوة ولكن قلوبهم مغلقة، وآذانهم مسدودة، وليس لديهم من البراهين إلا القول: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ كفرًا وعنادًا.

وفي ضوء ما سبق، يمكن القول: إن أهم صفات الشخصية المقنعة هي: التواصل المقترن بالحجة الواضحة، والدليل النقلي الصحيح، والبرهان العقلي القوي، إلا أن هذه السمة تتطلب أول ما تتطلب:

- **التمكن من العلم والمعرفة**؛ حيث الإحاطة بالموضوع محل النقاش، فضلاً عن التزود بالثقافة العامة التي تجعل الداعية قويًا في حجته أمام خصومه من خلال وعيه بعناصر القضية.

ويجب علىٰ الداعي العلم بما يدعو إليه، وهذا يعني أن يكون موقنًا بأن الذي يدعو إليه هو الإسلام، وأنه دين متين يشمل جميع عمل الإنسان وعلاقاته بربه ثم بجميع المخلوقات، والعالم من حوله، وأن العلوم التي جاء بها الدين من الاتساع والشمول والعمق مما لا يحيط به إلا الأفذاذ من الرجال، ولا يجمعه إلا الفحول من العلماء، ولا يفقهه حق الفقه إلا الأفراد من الراسخين في العلم. لذا، كان لا بد للداعي إلىٰ الله أن لا يقدم علىٰ أمر من أمور الدين إلا بعد العلم به، ولا يفتي في مسألة إلا بعد فقه نواحيها، ولا يدعو الناس إلا بعد العلم أن ما يدعو إليه هو ما أمر به الله ورسوله، ولا ينهىٰ عن شيء إلا بعد العلم أن ما ينهىٰ عنه هو مما نهىٰ الله ورسوله عنه. أما الدعوة علىٰ جهل، فتؤدي إلىٰ فساد الدين؛ فكثير من الناس دعوا علىٰ جهل فضلوا وأضلوا.

- **الحرية في التفكير.**
- **التخلص من التعصب والانحياز لأي فكر بلا برهان.**
- **الالتزام بقواعد المنطق في التفكير**؛ من حيث: تقديم الفكرة والتدليل عليها، قبول ما يطرحه الطرف الآخر ما دام أنه وصل إليه بالمنطق السليم والحجة العقلية الداحضة.
- **العمل بالعلم**: العمل بما يدعو إليه؛ فالداعية المربي يجب أن يكون عاملاً بما يدعو الناس إليه، فإذا دعا غيره إلىٰ خير كان أسبق الناس إليه، وإذا نهاهم عن شر كان أبعد الناس منه، متمثلاً في ذلك قول نبي الله شعيب عليه السلام: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ



مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [هود: ٨٨]. فالداعية إلىٰ الله عز وجل ينبغي أن يكون ذا سيرة حسنة، وذا عمل صالح، وذا خلق فاضل حتىٰ يُقتدىٰ بأفعاله وأقواله.

وإضافة لما سبق، فإن ثمة سمات أخرىٰ تتسم بها الشخصية المقنعة ولعلها تتضح في العنصر التالي.

٥) مهارات إقناع الآخرين:

لكي يكون الإقناع مؤثراً حقًا يجب توافر ثلاثة عناصر: الثقة، المنطق، العاطفة:

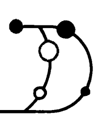
- الثقة: بمعنىٰ أن تزرع الثقة بما تقول في نفسية الطرف الآخر عن طريق لغة الجسد، وهيئة الصوت، ونغمته والاستعداد الشخصي. فدائمًا كن واثقًا تمامًا في صحة ما تريد الإقناع به، وتأكد بأن كافة نقاطك مدعمّة حتّىٰ تُجيب علىٰ كافة الاستفسارات بثبات وعقلانية.

- المنطق: اعرض وجهة نظرك بطريقة منطقية لا مراء فيها، واجعل حديثك متناسقًا ومنظمًا، ونقاطك متسلسلة تصل بشكل سهل ومفهوم.

- العاطفة: حرّك المشاعر في الشخص الآخر، وأقنعه بأن لديك هدفًا واحدًا هو مساعدته.

وإليك بعض الخطوات التي قد تعينك علىٰ امتلاك مهارة إقناع الطرف الآخر بحيث تستطيع إقناعه بوجهة نظرك دون أن تسبب له جرحًا أو إحراجًا:

- ابدأ حديثك بالثناء علىٰ الطرف الآخر وإظهار ثقتك في قدراته.
- ابدأ بنقاط الاتفاق وابتعد عن نقاط الخلاف.
- قدِّر أفكار محدثك، وأظهر احترامًا لها.
- لا تجادل.
- إذا أخطأت فسلم بخطئك.
- لا تغضب، وكن ليِّنًا في حديثك.



- تحكم في الأعصاب والانفعالات؛ فمن لا يتحكم في أعصابه يخسر قضيته.

- استخدم أدلة قطعية الدلالة، وقطعية الثبوت، واترك الأدلة ظنية الثبوت أو ظنية الدلالة ما لم تكن مضطرًا، واستعد لما بعدها.

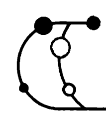
- استشهد ما استطعت بما يمثل لدىٰ الطرف الآخر قيمة مقنعة: (نصوص، شواهد، أشخاص، تجارب، نوِّع الأدلة)، واستخدم التعبيرات والقصص والأمثلة المعبرة، والمناسبة له أيضًا.

- لا تعارض نفسك أبدًا؛ سواء في نفس المجلس أو مع تصريحات وآراء أخرىٰ ذكرتها قبل ذلك، وإذا حدث هذا فنبِّه عليه بوضوح: (سبق أن قلت كذا، والآن أعدل عنه إلىٰ كذا... للسبب...).

- توقع وحلِّل -ما استطعت- نقاط القوة والضعف، والفرص والتهديدات عندك، ولدىٰ الطرف الآخر أيضًا.

- احذر الظهور بمظهر المتعالي، أو الدخول في معركة شخصية، أو الدعابات غير المناسبة، أو الاستغراق في التفاصيل؛ وإن كانت تخص الهدف الرئيس.

- خاطب الوعي وغير الوعي؛ فالمتلقي له وجهان يجب إقناعهما: وجه منطقي واعٍ، ووجه داخلي شعوري غير واعٍ، ويجب استهدافهما معًا؛ يُستهدف الأول بالأدلة المنطقية الرقمية السببية الحسابية، ويستهدف الثاني بالأدلة الشعورية القصصية، ومن لم يستطع أن يخاطب الفرعين سيكتشف أنه مُفْحِم ليس بمُقْنِع، أو أن المتلقي يريد أن يقتنع ولكن لم يستطع!



- استخدم ألفاظ الربط للانتقال من فكرة إلىٰ أخرىٰ؛ مثل ألفاظ: بما أن، إذن، وحينما يكون، بناء عليه، بالمقارنة، ويترتب علىٰ ذلك.. إلخ؛ فهذه الألفاظ تسهم في توضح نتيجة، أو تأكيد معنىٰ، أو تضيف إليه جديدًا.

- التركيز علىٰ الأفكار الجوهرية في الموضوع، وامتلاك حجج دامغة، وبراهين لاستمالة أفكار المخاطب.

- انتق عباراتك، واختر كلماتك، وهذّب ألفاظك، وابتعد عن الشدة والضغط، وفرض الرأي.

- أحسن اختيار موضوعك وطريقة عرضك.

- أحسن استخدام لغة الجسد في الإفهام والإيضاح والإفصاح والمصداقية والتأثير.

- راعِ أحوال المخاطبين، وأصنافهم، وسماتهم، وقدراتهم، ومراكزهم.

- الإنصات الجيد وحسن الاستماع، فالعاقل وحده هو الذي يدرك أنه جُعلت له أذنان وفم واحد ليسمع أكثر مما يقول.

- اختيار الوقت والمكان المناسبين للدعوة القولية والعملية، حتىٰ لا يَكرَهه المدعوون ولا يمل من حديثه المستمعون. وقد أوضح القرآن في قصة نبي الله موسىٰ عليه السلام مع الطاغية فرعون كيف أدار موسىٰ معركته معه مراعيًا في ذلك أهمية الزمان والمكان؛ قال تعالىٰ: ﴿ فَٱجۡعَلۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكَ مَوۡعِدٗا لَّا نُخۡلِفُهُۥ نَحۡنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانٗا سُوٗى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوۡعِدُكُمۡ يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحۡشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحٗى ﴾ [طه: ٥٨-٥٩].

●●•●●

المبحث الرابع

التربية على القيم والأخلاق ومهارات تعديل السلوك

القيمة واحدة القيم، وهي تتضمن معاني كثيرة مثل: القوة، والصحة الجيدة، والمقاومة والصلابة، والثبات علىٰ الشيء، والاستقامة والصلاح، والاعتدال والاستواء، والثمن والقدر والمنزلة، والسياسة والرعاية، كما تستخدم القيمة للدلالة علىٰ: المعايير والأحكام التي يصدرها الإنسان علىٰ شيء ما مهتديًا بمجموعة من المبادئ والتوجهات العقدية والأخلاقية التي ترتضيها الجماعة، والتي تحدد المرغوب فيه والمرغوب عنه من السلوك، بشرط أن تنال هذه الأحكام قبولاً من المجتمع، فتتجسد في سلوكيات الفرد واتجاهاته واهتماماته. ومن ثم، فالقيم: معايير تحدد ما ينبغي أن يكون، وأنها تكتسب نتيجة مرور الفرد بخبرة، أو احتكاكه بمواقف ومثيرات خلال عملية التنشئة الاجتماعية.

وللقيم عامة، وفي الإسلام خاصة، مكونات وعناصر، هي:

- **المعرفة**: وتتمثل في إدراك الفرد للمفاهيم والأفكار والمبادئ والمعتقدات الدينية.
- **الوجدان**: ويتمثل في القبول الانفعالي للقيمة.
- **النزوع**: ويتمثل في الرغبة في تحقيق قيمة ما.

- **السلوك أو العمل**: وهو الثمرة الطبعية للإيمان والحركة الذاتية التي تبدأ في تلك اللحظة التي تستقر فيها حقيقة الإيمان في القلب، والترجمة الفعلية أو التطبيق والتجسيد لما آمن به الفرد واعتنقه من مبادئ وقيم.

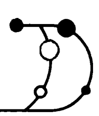
فالقيم نقطة تلتقي فيها المعرفة مع السلوك، أو العلم مع العمل به؛ انطلاقًا من أن القيم موجهات عامة للسلوك، كما أن العمل بها قائم علىٰ رؤية وتفكير وتعقل، فليس هناك علم بلا عمل، ولا عمل دون علم في مجال القيم، بل هناك حياة متكاملة قوامها: المعرفة، والمشاركة في بناء الشخصية، ومن ثم تأخذ القيم طابع التطبيق العملي.

ا) أهمية القيم:

تستمد القيم الدينية أهميتها من الإسلام الذي يختلف عن الشرائع والفلسفات الوضعية التي كانت ولا تزال يعتريها النقص، وتتأثر بالمصالح، وتسيطر عليها الأهواء، ومن ثم كانت علاجاتها ناقصة، وهذا ما جعل العلماء والمفكرين يفرقون بين القيم الدينية وسائر القيم في المكانة والمرتبة؛ حيث تحتل القيم الدينية المرتبة العليا في المكانة لأهميتها؛ ويمكن توضيح ذلك فيما يأتي:

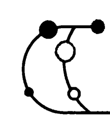
أ. أنها تقدم للفرد والمجتمع حقائق الحياة:

تقدم القيم الإسلامية للفرد والمجتمع مجموعة من الحقائق المتعلقة بالله والكون والحياة والإنسان؛ فهي توضح للفرد أن الله واحد لا شريك له في ذاته، وفي صفاته، وفي أفعاله، متصف بجميع صفات الكمال والجمال، ما شاء كان، ومالم يشأ لم يكن؛ قال تعالىٰ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].



كما تبين القيم الإسلامية للإنسان أن الكون المشاهد والغيبي -بكل ما فيه من سماء وأرض، وكواكب ونجوم، ونبات وجمادات- هو داخل ضمن مخلوقات الله. وبما أنه كذلك فإنه منقاد ومسلِّم له سبحانه، كما أن الله سبحانه وتعالىٰ سخَّره بكل ما فيه لخدمة الإنسان؛ بما وهبه من بصر وسمع وعقل يساعده علىٰ اكتشاف ما في هذا الكون من خيرات وقوىٰ، واستثماره لنفعه.

وجاء تصور القيم الإسلامية للحياة تصورًا فريدًا شاملاً ومميزًا؛ فالحياة وفقًا لهذا التصور ليست تلك المدة المحددة التي تمثل عمر الفرد أو عمر الأمة، إنما تمتد طولاً في الزمان، وعرضًا في الآفاق، وعمقًا في العوالم، وتنوعًا في الحقيقة؛ تمتد في الزمان لتشمل الوقت المشهود: الحياة الدنيا، وتشمل الحياة الآخرة، وتمتد في المكان فتضيف إلىٰ هذه الأرض دارًا أخرىٰ: جنة ونارًا، وتمتد في العوالم فتشمل هذا الوجود المشهود والوجود المغيب الذي لا يعلم حقيقته إلا الله، ومعنىٰ ذلك أنه ليس هناك طريق مستقل للحياة الدنيا وآخر للآخرة، إنما هو طريق واحد تصلح به الدنيا والآخرة، والمنهج الإيماني للحياة لا يجعل الدين بديلاً عن الدنيا، ولا طريق الآخرة غير طرق الدنيا، لكن الأصل أن تلتقي فيه الدنيا مع الآخرة، وأن يكون الطريق إلىٰ صلاح الآخرة هو ذاته الطريق إلىٰ صلاح الدنيا، ومن ثم تجمع القيم الإسلامية بين العمل للدنيا والعمل للآخرة في توافق وتناسق؛ فلا يُفوِّت الإنسان دنياه لينال آخرته؛ ولا يُغْفِل آخرته لينال دنياه؛ فالعمل والإنتاج والتنمية فريضة الاستخلاف في الأرض، والإيمان والتقوىٰ والعبادة والأخلاق تمثل الارتباطات والضوابط والدوافع لتحقيق هذا المنهج في الحياة؛ كما قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ [القصص: ٧٧].



والإنسان في نظر الإسلام أكرمُ الكائنات؛ كرَّمه الله سبحانه وتعالىٰ، وخلقه في أحسن تقويم، وجعله خليفة في الأرض، وعلمه الأسماء كلها، وأمر الملائكة أن تسجد له، ولم يجعل واسطة بينه وبين الإنسان في دعائه ولا في عبادته، وزوَّده بأدوات العلم والتعلم، واختصه بالرعاية والتربية والهداية، وجعله كائنًا مخيرًا بعد ما نفخ فيه من روحه، وجعله مستعدًا لحمل الأمانة الكبرىٰ؛ أمانة التكليف والمسؤولية، وجعل مصيره بيده بعد أن بيَّن له طريق الهداية والرشاد، إلىٰ غير ذلك من مظاهر تكريم الإنسان.

ب. القيم الإسلامية سبيل التقدم الحضاري:

إن أي حضارة لا بد أن تقوم علىٰ جانبين هما: الجانب المعنوي (ويتمثل في العقيدة والفكر والمعرفة)، والجانب المادي (الذي يقوم علىٰ العمل الجاد الموصل إلىٰ التقدم في شتىٰ المجالات).

لكن بعض أصحاب الفلسفات المادية يرىٰ أن القيم الدينية تعوق التقدم الحضاري للمجتمع؛ من حيث كونها: بناءات فوقية تؤدي بالإنسان إلىٰ الاغتراب وانفصاله عن واقعه. وهذا التصور يصدق علىٰ الديانات المحرفة، والمناهج الأرضية، لكن الواقع في الإسلام غير ذلك؛ فالإسلام عقيدة ثابتة راسخة؛ تقوم علىٰ العلم اليقيني الثابت؛ عقيدة سلمت من التحريف والتبديل، تدعو إلىٰ النظر والتأمل والتفكير، كما أن الإسلام يدعو إلىٰ العمل، وليس أدل علىٰ قيمة العمل في الإسلام من أن القرآن قرن الإيمان بالعمل، وجعل العمل ثمرة الإيمان وبرهانه، فضلاً عن كون العمل تطبيقًا وتجسيدًا لما آمن به المرء واعتنقه من مبادئ. ومن ثم، فالإسلام ليس عقيدة فحسب، بل هو أيضًا دين حضارة قائمة، وحياة كاملة للإنسان، وتفكير

صحيح، وعمل صالح لا يقصر نشاطه وسعيه علىٰ تحصيل الحياة الدنيا المادية فقط، بل يراعي في عمله أيضًا الهدف الأساس في الحياة والوجود كله: الله والإيمان به.

ج. القيم الإسلامية سبيل الصحة النفسية:

يعمل الإسلام علىٰ تكوين نظام ثابت من القيم يعد ركيزة أساسًا يقوم عليها تكيُّف الإنسان، وبقدر ما يستند تفكيره وسلوكه علىٰ هذا النظام بقدر ما يكون أقدر علىٰ التكيُّف النفسي والفكري السليم، ومما لاشك فيه أن القيم الإسلامية إذا ما رسخت في صورة ضمير حي يهدي الإنسان إلىٰ جادة الطريق، ضمنت ألا تتعدد معاييره، ومن ثم تنتفي الصراعات الداخلية التي قد يعاني منها الفرد، كذلك من شأن القيم الإسلامية أن تقضي علىٰ الشعور بالقلق والحيرة والشك والارتياب والاغتراب في الحياة، وتبعث أو تحقق الأمل؛ فالأمل والإيمان خلقان متلازمان مكمل أحدهما الآخر؛ فالمؤمن من أكثر الناس أملاً وتفاؤلاً واستبشارًا، وأبعدهم عن التبرم والضجر، ومن ثم كانت النفس الخاوية من القيم الإسلامية نفسًا ضائعة حائرة، لا تطمئن ولا تستريح. ويدل علىٰ ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١]. وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾[الحج: ٣١].

ولقد أظهرت الدراسات الحديثة أن هناك علاقة قوية بين القيم والتوافق النفسي، وأن هناك علاقة ارتباطية فاعلة بين القيم الدينية وسمات الشخصية: (السيطرة، والمسؤولية، والاتزان الانفعالي، والاجتماعية، والحرص، والتفكير، والعلاقات الشخصية والحيوية).

وفي ضوء ما سبق، فإن أهمية القيم علىٰ مستوىٰ الفرد تتمثل في أنها:

- تزود الفرد بمعايير للحكم علىٰ المواقف والأفكار والسلوكيات؛ فتُعرِّفه بالصواب والخطأ، والمقبول والمرفوض، فيعيش منسجمًا مع ذاته، متصالحًا مع نفسه، متوائمًا مع مجتمعه، متكيفًا مع الآخرين، مما يمنحه السعادة والاستقرار النفسي والاجتماعي.

- تحفظ الفرد من شرور نفسه وغيره؛ فتمنعه من الانزلاق في شبهات الفكر، وشهوات النفس، وانحرافات السلوك.

- تزود الفرد بعوامل النجاح والتميز، وتحقق للحياة معناها السامي، وتدفع الإنسان إلىٰ كل عمل مفيد.

- تشبع الفرد بحاجاته الروحية والمادية، وتهذب سلوكه بالفضيلة ومحاسن الأخلاق؛ فيكسب حب الله وحب الناس، فينعم بالأمن والأمان.

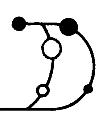
أما علىٰ مستوىٰ المجتمع، فتتمثل أهمية القيم في أنها:

- تعد مرجعًا يحتكم إليه المجتمع.

- تعد أساسًا من أسس بناء المجتمعات والمحافظة عليها؛ من خلال تحديد منظومة قيمية تحكم سلوكيات كافة أفراد المجتمع، وتوجهها حسب الأولويات.

- تحفظ للمجتمع هويته الثقافية، وتميزه الحضاري، وتحميه من أي صراع قيمي أو غزو فكري.

- تقي المجتمع من الأمراض والآفات الاجتماعية -مثل: الظلم، والعنف، والفساد- التي تهدد بقاءه واستقراره وتماسكه.



- تحدد للمجتمع معايير الانفتاح والتعامل مع المجتمعات الأخرىٰ، والاستفادة من منجزاتها الحضارية في إطار متوازن يجمع بين الأصالة والمعاصرة.

- تعد القيم مؤشرًا علىٰ التنبؤ بمستقبل المجتمعات من حيث الرقي والتقدم أو التدهور؛

فإنما الأمم الأخلاق ما بقيت　　　فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

٢) مراحل تكّون القيم:

تتعدد العوامل التي تؤثر في عملية اكتساب القيم وتكوينها عند المتربين. ومن أهم القضايا التي يجب ملاحظتها في عملية مراحل تكُّون القيم أو نموها ما يأتي:

- يبدأ تكُّون القيم في مرحلة الطفولة المبكرة، ويستمر في عمليات الارتقاء حتىٰ نهاية العمر، لكنها قد تتعرض للتغيير. والتغير والثبات هو نتيجة اهتمامات الفرد، والمؤثرات الدينية، والمعرفية، والنفسية، والاجتماعية، والسياسية، التي يتعرض لها.

- تتكون القيم لدىٰ الفرد منذ سنواته الأولىٰ؛ ففي مرحلة الطفولة ومنذ سن السادسة يبدأ الطفل في تشرب منظومة محددة من القيم من خلال: والديه وأقاربه والمقربين إليهم. وتتسم القيم في هذه المرحلة بالتلقائية دون الوعي الشعوري الكافي بمضامينها ونواحيها السلوكية المختلفة.

- تأخذ القيم في مرحلة المراهقة مضمونها الإدراكي والوجداني والنزوعي، وتصبح محكًا مرجعيًا مهمًا لقرار الفرد في سن الخامسة عشرة والسادسة عشرة، وتكون القيم أكثر طواعية للتكون والتغير من خلال معايشة الخبرات التربوية.

- تحدث مع نمو الفرد عمليات اكتساب قيم جديدة والتخلي عن قيم أخرىٰ.

- يسير النسق القيمي في مرحلة الرشد من السهولة إلىٰ التعقيد، ومن طور الوسائل إلىٰ طور الغايات، مما يؤدي إلىٰ الثبات النسبي للمنظومة القيمية حتىٰ تصبح مقومًا أساسًا للسلوك، ومعيارًا واعيًا للحكم علىٰ الأشياء والأفكار، والعمل بمقتضياتها.

- تلتئم القيم في إطار قيمي شامل متكامل، تؤلف كلُّ عناصره أو قيمه منظومة أو نسقًا قيميًا للفرد.

وعليه، يمكن القول إجمالاً: إن تكون القيم يمر بمراحل أربع، هي:

- مرحلة التطبيع: من الولادة حتىٰ السابعة، وهي مرحلة غرس القيم.
- مرحلة التقليد: من السابعة حتىٰ الرابعة عشرة، وهي مرحلة تكون القيم.
- المرحلة الاجتماعية: من الرابعة عشرة حتىٰ الحادية والعشرين.
- المرحلة العلمية: من الحادية والعشرين حتىٰ الخامسة والثلاثين.

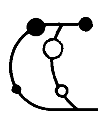
٣) طرائق التربية على القيم:

ثمة طرائق عديدة لغرس القيم وتنميتها لدىٰ المتربين، وفيما يلي عرض موجز لأهم هذه الوسائل أو الطرائق:

أ) القدوة: وهي من أنجح الوسائل التربوية في غرس القيم وتنميتها، وقد يكون هذا هو السر في أن الله بعث معلم البشرية بشرًا منهم؛ يأكل ويشرب، وينام ويصحو، هذا ليطبق شريعة الله عمليًا ويكون من اليسير علىٰ الأمة أن يحاكوه؛ لأنه بشر مثلهم وليس من الملائكة ولا من الجن، ومن هنا نتعلم أن القدوة ليست كلامًا يقال بالألسنة، وإنما سلوك عملي قبل كل شيء، ويكفي القول هنا: إن أثر فعل شخص واحد في ألف شخص خير من أثر قول ألف شخص في شخص واحد.

ب) القصة: لا يملك قارئ القصة أن يتجاهل أشخاصها وحوادثها؛ فهو علىٰ وعي منه أو غير وعي يدس نفسه علىٰ مسرح الحوادث، ويتخيل أنه كان في هذا الموقف أو ذاك، ويروح يوازن بين نفسه وأبطال القصة، فيوافق أو يستنكر أو يملكه الإعجاب. ويدرك الإسلام هذا الميل الفطري للقصة، ويدرك ما لها من تأثير ساحر علىٰ القلوب، ومن ثم أورد القرآن الكريم القصص التاريخية الواقعية مثل: قصص الأنبياء، وقصص المكذبين بالرسالات، كما أورد القرآن الكريم القصة التمثيلية التي لا تمثل واقعة بذاتها ولكنها يمكن أن تحدث في أي لحظة من اللحظات، وفي أي عصر من العصور؛ كالأمثال التي ضربها الله في القرآن، وهي كثيرة. وكل ذلك بغرض غرس القيم في كافة جوانب الشخصية: العقدية، والتعبدية، والاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، والعقلية، والمعرفية، والوجدانية.

ج) الموعظة: للموعظة الحسنة تأثير عاطفي كبير في الإنسان؛ لما لها من نفاذ إلىٰ القلوب، وإصغاء من الوجدان، وسيطرة علىٰ المشاعر، وخاصة إذا كانت في بيئة صالحة. ولذا نجد القرآن يتخذها أسلوبًا في مخاطبة الكبار والصغار، أما الصغار: فلأن الموعظة تجد عندهم انتباهًا واهتمامًا، وأما الكبار: فقد تفيد الموعظة معهم إذا جاءت في المواقف المناسبة؛ وخاصة إذا كانت القلوب متفتحة، والعقول علىٰ استعداد لأن تعي ما يقال. فيجب أن يكون استخدام الموعظة بأسلوب محبب لطيف وغير ممل. وحين توجد القدوة الحسنة بجانب الموعظة، فإن الموعظة تكون ذات أثر بالغ في النفس؛ حيث توجد في النفس البشرية دوافع فطرية في حاجة دائمة للتوجيه والتهذيب، ولا بد في هذا من الموعظة.



د) الترغيب والترهيب: الترغيب والترهيب من المراحل الأولية في تزكية النفس وتهذيبها؛ إذ الخوف من المعصية بما يترتب عليها من عذاب وعقاب من الله يكون البداية، ثم تتعود النفس عن طريق الممارسة حتىٰ تصل إلىٰ درجة الابتعاد عن المعصية لقبحها، كما أن حب الفضيلة والاستقامة والطاعة تكون لما يترتب عليها من جزاء حسن ومثوبة من الله، حتىٰ يصل المرء إلىٰ درجة حب الفضائل لذاتها، ثم يرتقي إلىٰ منزلة الإحسان. والإنسان مفطور علىٰ الإحساس باللذة والألم، وهو بذلك ميال إلىٰ كل ما يحقق له اللذة، وعازف عن كل ما يسبب له الألم، ولهذا العامل تأثير كبير في تربية الإنسان وتوجيه سلوكه من خلال الترغيب والترهيب.

هـ) التربية بالأحداث: استثمر القرآن الكريم الأحداث والحوادث التي تقع للأمة الإسلامية في منشئها للتوجيه والتربية، وغرس الفضائل، والتنفير من الرذائل. والمربي البارع لا يترك الأحداث تذهب سدىٰ بغير عبرة وبغير توجيه، وإنما يستثمرها لتربية النفوس وصقلها وتهذيبها، فلا يكون أثرها موقوتًا لا يلبث أن يضيع.

٤) مبادئ تعديل السلوك وخطواته:

إن المتأمل في تاريخ الدعوة الإسلامية يجد أن الإسلام قد انتشر اعتمادًا علىٰ أساليب تتعامل مع النفس البشرية بكلياتها؛ أساليب بدأت بتصحيح العقيدة وما أحاط بها من انحرافات خطيرة، حتىٰ إذا قويت العقيدة وصح العقل: بدأ تعديل السلوك في العلاقات والمعاملات، وبتدرج واضح جعل هذا التغيير يرسخ ويصبح حياة لكل مسلم.

وقد غابت -نسبيًا- مفاهيم تحديد السلوك وتغييره في العصور المتأخرة، ولم يهتم بها كثير من العاملين والمختصين في مجال تعديل السلوك إلا منذ سنوات قليلة

مضت؛ وهو فرع من فروع العلاج والإرشاد النفسي، قام علىٰ أساس مبادئ التعلم ونظرياته، ثم علىٰ نظرية التعلم الاجتماعي التي ترىٰ أن تأثير البيئة علىٰ اكتساب السلوك وتنظيمه يتحدد من خلال العمليات المعرفية.

وإذا كان السلوك الإنساني يُعرف بأنه: كل الأفعال والنشاطات التي تصدر عن الفرد - سواءً كانت ظاهرة (يمكن ملاحظتها كالكلام)، أم غير ظاهرة (غير ملحوظة كالتفكير) - فإن المقصود بتعديل السلوك: عملية تقوية السلوك المرغوب به من ناحية، وإضعاف السلوك غير المرغوب به من ناحية أخرىٰ أو إزالته تمامًا. وحتىٰ يحدث التغيير يحتاج المربي إلىٰ معرفة الإجراءات المطلوبة لتعديل السلوك، ويمكن تحديد المبادئ والخطوات الأساس لتعديل السلوك فيما يأتي:

أ. تحديد السلوك الذي يريد تعديله أو علاجه؛ فيجب تحديد السلوكيات التي سيتم قياسها، مع الأخذ بعين الاعتبار عدم محاولة قياس أكثر من سلوك واحد أو سلوكين في آن واحد؛ لأن ذلك سيقلل من احتمال الحصول علىٰ معلومات دقيقة.

ب. قياس السلوك المستهدف؛ وذلك بجمع ملاحظات وبيانات عن عدد المرات التي يظهر فيها السلوك، ومدىٰ شدّته، ومدىٰ استمراره وتكراره. ومن أدوات قياس السلوك: المقابلة الشخصية، الملاحظة المباشرة، الاستبانات، والمقاييس.

ج. تحديد الظروف أو العوامل السابقة التي أدت إلىٰ ظهور السلوك غير المرغوب فيه؛ (تاريخ حدوثه، الوقت الذي استغرقه، مع من حدث؟ كم مرة يحدث؟ ما الذي يحدث قبل ظهور السلوك؟ كيف استجاب الآخرون؟ ما المكاسب التي جناها المتربي من جراء سلوكه؟ وأي ملحوظات ترتبط بظهور المشكلة).

د. تصميم خطة فنية لتدعيم ظهور السلوك المرغوب من خلالها، وإيقاف السلوك غير المرغوب أو تقليله.

هـ. تقويم فعالية الخطة، وتلخيص النتائج، وإيصالها إلىٰ من يهمهم الأمر.

٥) أساليب تعديل السلوك:

تهدف أساليب تعديل السلوك إلىٰ تحقيق تغييرات في سلوك الفرد لكي يجعل حياته وحياة المحيطين به أكثر حيوية وفاعلية، وقد استخدم علم النفس السلوكي في تعديل السلوك أساليب كثيرة؛ أهمها: التعزيز، الإطفاء، العقاب، اتخاذ القرارات، ضبط الذات، التعميم، وقف الأفكار، التمييز، حل المشكلات، التكوين، التسلسل، التحصين ضد الضغوط، التلقين، التعاقد السلوكي، السحب التدريجي أو التلاشي، تقليل الحساسية التدريجي، الإرشاد باللعب، العلاج بالتنفير، الإقصاء، توكيد الذات، التصحيح الزائد، الاسترخاء، الممارسة العكسية، التنفيس الانفعالي، الكف المتبادل، النمذجة، مهارات التعايش، تمثيل المهمات، الإشباع، استخدام الأنشطة، الإرشاد الديني.

فمثلاً أسلوب التعزيز يعني: الإثابة علىٰ السلوك السوي بكلمة طيبة، أو ابتسامة عند المقابلة، أو الثناء عليه أمام الآخرين، أو منح هدية مناسبة، أو الدعاء بالتوفيق والفلاح؛ مما يعزز هذا السلوك ويدعمه ويثبته، ويدفعه إلىٰ تكرار السلوك نفسه إذا تكرر الموقف. أما أسلوب الإطفاء فيقوم علىٰ التجاهل المتواصل للسلوك الخطأ، وعدم التعليق عليه أو لفت النظر إليه حتىٰ ينطفئ ويكف، وهكذا.

ولتأصيل هذا الموضوع يتبين للقارئ سبق الإسلام في تعديل الانحرافات السلوكية ومعالجتها، مع تنوع الأساليب وتعددها حسب تنوع المواقف والأخطاء

السلوكية وتعددها، والمستقرئ لكتب السنة يجد أن النبي ﷺ استخدم أساليب عديدة في تعديل السلوك؛ منها:

أ. التذكير بالعقوبة والحرمان من الثواب:

إن الإنسان إذا عرف العقوبة المترتبة علىٰ الانحراف السلوكي، فإن ذلك سيكون رادعًا له عن الوقوع في ذلك الانحراف أو الاستمرار فيه، لذلك كان النبي ﷺ يخبر أصحابه بالعقوبة المترتبة علىٰ الانحراف؛ سواءً قبل الوقوع في الانحراف، أو في أثنائه، أو بعده.

ب. الثناء على من ابتعد عن السلوك الخطأ، والتهديد والوعيد لمن وقع فيه:

التهديد والوعيد بعقاب الله ﷻ الأخروي يعجل لصاحب السلوك غير المرغوب فيه العودة والأوبة للحق والصواب. وقد استخدم النبي ﷺ هذا الأسلوب في أكثر من موضع؛ كما في حديث النفر الثلاثة الذين جاؤوا إلىٰ حلقة النبي ﷺ وهو في المسجد، فوجد أحدهم فرجة فجلس، واستحيا الثاني، وأعرض الثالث، فلما فرغ رسول الله ﷺ قال: «**ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟ أما أحدهم فأوىٰ إلىٰ الله فآواه الله، وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه، وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه**»[1]

فكان حديث النبي ﷺ وثناؤه علىٰ الذي آوىٰ فآواه الله مرغبًا للصحابة في المبادرة لحلقات الذكر ودروس العلم، كيف لا، وقد أخبر أن الله عز وجل آوىٰ من أوىٰ إلىٰ حلقة الذكر، وكذلك الذي استحيا فاستحيا الله منه، بخلاف الذي أعرض عن حلقة الذكر، فكلهم لا يحبون أن يكونوا مكان ذلك الرجل.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦)، ومسلم (٢١٧٦).

ج. إنكار السلوك الخطأ، تعليم المخطئ، التكرار لفهم الخطأ:

إن الإنكار على مرتكب الانحراف السلوكي بالصوت أو بالإشارة هو من هدي النبي ﷺ، خاصة إن كان هذا الانحراف واقعًا من أناس كُثُر هم بحاجة أن يصلهم جميعًا صوته، وفي هذه الحالة كان ﷺ يرفع صوته؛ فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: خلف رسول الله ﷺ في سفر سافرناه، فأدركنا وقد أَرْهَقْنَا الصلاةَ، صلاة العصر، ونحن نتوضأ، فجعلنا نمسح على أرجلنا فنادى بأعلى صوته: «**وَيْلٌ للأعقاب من النار**» مرتين أو ثلاثًا[1]. ولأن الواقع في الانحراف لا يعدو أن يكون جاهلاً أو ناسيًا أو متبعًا لهواه، فهو بحاجة إلى أن يُعلَّم الصواب، ثم تكرار ذلك لبيان الانحراف وخطره والعقوبة المترتبة عليه، وهذا ما فعله النبي ﷺ.

د. التحذير من فعل السلوك الخطأ، والغضب عند تكراره:

عملية التحذير من الآثار المتعدية لأي انحراف هي سبيل من سبل العلاج، وهو ما فعله النبي ﷺ مع معاذ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حيث نهاه عن التطويل في الصلاة، ثم لما أطال الصلاة واشتكى أحد من صلى خلفه للنبي ﷺ غضب. يقول أبو مسعود الأنصاري ﷺ: فما رأيت النبي ﷺ في موعظة أشد غضبا من يومئذ، فقال: «**أيها الناس، إنكم منفرون، فمن صلى بالناس فليخفف؛ فإن فيهم المريض، والضعيف، وذا الحاجة**»[2].

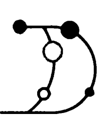
هـ. الأمر بما هو أولى للبعد عن السلوك الخاطئ:

إن الأمر بما هو أولى من الوقوع في السلوك الخاطئ هو الأصل في الدين الإسلامي، وما فعله النبي ﷺ من نهي الصحابة ﷺ بعدما حصبوا الباب بالحصى

---

(١) أخرجه البخاري (٩٦)، ومسلم (٢٤٠).

(٢) أخرجه البخاري (٩٠)، ومسلم (٤٦٦).



وقت انتظارهم له أن يخرج للصلاة كان حثًّا منه عليه الصلاة والسلام لمن كان ذا نشاط أن يُصَلِّيَ الليل في بيته خشية منه أن تفرض صلاة الليل عليهم ولا يستطيعونها، وإذا ما ترك الأمر لهم ليُصَلِّيَ الواحد منهم قدر ما يستطيع فإنه أخف عليهم وأرأف بحالهم، بل أشار عليه الصلاة والسلام بقوله: «**إن خير صلاة المرء في بيته إلا الصلاة المكتوبة**»[1]. فلم ينههم عليه الصلاة والسلام عن مجرد الانحراف الذي وقعوا فيه، بل حثهم لما هو أولىٰ من ذلك، وأنسب لحال البشرية جمعاء.

و. المبادرة في علاج الخطأ:

إن المبادرة لمعالجة الموقف الخاطئ الذي يقع فيها المسلم سبيل من سبل تعديل السلوك، وقد تكرر هذا كثيراً؛ فحينما تقاضىٰ كعب بن مالك من ابن أبي حَدْرَدٍ دَينًا كان له عليه في المسجد، فارتفعت أصواتهما حتىٰ سمعها رسول الله ﷺ، وهو في بيته، فخرج إليهما حتىٰ كشف سِجْفَ فنادىٰ: «يا كعب» قال: لبيك يا رسول الله، قال: «ضع من دينك هذا» وأومأ إليه: أي الشَّطْرَ، قال: لقد فعلت يا رسول الله، قال: «قم فَاقْضِهِ»[2]. وهذه المبادرة منه عليه الصلاة والسلام كانت كفيلة بأن يصطلحا ويبتعدا عن الوقوع في الخصومة بعد ما ارتفعت أصواتهما في المسجد.

ز. العتاب والتعريض بمن وقع في الخطأ دون ذكر الخطأ أو اسم المخطئ:

والتعريض من الأساليب التربوية التي استخدمها النبي ﷺ في علاج الأخطاء، وهو أرفق بمن وقع فيها، وفيه إيصال رسالة لبيان خطئه، ومراعاة لمشاعره أمام الآخرين؛ لكي لا يتأثر بعملية الإنكار عليه، وهو سبيل عظيم في قبول الإنكار

---

(١) أخرجه البخاري (٦١١٣)، ومسلم (٧٨١).

(٢) أخرجه البخاري (٤٥٧)، ومسلم (١٥٥٨).

والنصيحة، ومن ذلك ما ورد في حديث بريرة لما اشترط أهلها الولاء؛ فإنه عليه الصلاة والسلام عرَّض بهم وهو على المنبر فقال: **«ما بال أناس يشترطون شروطا ليست في كتاب الله، من اشترط شرطا ليس في كتاب الله فليس له، وإن شرط مائة مرة، شرط الله أحق وأوثق»**[(١)].

ح. ذم الفعل الخطأ لا المخطئ نفسه:

وصف الخطأ بحقيقته لا بصاحبه سبيل من سبل علاج السلوكيات الخاطئة؛ كما في مسألة التصفيق للرجال في الصلاة، وأن فيه تشبهًا بالنساء، ولما كان النبي ﷺ يعلم مقدار ما في نفوس الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من تعظيم حدود الله، والوقوف على أوامره، ما كان منه عليه الصلاة والسلام إلا أن يكتفي بمجرد تنبيههم فقط على أن ما وقع منهم من التصفيق في الصلاة إنما هو من شأن النساء؛ فقال: **«إنما التصفيق للنساء»**[(٢)].

ط. جمع من وقع منهم الخطأ في مكان واحد دون إدخال أحد معهم للحوار معهم:

وهذه إحدى سبل العلاج في التعامل مع من وقعوا في الأخطاء إذا ما كانوا جماعة؛ فالأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين حينما عتبوا على النبي ﷺ إعطاءه حديثي العهد بالإسلام أكثر مما أعطاهم من غنائم حنين، وسمع النبي عليه الصلاة والسلام بخبرهم، ما كان منه إلا أن جمعهم دون أن يكون معهم أحد، فقال لهم مقولة ما كان ليقول أحسن منها لغيرهم، وصفهم بغنى النفس، وما فيها من الخير[(٣)]، ولو لم يكن فيها إلا أنه عليه الصلاة والسلام وصفهم بأنهم أحب إليه من غيرهم وأقرب لكفى.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥٦١)، ومسلم (١٥٠٤).

(٢) أخرجه البخاري (١٢٣٤).

(٣) انظر: صحيح البخاري (٣١٤٧).

ي. تذكير المخطئ بمحاسنه:

ولعل هذه من أهم السبل لعلاج الانحرافات؛ فإن الإنسان مهما وقع في انحراف يبقىٰ أن لديه جوانب حسنة مشرقة في حياته، ومن طبيعة النفس البشرية أنها إذا ما حصل التركيز علىٰ أخطائها ونقائصها فإنها تستمرئ تلك الأخطاء حتىٰ تصبح متطبعة بها، بينما لو حصل التركيز علىٰ المحاسن لكانت النفس الإنسانية سوية متزنة، وذكر الجوانب الحسنة في النفس الإنسانية حين معالجة انحرافاتها هو من هديه عليه الصلاة والسلام؛ فإنه أثنىٰ علىٰ الأنصار حينما جمعهم، وذلك بعد أن عتبوا عليه في توزيع غنائم حنين، فقال: «**أما ترضون أن يذهب الناس بالأموال، وترجعوا إلىٰ رحالكم برسول الله ﷺ، فوالله ما تنقلبون به خير مما ينقلبون به**»[1] وأي ثناء لهم أبلغ من أن يعودوا برسول الله ﷺ، ويعود الناس بمتع الدنيا وملذاتها من الإبل والغنم ونحوها؟!

ك. تأليف قلب المخطئ أو من يُخشى منه الوقوع في الخطأ:

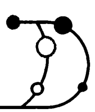
وهذه من السبل المهمة في علاج الأخطاء؛ وهي أن يتألف المربي من يختصه بالتربية؛ وذلك لحاجة المتربي لذلك، ولأن النفس الإنسانية بحاجة لمراعاة ومداراة وتأليف حتىٰ تتأقلم مع المحيط الذي ينبغي أن يكون سليمًا، وهذا ما كان يفعله عليه الصلاة والسلام مع بعض صحابته رضوان الله عليهم ممن كانوا يحتاجون لتأليف، وما كانت قسمته للفيء بينهم -مع غلظة بعضهم في التعامل معه أثناء طلب الفيء- إلا تأليفًا لقلوبهم ليثبتوا علىٰ هذا الدين العظيم.

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٤٧)، ومسلم (١٠٥٩).

والتغيير في النفس الإنسانية ليس بالأمر الهين، خاصة حينما يكون التغيير من محيط الكفر إلىٰ محيط الإسلام، أو من انحرافات ترسَّخت في مجتمعات لأجيال عديدة، فيصعب حينها التغيير ومحو هذه الانحرافات من أنفس البشر بيسر وسهولة، فتنشأ حاجة ماسة لتأليف قلوبهم والأخذ بأيديهم، مع صبر طويل، لتتحقق إزالة هذه الانحرافات.





المبحث الخامس
الكفايات التقنية للداعية المعاصر

نزل القرآن مُنَجَّمًا حسب الظروف والحوادث لأنه كتاب بناء وتربية لا كتاب ثقافة، جاء بمنهاج كامل للحياة والتربية لصياغة نفوس، وبناء أمة وإقامة مجتمع؛ إذ هو يسوق مع بعض المواقف درسًا وتحليلاً، كما كان بناؤه مظهرًا رائعًا للخلود، مما جعله صالحًا للسير مع كل نفس، موجهًا لكل جيل. ولقد استثمر القرآن -وهو يربي الأمة الإسلامية- الأحداث في تربية النفوس استثمارًا عجيبًا عميق الأثر، وهذا إيماء وإيحاء من القرآن باتباع هذه الطريقة في تربية الإنسان؛ بحيث لا تتاح فرصة إلا ويستثمرها المربي في تحقيق أهداف التربية عن هذا الطريق.

وهكذا الداعي إلىٰ الله لا ينبغي له بحال من الأحوال أن ينفصل عما يشهده العصر الحالي -بسبب ما أفرزته التطورات التكنولوجية المتلاحقة، وخاصة في العقد الأخير من القرن العشرين- من تحولات عميقة، ونقلات نوعية، وتغيرات مادية ومعنوية لحقت ببنية كل منظمات المجتمع الرسمية وغير الرسمية؛ فلقد أسهم انتشار الإنترنت في كافة أرجاء المعمورة، واستخدام الإلكترونيات الدقيقة، في الانتقال إلىٰ نمط اجتماعي جديد يُعرف بمواقع أو شبكات أو وسائل التواصل الاجتماعي الإلكتروني.

وكما أحدثت هذه الوسائل فائقة السرعة تحولات أساس في المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية ...إلخ، فلها كذلك تأثيرها علىٰ الدعوة والتربية،

ومن ثم فالداعية المربي مطالب بأن يطور ذاته، وأن يطور من دعوته ووسائلها حسب العصر، وبما يتناسب مع الشريعة الغراء؛ فالحكمة ضالة المؤمن، وحيث وجدها فهو أولىٰ بها، والحكمة هي: وضع الشيء المناسب في المكان والزمان والشخص المناسب.

ولأن توظيف وسائل التواصل الاجتماعي في مجال الدعوة والتربية حديث نسبيًا، فإن التوجهات نحوها تتسم غالبًا بالتناقضية: ما بين متحمس للتطبيق يتوقع تطورًا شاملاً يتغلب علىٰ كافة المساوئ، ومن يرىٰ عدم مناسبة تطبيق هذه الوسائل التخريبية والفوضوية. فمن أكبر مزاياها: زيادة التواصل بين شريحة عريضة من الأفراد والمجتمعات، أما أكثر الجوانب الرديئة فتتمثل في: عدم موثوقية المعلومات، تشتيت التركيز، سوء استخدام هوية المستخدمين، جهل طريقة استخدامها؛ وخاصة لدىٰ بعض كبار السن والدعاة.

ورغم ما قد يثيره البعض من مساوئ وعيوب لاستخدام هذه الوسائل في مجال الدعوة والتربية، إلا أنه لم يعد ينفع أن يتقوقع الداعية داخل المسجد أو المدرسة أو النوادي فحسب، كما لا ينبغي علىٰ الإطلاق التغافل عن الأثر الحسن الذي يمكن أن يحصل من تلك التقنيات الحديثة في هذين المجالين. وعمومًا، يمكن تناول ذلك من خلال ما يأتي:

١) مزايا استخدام وسائل التواصل الاجتماعي:

للتدليل علىٰ أهمية استخدام هذه الوسائل تشير التقارير والإحصاءات إلىٰ تنامي استخدامها في العالم العربي بشكل قوي؛ كما في مصر التي يزداد فيها مستخدمو الفيسبوك بصورة تتضاعف عن غيرها، ثم السعودية والإمارات التي تزيد نسبة

استخدام الفيسبوك فيهما عن ٥٠٪. وتأتي السعودية في قمة الدول العربية من حيث استخدام اليوتيوب، تليها مصر، ثم المغرب والإمارات. وتُشاهد معظم هذه الفيديوهات (٥٠٪) في السعودية عبر أجهزة الجوال. وتمثل الشريحة العمرية للشباب من ١٥ إلىٰ ٢٩ سنة الفئة الأكبر التي تستخدم الفيسبوك، وتويتر، ولينكدين. وبعمل مسح علىٰ مستوىٰ ٢٢ دولة عربية اتضح أن وسائل التواصل الاجتماعي المستخدمة بالترتيب هي: الفيسبوك، وجوجل بلس (١٦.٩٪)، اليوتيوب (١٤.٦٪)، الويكي وجوجل دوكس (٨.٥٪)، تويتر (٤.٤٪)، المدونات (٣.٤٪)، فليكر (٣.١٪).

وهذه الإحصاءات والنسب تدل علىٰ مزايا استخدام وسائل التواصل الاجتماعي التي قد لا تتوفر في غيرها من الوسائل الإلكترونية مثل:

- العالمية: حيث لا يتقيد التواصل بين المستخدمين ومن يتابعهم بحواجز مكانية أو حدود سياسية أو جغرافية.

- التفاعلية: فالفرد مع هذه الوسائل يكتب، ويرسل، ويستقبل، ويقرأ، ويشارك، ويشاهد، ويستمع، ويحاور؛ فلا مجال للتخاذل والانهزام وآحادية التلقي كما كان يحدث مع وسائل الإعلام القديمة. ومن ثم، تُسهم هذه الوسائل في إحداث المتعة، والحيوية، والمعايشة، علىٰ مدار الساعة.

- التنوع وتعدد الاستعمالات: فلا يقتصر استخدام هذه الوسائل علىٰ أفراد معينين، بل يمكن استخدامها مثلاً من قبل كلٍّ من: المسؤولين في وزارة الأوقاف، ووزارة التعليم، وهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمعلمين، وأولياء الأمور، والأبناء. كما لا تقتصر هذه الوسائل علىٰ الحروف، بل تستخدم أيضًا: الرموز، والصوت،

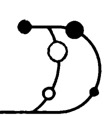
والصورة، والفيديو، والارتباطات التشعيبية؛ سواء أكان التواصل مباشرًا -أي في اللحظة نفسها- أم كان غير متزامن في الوقت نفسه.

- الاقتصادية في الجهد والوقت والمال: ففي ظل سهولة الاستخدام، وأعداد المستخدمين المتزايدة، ومجانية الاشتراك والتسجيل، وسرعة الاستقبال والإرسال، تبرز الجدوىٰ الاقتصادية لاستخدام هذه الوسائل وسهولة تطبيقها في الدعوة؛ خاصة وأنها لا تحتاج لتثبيت أي برنامج أو تكلفة مادية باهظة.

- المرونة: فهذه الوسائل لها قدرة علىٰ توفير البدائل المرتبطة بتلبية احتياجات المتربين؛ من حيث: تنوع مصادر المعرفة وتعددها، ومراعاة الفروق الفردية بينهم، وقابلية المحتوىٰ لتكراره وتحميله أو نقل برامجه، وتعديل محتوياتها، ونشرها، أو حفظها دون التقيد بأماكن أو أفراد معينين، فضلاً عن إمكانية سرعة البحث والتصفح، والتحكم في خصائصها الطبعية الحالية الحاضرة من حيث: طريقة عرضها، أو شكلها، أو مدتها، فيستطيع المستخدم دمج الصورة والصوت مع النص.

٢) مكانة وسائل التواصل الاجتماعي الإلكتروني في الدعوة والتربية:

تبيَّن مما سبق أن وسائل التواصل الاجتماعي تشير بوجه عام إلىٰ الوسائل المعتمدة علىٰ مشاركة المستخدم وإنتاجه للمحتوىٰ؛ فهي أشبه بمجتمعات افتراضية تفاعلية عبر الويب تضم أشخاصًا أو مؤسسات تجمعها علاقات مشتركة أو أنشطة محددة أو اهتمامات متماثلة أو متقاربة وتوفر لمستخدميها مجموعة من الخدمات التي لا تتقيد بوقت أو مكان معين مثل: المشاركة بإبداء الرأي والتعليق والرد والإضافة والتغيير، التدوين والنشر، تبادل المعرفة والمعلومات والبيانات والوسائط



(المعتمدة علىٰ النص، الصوت، الصورة، الفيديو)، إمكانية التواصل الفوري، وغير ذلك من خدمات تتيح لمستخدميها بيئة جاذبة وداعمة لما يهدفون إليه.

ولقد استغل أعداء الإسلام هذه التقنيات الحديثة استغلالاً سيئًا في خدمة عقائدهم الباطلة، وفي سبيل تشويه صورة الإسلام والمسلمين؛ ففي عام ١٩٩٥م بدأ الفاتيكان بافتتاح موقع علىٰ الإنترنت خاص به كي يوفر من خلاله النشر الإلكتروني لترجمات الإنجيل إلىٰ جميع لغات العالم، إضافة إلىٰ نشر معتقدات النصارىٰ وأفكارهم كافة. وكذلك فعل اليهود، والهندوس، والبوذيون، وغيرهم لاستغلال مثل هذه التقنيات في خدمة مصالحهم ونشر ضلالاتهم.

لذا، فإنه من الأولىٰ والأحرىٰ أن يقتحم أهل الدين الإسلامي غمار هذه التقنية، ولا سيما أن لديهم من المقومات -سواء الربانية أم البشرية- ما يؤهلهم لصدارة المشهد العالمي وقيادته للحق المبين للنجاة بِرُكاب السفينة أجمعين؛ فلم يعد صالحًا الابتعاد عن التطورات التكنولوجية المتسارعة، والوقوف منها موقف الحذر والتشكيك فيها؛ فلكل اختراع بشري مساوئ ومزايا، ومن ثم ينبغي استثمار مزاياه، والتحذير من مساوئه. ولقد كان النبي ﷺ يستخدم كل وسيلة اتصال ممكنة في وقته لغرض الدعوة إلىٰ دين الله عز وجل ونشره بين الناس؛ فقد استخدم ﷺ الاتصال المباشر، وكان يقصد الناس في مجتمعاتهم وأسواقهم، كما أنه راسل الملوك، واستقبل الوفود لنشر الدين الحق بينهم.

وتأسيسًا علىٰ ذلك: ينبغي أن يستخدم الدعاة المسلمون في دعوتهم الناس إلىٰ الله كل الوسائل المتاحة، وخاصة وسائل التواصل الاجتماعي الإلكتروني، علىٰ أن يتحقق في هذه التقنيات شرطان:



١ . عدم مخالفتها للشرع الحكيم؛ فتكون الوسيلة غير محرمة شرعًا، وأن يكون المقصد الذي تفضي إليه هذه الوسيلة غير محرم.

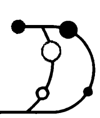
٢ . ألا يترتب علىٰ استخدام تلك الوسيلة مفسدة تزيد علىٰ مصلحة هذا المقصد.

وبهذا، فإنه باستثمار وسائل التواصل الاجتماعي الإلكتروني في الدعوة إلىٰ الله بغرض تعريف كافة الناس في شتىٰ بقاع المعمورة الدين الصحيح سيسهل علىٰ الدعاة الوقت والجهد والمال الكثير. وإذا كان الفكر غير الإسلامي يعتمد اليوم بشكل كبير علىٰ توظيف هذه الوسائل في الإقناع بأفكارهم ومعتقداتهم، فإن الفكر لا يواجه إلا بمثله، وبنفس وسائله.

٣) وسائل التواصل الاجتماعي واستثمارها في مجال الدعوة والتربية:

لقد تعددت الوسائل الدعوية في العصر الحالي؛ فلم تعد الدعوة قاصرة علىٰ المسجد أو الكتيبات أو الخطبة أو شريط الكاسيت، بل تعددت وسائلها في عصر الفضاءات المفتوحة والقرية الكونية الصغيرة. وليس الهدف هنا هو حصر هذه الوسائل الجديدة بقدر ما هو التنبيه إليها وإلىٰ طريقة استخدامها دعويًا. وفيما يلي إلقاء بعض الضوء علىٰ أهم هذه الوسائل وأكثرها شهرة واستخدامًا:

- الفيسبوك Facebook: شبكة تستهدف تكوين الأصدقاء ودعوتهم من وإلىٰ الشبكات الأخرىٰ، وتسمح لمشتركيها ببناء المعلومات والملفات والصور ومقاطع الفيديو، وتبادلها والتعليق عليها، وإمكانية المحادثة أو الدردشة الفورية، مع إضافة روابط تهم المشترك. ومنذ إنشائها في فبراير ٢٠٠٤م وصل عدد المشتركين فيها حتىٰ الأشهر الثلاثة الأخيرة من ٢٠١٣م إلىٰ أكثر من ١.٣ مليار مشترك، ٩٤٥ مليونًا منهم



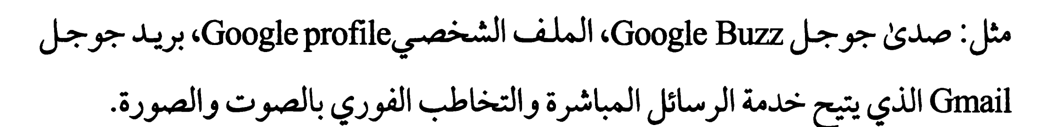
يحصلون على هذه الخدمة عبر الهواتف الذكية أو أجهزة الكمبيوتر اللوحي.

- واتساب WhatsApp: وهو تطبيق تأسس ٢٠٠٩م للتراسل الفوري عبر الهواتف الذكية، تملَّكته شركة الفيسبوك، وأضافت إليه بجانب الرسائل الأساس للمستخدمين إرسال الصور، والرسائل الصوتية، والفيديو والوسائط.

- يوتيوب Youtube: وهو موقع متفرع من جوجل يتيح إمكانية تحميل عدد هائل من مقاطع الفيديو عليه أو منه. ومنذ تأسيسه في فبراير ٢٠٠٥م وصل عدد المشاهَدات حسب آخر الإحصاءات إلى ما يزيد عن مليار مشاهَدة كل شهر، ويتجاوز عدد ساعات الفيديو التي تُشاهد شهريًا ستة مليارات ساعة.

- تويتر Twitter: وهو خدمة مصغرة -تأخذ اسمها من مصطلح تويت الذي يعني التغريد- تسمح للمغردين عن طريق الرسائل النصية القصيرة (SMS) أو برامج المحادثة إرسال تغريدات فورية لا تتعدى ١٤٠ حرفًا للتغريدة الواحدة. وتتيح هذه الشبكة لمستخدميها خدمة التدوين، وإمكانية الردود والتحديثات عبر البريد الإلكتروني. ومنذ إنشائها في مارس ٢٠٠٦م بلغ عدد مستخدميها آخر ٢٠١٣م أكثر من ٩٠٠ مليون مستخدم.

- جوجل بلس GooglePlus: وهو شبكة اجتماعية أطلقت في يونيو ٢٠١١م، وقد استحدث هذا الموقع خدمات مجانية جديدة مثل: الدوائر **Circles**: حيث تجميع الأشخاص استنادًا على العلاقة القائمة معهم، ومكالمات الفيديو **Hangouts**: حيث إمكانية الدردشات الجماعية مع ١٠ مستخدمين في وقت واحد، بالإضافة إلى تبادل الوثائق والصور والفيديو مع المستخدمين الآخرين، والاهتمامات **Sparks**، والمحادثات الجماعية **Huddles**، هذا بالإضافة إلى دمج بعض خدمات جوجل القديمة

مثل: صدىٰ جوجل Google Buzz، الملف الشخصيGoogle profile، بريد جوجل Gmail الذي يتيح خدمة الرسائل المباشرة والتخاطب الفوري بالصوت والصورة.

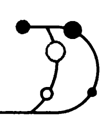
- ويكيبديا Wikipedia: موسوعة إلكترونية مبنية من صفحات الويكي wikis المتراكمة التي يبني محتواها المشاركون أنفسهم.

- المدونات الإلكترونية weblog أو Blog: وهي صفحات ويب تظهر عليها التدوينات في شكل: روابط تشعيبية links، مجلات إلكترونية أو مقالات دورية articles، صور، مقاطع بث إذاعي broadcast، مقاطع بث مرئي Videocast، مؤرخة ومرتبة ترتيبًا زمنيًا تصاعديًا ينشر منها عدد محدد يتحكم فيه مدير أو ناشر المدونة، كما يتضمن النظام آلية لأرشفة المدخلات القديمة، ويكون لكل مداخلة منها مسار دائم لا يتغير منذ لحظة نشرها يمكِّن القارئ من الرجوع إلىٰ تدوينة معينة في وقت لاحق عندما لا تعود متاحة في الصفحة الأولىٰ للمدونة، كما يضمن ثبات الروابط ويحول دون تحللها.

- فليكر Flickr: موقع لمشاركة الصور والفيديو، وحفظها وتنظيمها وتحميلها بطريقة سهلة.

- البالتوك PalTalk: موقع يُمكِّن أعدادًا كبيرة من المشاركين في الدخول إلىٰ غرف المحادثة في الوقت نفسه، وتبادل الحديث والاستماع والكتابة والتعليق.

- الهاشتاج Hashtag أو علامة المربع: ويطلق علىٰ أي كلمة تأتي بعد هذه العلامة (#) بهدف ترتيب وتصنيف المجموعات والموضوعات وحصر جميع المشاركات التي تتعلق بموضوع محدَّد، إضافة إلىٰ استخدامه عبر شبكات آي آر سي IRC (للمحادثة الفورية المنقولة بالويب) لإرسال الرسائل القصيرة، والتدوين المصغر، وخدمات الشبكات الاجتماعية.



ومن الممكن تطويع هذه الوسائل والاستفادة من تطبيقاتها في مجالي التربية والدعوة من خلال الآتي:

١. عرض الأنشطة، والمحاضرات، والندوات، وورش العمل، والمناقشات، والمؤتمرات العلمية.

٢. عرض المعلومات الإثرائية من خلال: الاستفسارات والتعليقات، وإبداء وجهات النظر حول موضوع ما.

٣. استضافة أهل التخصص، أو عمل مداخلات معهم للاستشارات المرتبطة بموضوع علمي معين.

٤. عمل مجموعات (Groups) تنشر العلم، وتحث علىٰ الفضيلة ونشرها بين الناس.

٥. التواصل مع غير المسلمين لدعوتهم إلىٰ الدين الإسلامي؛ وذلك من خلال تعلم لغة المخاطب، وتحميل الأفلام التسجيلية علىٰ شبكات التواصل الاجتماعي التي تخاطب العقل، وتُصَوِّر عظمة القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة في كيفية تناولها لأصول العلوم والحقائق العلمية؛ مثل: مراحل خلق الإنسان، وظواهر الكون والفضاء، وموقف الإسلام من العلم الحديث، وغير ذلك من الآيات البينات التي توضح صورة الإسلام والمسلمين.

٦. محاربة الصفحات التي تشوه صورة الإسلام والمسلمين، وتحذير الناس منها، ومحاولة غلقها.

٧. إرسال الرسائل -النصية والمصورة والفيديو- التي تُذكر بالمناسبات الإسلامية، وتحث على العمل الخيري، وتصحح الأفكار والمفاهيم والأمثال الشعبية التي تحوي مخالفات شرعية.

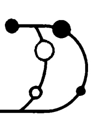
٨. تسجيل الدروس العلمية للدعاة الربانيين في مختلف أنحاء العالم، ورفعها على مواقع التواصل الاجتماعي، ومحاولة ترجمتها؛ لنشر القيم الإسلامية في ربوع الدنيا كلها.

٩. الاستفادة من الفتاوى والخطب والمحاضرات والدروس القديمة لكبار العلماء، وتوظيفها في التعامل مع الأحداث الجارية، وبيان موقف الإسلام من المشكلات المتجددة.

١٠ عمل روابط لكافة المكتبات والمقالات والدروس والخطب وصفحات الدعاة المتخصصة في العلم الشرعي، ونشرها عبر الرسائل لكافة مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي.

١١ تحديث البرامج الإسلامية الخدمية، وإتاحتها لجميع مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي مجانًا؛ مثل: برامج تحديد أوقات الصلوات، والأذكار، وتحديد القبلة، والمصحف المعلم والمترجم، وتخريج الأحاديث.

١٢ إطلاق الحملات الإلكترونية التوعوية المفيدة باستمرار حسب المواقف الجديدة والمتجددة؛ مثل: حملة نصرة الرسول ﷺ، حملة نصرة فلسطين، حملة الحجاب رمز عفتي، حملة لا للتحرش، حملة اعرف دينك...الخ.



٤) آداب استخدام وسائل التواصل الاجتماعي في الدعوة والتربية:

لاستخدام وسائل التواصل الاجتماعي في الدعوة والتربية قواعد وأصول، أو آداب وأخلاقيات ينبغي التزام كل داعية أو مرب مسلم بها؛ من هذه الآداب:

١. الإخلاص لله في الدعوة إليه، واقتفاء أثر الرسول ﷺ وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين في هذا السبيل.

٢. العلم بما يدعو المربي إليه، والعمل به.

٣. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فمواقع التواصل تعج بالمنكرات والمخالفات الشرعية، وهذا يحتاج من الداعية لعمل دؤوب، ونصيحة متكررة، وموعظة حسنة، ومخاطبة باللين من أجل المحافظة علىٰ المجتمع المسلم.

٤. تنمية أخلاق: العفة، وحفظ السمع، وغض البصر، والحياء من الله، ومراقبته في السر والعلن؛ حتىٰ إذا غاب مستخدمو مواقع التواصل الاجتماعي عن أنظار الناس، وغاب عنهم الرقيب، وابتعد عنهم الملاحظون، تذكروا هذه القيم فاستشعروا عظمة رب الناس وابتعدوا عن كل ما يستحيون من فعله أمام الناس.

٥. الأمانة والصدق والموضوعية؛ فما أحوجنا جميعًا -خاصة في ظل شبكات التواصل الاجتماعي فائقة السرعة- إلىٰ تحري الدقة عند نقل: آية، أو حديث، أو قصة، أو خبر، أو تعليق، أو رأي؛ وذلك حتىٰ يسلم المجتمع من تحريف العلوم، ونشر الشائعات، وإحداث الفوضىٰ، والرمي بالبهتان، وكشف الفضائح، والوقوع في الغيبة، ويسلم الدين مما يُنسَب إليه من: افتراءات، وشبهات، وموضوعات، وإسرائيليات، وأكاذيب.

٦. الاعتزاز بالهوية الإسلامية في كل مظاهرها وصورها: الدينية، واللغوية، والاجتماعية، والاقتصادية، ...إلخ؛ فيعتز الداعية المربي بزيه الإسلامي، ولا يتأثر بتقليعات الموضة الغربية أو الشرقية المخالفة للشرع، ويعتز بلغته العربية فيتجنب العامية قدر الإمكان ولا يستخدم الرموز الدخيلة عليها والتي تزاحم الكلمات الفصيحة، وهكذا.

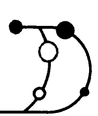
٧. حفظ الوقت وإدارته بصورة سليمة وفاعلة.

٨. حفظ حقوق الملكية الفكرية (الخاصة والعامة)؛ فمع الانفتاح الثقافي العالمي وانتشار مواقع التواصل الاجتماعي بصورة فائقة انتشرت السرقات الإلكترونية أو عزو جهود الآخرين للذات دون الإشارة إليهم، فضلاً عن تزوير الحقائق، وتدليس الأخبار، وسرقة الحسابات وتزييفها، وانتحال الشخصيات والتحدث بأسمائها، وقد نسي أمثال هؤلاء قول الرسول ﷺ: «**من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه، فقد أوجب الله له النار، وحرم عليه الجنة**» فقال له رجل: وإن كان شيئا يسيرا يا رسول الله؟ قال: «**وإن قضيبًا من أراك**»[1].

٩. الالتزام بكافة الآداب الإيمانية الأخرىٰ التي تُهذِّب السلوك، وتوصل إلىٰ الاستقامة الجادة والأخلاق الحسنة؛ مثل: التحذير من نشر الشائعات، تحمل المسؤولية، حسن الظن بالآخرين، العمل علىٰ وحدة الصف، نبذ التعصب الطائفي أو المذهبي أو القبلي، وغير ذلك من أخلاقيات تحفظ ثوابت الدين في ظل استخدام وسائل التواصل الاجتماعي الإلكتروني.

---

(١) أخرجه مسلم (١٣٧).



٥) مهـارات اسـتخدام وسـائل التواصـل الاجتمـاعي فـي الدعوة والتربية:

تجـدر الإشـارة إلـىٰ أنـه لـيس مجـرد اسـتخدام وسـائل التواصـل الاجتمـاعي الإلكتروني سيحول الدعوة إلىٰ عملية أكثر تفاعلية، أو أنـه سيحل مشكلاتها القائمـة، ما لم تُعَدَّل جميع صياغات عناصر منظومـة التربيـة بمـا يتوافـق ومتطلبـات اسـتخدام تلك التقنيات الحديثة. وحتىٰ تكون ثمة استفادة حقيقية من خدمات هـذه التقنيـات، فإنه يجب توفر العديد من مهارات استخدام الداعية المربي لهذه الوسائل؛ ومن تلـك المهارات القدرة علىٰ:

١. إنشاء صفحة له علىٰ أي من مواقع التواصـل الاجتمـاعي بالتعـاون والتشـاور والمشـاركة مـع بعـض المختصـين، ممـا يُسـاعده علـىٰ تحديـد الموضـوعات والمشكلات المهمة.

٢. اسـتخدام بعـض خـدمات الشـبكات الاجتماعيـة؛ مثـل التعليـق comment أو الإعجاب like لأخذ الآراء حول تلك الموضوعات والمشكلات المهمة.

٣. تأسيس أنشطة تمكن من التفاعل الشبكي مـن خـلال تـوفير منتـدىٰ إلكـتروني يسمح للمستفيدين بالتعبير عن حاجاتهم والتحديات التي تواجههم، ولتداول الأمـور التي تتعلق بحياتهم.

٤. تصـميم أدوات التصـفح -بمـا تتضـمنه مـن ارتباطـات رئيسـة وفرعيـة متنوعـة الوسائط- بطريقة موثوقة وصالحة لدعم الأنشطة.

٥. تصميم واجهة interface ملائمة للاستخدام.

٦. إتاحة المعلومات وتحديثها.

٧. مراقبة زائري المواقع وسلوكياتهم.

٨. تنمية مهارات التفكير الناقد، وتطوير النصائح والإرشادات.

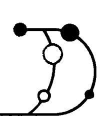
٩. تصميم محتوى الموقع بصورة واضحة ومحددة، وتكون اللغة سليمة وسهلة، والموضوعات شاملة ومواكبة للمجال الذي يعني المستخدم، ويضيف الموقع قيمًا وأفكارًا غير متاحة في أماكن أخرى.

١٠ إتاحة الموقع طوال الوقت، وقابليته للاستخدام من قبل أي عدد من الأفراد، وقتما أرادوا، وأينما وجدوا.

١١ توافر الخصائص الفنية للموقع من حيث: طول الصفحات وعرضها، واستخدام الصور وحجمها وألوانها، والوقت اللازم للتحميل أو الحفظ دون الحاجة إلى برامج معقدة أو غير متوفرة في بعض الأحيان.

١٢ التعامل مع هذه التقنيات وتوظيفها من حيث: كيفية الاشتراك في المواقع والتسجيل فيها، إنشاء صفحات ويب، التعامل مع القوائم، إدارة الملفات، إنشاء المجموعات، تنظيم المحتوى وروابطه، استخدام تطبيقات المشاركة من حيث الرفع والتحميل، التفاعل عبر مؤتمرات الويب، إدارة غرف النقاش، دمج عناصر الوسائط المتعددة، إتاحة العروض.

ويمكن للداعية التوسع في فهم هذه المهارات والخصائص الفنية الإلكترونية من خلال مراجعة كتاب: (الخلاصة في الحاسب الآلي والإنترنت) من إصدارات مركز المنهاج للإشراف والتدريب التربوي.



الخاتمة

قدم هذا الكتاب للدعاة خلاصة في مجال التربية من أجل تحقيق التكامل بين فقه التربية وفقه الدعوة؛ وذلك من خلال لمحة عامة ومدخل أساس لعلم التربية في العصر الحديث، واتصاله بالتراث والتربية الإسلامية، إضافة إلىٰ أخلاق الداعية ومهاراته التربوية؛ وذلك لتحقيق الداعية الركنين الأساس في واجبه التربوي: تربية النفس، وتربية الآخرين، وتعزيز الأثر التربوي للداعية الذي يتجاوز الكلمة والموعظة العابرة إلىٰ تغيير النفوس وبناء القيم والأخلاق.

وقد تناول الكتاب في الفصل الأول: المفاهيم والمصطلحات والأصول الأساس للتربية ووظائفها، وأهمية هذا العلم للداعية، وتحدث عن الأصول التاريخية للتربية في التراث الإسلامي، وعلاقة علم السلوك بعلم التربية الحديث، والأصول الإسلامية للتربية، ونماذج من أعلام العلماء المربين.

وفي الفصل الثاني تحدث الكتاب عن التربية الإيمانية والأخلاقية والسلوكية للداعية؛ ويشمل ذلك: علاقة الداعية بربه، وتزكيته لنفسه، واهتمامه بتمثل الأخلاق الفاضلة اقتداء بالنبي ﷺ في الدعوة.

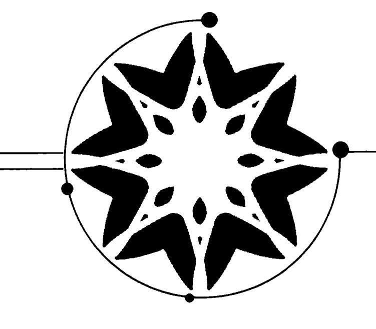
ثم تحدث الفصل الثالث عن علاقة الداعية بالمدعوين، وتأثيره عليهم من خلال تمثله للقدوة أولا، ثم الحديث عن كيفية تعامله مع غيره في إطار متوازن؛ سواء كان

المدعو من المسلمين أو المقبلين علىٰ اختلاف درجاتهم، أو من المعاندين علىٰ اختلاف أصنافهم، كما ناقش الفصل واجب الداعية تجاه إخوانه الدعاة وتكامله معهم.

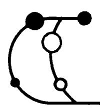
وخُتم الكتاب بالفصل الرابع الذي يعنىٰ بتطوير الكفايات (المعارف والقيم والمهارات) اللازم توفرها في الداعية المربي، ومن خلال هذه المهارات يطور الداعية من نفسه، ويحسن إدارة مشاريعه الدعوية، كما يستطيع التأثير في المدعوين عبر فهم السمات الشخصية والطبائع النفسية، ومهارات التربية علىٰ القيم والأخلاق، وتعديل السلوك، والتوجيه والإرشاد.

نسأل الله تعالىٰ أن ينفع بهذا الجهد، وأن يجعله محققًا لغاياته، ومؤتيًا لثماره، وخالصًا لوجهه، والله تعالىٰ أعلم، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ عبده ورسوله محمد، وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

● ● • ● ●



الفهارس



فهرس المراجع

١. **أثر الأخلاق في نجاح الداعية**، متاح على: موقع إسلام ويب.

٢. **الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة**، عبدالرحمن محمد الدوسري (١٤٠٢هـ). الكويت: مكتبة دار الأرقم.

٣. **إحياء علوم الدين**، أبو حامد الغزالي (د.ت)، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية.

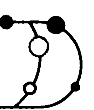
٤. **الأخلاق الاسلامية وأسسها**، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني (١٩٩٩م). ط٥.دمشق: دار القلم.

٥. **الأخلاق الفاضلة قواعد ومنطلقات لاكتسابها**، عبد الله بن ضيف الله الرحيلي (١٤٢٩هـ). ط٢. الرياض: مكتبة سفير.

٦. **الأخلاق والسير في مداواة النفوس**، ابن حزم الأندلسي (د.ت.). دار ابن حزم.

٧. **ارتقاء القيم (دراسة نفسية)**،عبد اللطيف محمد خليفة (١٩٩٢م). مجلة عالم المعرفة، عدد ١٦٠، الكويت.

٨. **أساليب تعديل السلوك الإنساني**، عدنان أحمد الفسفوس (٢٠٠٦م). متاح على: www.minshawi.com



٩. **استراتيجيات تطوير الذات**، برنامج تدريبي مقدم من عمادة التطوير الجامعي والجودة النوعية بجامعة أم القرىٰ بالتعاون مع مركز النافع للتدريب والاستشارات، مصطفي محمد الomوmري (١٤٣٦هـ).

١٠ **الإصابة في تمييز الصحابة**، أحمد بن حجر العسقلاني (١٤١٥ هـ). بيروت: دار الكتب العلمية.

١١ **أصول التربية الإسلامية وأساليبها**، عبد الرحمن النحلاوي (١٩٨٣). دمشق: دار الفكر.

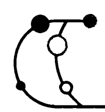
١٢ **أصول التربية الإسلامية**، خالد حامد الحازمي(٢٠٠٠م). القاهرة: دار عالم الكتب.

١٣ **أصول الدعوة**، عبد الكريم زيدان (١٩٧٦م). ط٣. متاح علىٰ موقع: www.daawa-info.net

١٤ **إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان**، ابن قيم الجوزية (١٩٧٥).ط٢. بيروت: دار الكتب العلمية.

١٥ **اكتشاف الذات: دليل التميز الشخصي**، عبد الكريم بكار (١٤٣١هـ). ط٤. الرياض: دار وجوه للنشر والتوزيع.

١٦ **الانحرافات الفكرية والسلوكية وسبل معالجتها في ضوء أحاديث صحيح البخاري**، عبد الرحمن محمد الحارثي (١٤٣٣هـ). رسالة ماجستير، كلية التربية - جامعة أم القرىٰ.



١٧ **الانحراف الفكري: مفهومه، أسبابه، علاجه في ضوء الكتاب والسنة**، طه عابدين طه (١٤٢٨هـ). معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرئ.

١٨. **الإنسان في القرآن**، عباس العقاد (١٩٧٨). القاهرة: دار نهضة مصر.

١٩ **الأهداف التربوية السلوكية عند شيخ الإسلام ابن تيمية**، فوزية رضا أمين خياط (١٩٨٧). مكة: مكتبة المنارة.

٢٠. **أهمية الأخلاق في حياة الداعية**، هند شريفي. متاح علىٰ: موقع الألوكة الشرعية.

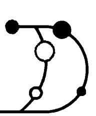
٢١. **أهمية العبادة في حياة المسلم**، عبد الرحمن العايد. متاح علىٰ: ww.islamlight.net

٢٢. **بدائع الفوائد**، ابن قيم الجوزية (١٩٧٣).ط٢. بيروت: دار الكتب العلمية.

٢٣. **تأثير شبكات التواصل الاجتماعي علىٰ جمهور المتلقين: دراسة مقارنة للمواقع الاجتماعية والمواقع الإلكترونية (العربية أنموذجًا)**،محمد المنصور،(٢٠١٢م). رسالة ماجستير، كلية الآداب والتربية - الأكاديمية العربية، الدانمارك.

٢٤. **تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك**، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (١٨٩٧م). مصر: دار المعارف.

٢٥. **التربية الإسلامية: مبادئ وتطبيقات**، عبد البديع عبد العزيز الخولي، وآخرون (١٩٩٩)، كلية التربية، جامعة الأزهر.



٢٦. **التربية الإسلامية: الأصول والتطبيقات**، محمد عبد السلام العجمي (٢٠٠٦). الرياض: دار الناشر الدولي.

٢٧. **التربية الإسلامية: المفهومات والتطبيقات**، سعيد إسماعيل علي، محمد معجب الحامد، وعبد الراضي إبراهيم محمد (٢٠٠٧). ط٣. الرياض: مكتبة الرشد.

٢٨. **التربية الإسلامية وفلاسفتها**، محمد عطية الإبراشي (١٩٧٦). ط٣. القاهرة: دار الفكر العربي.

٢٩. **تربية الأولاد في الإسلام**، عبد الله ناصح علوان (١٩٨٤). ج٢. القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر.

٣٠. **تربية الشباب: الأهداف والوسائل**، محمد الدويش (د.ت.). متاح علىٰ موقع ملتقىٰ المربين.

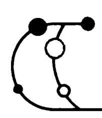
٣١. **تربية النفس علىٰ العبادة**، متاح علىٰ: موقع إسلام ويب.

٣٢. **التعامل مع المبتدعة في مقام الدعوة**، علوي السقاف. متاح علىٰ: موقع الدرر السنية.

٣٣. **التعليم عبر شبكات التواصل الاجتماعي: مزايا ومآخذ**، عبد الحافظ، حسني (٢٠١٢م). مجلة المعرفة، متاحة علىٰ:

٣٤. www.almarefh.net/show_content.php?CUV=٣٩٩&Model=M...١٣٨

٣٥. **التفكير وتنميته في ضوء القرآن الكريم**، عبد الوهاب محمود إبراهيم حنايشة (٢٠٠٩م). رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا - جامعة النجاح الوطنية، فلسطين.



٣٦. **التميز التربوي والإيماني في البلد الأمين مكة**، هاشم السيد الأهدل (١٤٢٩هـ).

٣٧. **التواصل الاجتماعي: أنواعه – ضوابطه – آثاره – ومعوقاته (دراسة قرآنية موضوعية)**، ماجد رجب العبد سكر (٢٠١١م). رسالة ماجستير، كلية أصول الدين – الجامعة الإسلامية، غزة.

٣٨. **توجهات أعضاء هيئة التدريس والطلاب نحو استخدام وسائل التواصل الاجتماعي الإلكتروني بالتعليم الجامعي**، محمد عبد الرؤوف عطية (٢٠١٥م). بحث منشور في: المؤتمر الدولي الأول لكلية التربية بجامعة الباحة (التربية آفاق مستقبلية).

٣٩. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، عبد الرحمن بن ناصر السعدي (١٤١٤هـ). بيروت: عالم الكتب.

٤٠. **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، محمد بن جرير الطبري (١٤١٥هـ). بيروت: دار الفكر.

٤١. **الجامع لأحكام القرآن**، أبو عبد الله محمد شمس الدين القرطبي (١٩٦٤م). ط٢. القاهرة: دار الكتب المصرية.

٤٢. **جونتر: أفكار علماء المسلمين قبل ألف سنة حول التربية ما زالت تشغلنا حتى اليوم**، أسامة أمين (٢٠١٤). كتاب المعرفة، متاح على:
meta http-equiv=«Content-Type»content=«text/html; charset=utf-8»

٤٣. **حماية المجتمع المسلم من الانحراف الفكري**، عبد الله بن عبد العزيز الزايدي (١٤٢٧هـ). مجلة البحوث الإسلامية، ع ٧٧، الرياض: الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء.

٤٤. **خصائص التصور الإسلامي ومقوماته**، سيد قطب (١٩٨٧)، القاهرة: دار الشروق.

٤٥. **دراسات في أصول التربية**، محمود قمبر، حسن حسين البيلاوي، ومحمد وجيه الصاوي (١٩٩١). الدوحة: دار الثقافة.

٤٦. **الداعية ومخالطة الناس والصبر علىٰ أذاهم**، هند شريفي. متاح علىٰ: موقع الألوكة.

٤٧. **الدعاة الصامتون**، محمد الدويش. متاح علىٰ: موقع إسلام ويب.

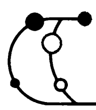
٤٨. **الدليل العملي في إعداد البحث التربوي**، محمد عبد الرؤوف عطية (٢٠١٣م). مكة المكرمة: دار المحمدي.

٤٩. **الرسول القدوة**، عبد اللطيف الحسين. متاح علىٰ: موقع صيد الفوائد.

٥٠. **الروح**، ابن قيم الجوزية (١٩٧٥). بيروت: دار الكتب العلمية.

٥١. **روضة العقلاء ونزهة الفضلاء**، محمد بن حبان بن التميمي البستي (د.ت.).متاح علىٰ موقع: http: //www.al http: //www.al -mostafa.com

٥٢. **سبل السلام الموصلة إلىٰ بلوغ المرام**، محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني (١٤٢١هـ). ط٢. الرياض: دار ابن الجوزي.



٥٣. **سير أعلام النبلاء**، شمس الدين، محمد بن أحمد الذهبي (١٩٩٦م).ط١١ .بيروت، مؤسسة الرسالة.

٥٤. **الضوابط المنهجية لدراسة الفكر التربوي الإسلامي في ضوء تحليل أبحاث الواقع واستشراف المستقبل**، محمد عبد الرؤوف عطية (١٤٣٥هـ). العدد: ٢٦٠. مكة المكرمة: رابطة العالم الإسلامي.

٥٥. **ظاهرة ضعف الإيمان: الأعراض - الأسباب - العلاج**، (١٤١٣هـ). الرياض: مطبعة سفير.

٥٦. **عدة الداعي**. أحمد بن فهد الحلي، متاح على: موقع إسلام ويب.

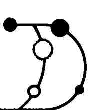
٥٧. **عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين**، ابن قيم الجوزية (د.ت.). بيروت: دار الكتب العلمية.

٥٨. **فاعلية برنامج مقترح في اللغة العربية للطلاب الدعاة بجامعة الأزهر في التحصيل والأداء اللغوي**، رمضان صالحين أحمد يونس (٢٠٠٤م). رسالة دكتوراه، كلية التربية - جامعة الأزهر.

٥٩. **فقه الدعوة من أمثال النبي ﷺ**، سارة عبدالله جمعة البلوشي (١٤٢٦هـ). رسالة ماجستير، كلية التربية والعلوم الإنسانية - جامعة طيبة بالمدينة النبوية.

٦٠ **فلسفة التربية الإسلامية**، سعيد إسماعيل علي (١٩٨١)، القاهرة: عالم الكتب.

٦١ **فلسفة التربية الإسلامية**، ماجد عرسان الكيلاني (١٩٨٨). مكة المكرمة: مكتبة هادي.



٦٢. **فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم**، علي خليل أبو العينين (١٩٨٥). ط٢. القاهرة: دار الفكر العربي.

٦٣. **في معنىٰ العبودية**، محمد راتب النابلسي، متاح علىٰ: موقع موسوعة النابلسي.

٦٤. **القدوة الصالحة وأثرها علىٰ الفرد والمجتمع، لقاء دعوي عن الشخصية الدعوية المؤثرة**، عصام العبد زهد (٢٠١٠م).

٦٥ **القدوة والاقتداء**، يوسف العليوي. متاح علىٰ: موقع المربي.

٦٦. **القيم في العملية التربوية. سلسلة معالم تربوية**، ضياء الدين زاهر (١٩٨٦). القاهرة: مؤسسة الخليج العربي.

٦٧ **كيف عاملهم ﷺ**، متاح علىٰ: موقع إسلام ويب.

٦٨. **كيفية دعوة الملحدين**، سعيد بن وهف القحطاني. متاح علىٰ: موقع إسلام ويب.

٦٩ **كيفية دعوة أهل الكتاب إلىٰ الله تعالىٰ**، سعيد بن وهف القحطاني. متاح علىٰ: موقع إسلام ويب.

٧٠. **مجموع الفتاوىٰ**، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (د.ت.). مكة المكرمة: الرئاسة العامة لشئون الحرمين.

٧١. **المدخل إلىٰ العلوم التربوية**، فرغل عبد الحميد أحمد، وآخرون (٢٠٠٦). كلية التربية، جامعة الأزهر.

٧٢. **مراتب دعوة غير المسلمين**، فاطمة الجارد. متاح علىٰ: موقع صيد الفوائد.

٧٣. **المرشد العملي للتربية على القيم**، ماجد زكي الجلاد (١٤٣٥هـ). جدة: قمم المعرفة.

٧٤. **معالم المنهج الإسلامي**، محمد عمارة (١٩٩٨). ط٣. القاهرة: دار الرشاد.

٧٥. **المعرفة وشبكات التواصل الاجتماعي الإلكترونية**. سلسلة دراسات: **نحو مجتمع المعرفة**، مركز الدراسات الاستراتيجية (٢٠١٢م). الإصدار ٣٩، جامعة الملك عبد العزيز.

٧٦. **معوقات في طريق التعاون بين الدعاة**، هشام آل عقدة. مجلة البيان.

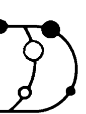
٧٧. **مقدمة في أصول التربية**، محمد عبد الرؤوف عطية (٢٠١٣م). مكة المكرمة: دار طيبة الخضراء.

٧٨. **منهج التربية الإسلامية**، محمد قطب (١٩٨٣). ج٢. القاهرة: دار الشروق.

٧٩. **منهج الحوار وضوابطه**، أحمد محمد هليل (٢٠٠٨م). بحث منشور ضمن أبحاث المؤتمر الإسلامي العالمي للحوار. رابطة العالم الإسلامي – مكة المكرمة.

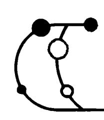
٨٠. **منهج عمر بن الخطاب في التشريع**، محمد بلتاجي (١٩٦٦). رسالة ماجستير غير منشورة، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة.

٨١. **النظرية التربوية: أصولها الفلسفية والنفسية**، محمد سيف الدين فهمي (١٩٨٠). القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

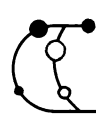


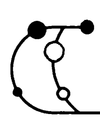
Arab Social Media Report (٢٠١٣, July). Transforming .٨٢
education in the Arab World: Breaking barriers in the age of social
United Arab Emirates. learning. ٥th Ed. Dubai School of Government,





فهرس المحتويات





تصميم وإخراج فني وتنسيق
مركز الأدهم

00201148684353
Markaz.aladham@gmail.com

